الفيصل
Alfaisal

مجلة ثقافية شهرية - السنة ٤٠ - رجب - شعبان ١٤٣٦هـ/ مايو - يونيو ٢٠١٥م

أحجار الزينة في التراث



ALFAISAL Mag
٤٦٩ - ٤٧٠

www.alfaisalmag.com



داووا مرضاكم بالصدقة

ساهم في مساعدة مرضى السرطان

الجمعية السعودية الخيرية لمكافحة السرطان

حسابات التبرع العام

بنك الراجحي	sa 1180000114608010005117
بنك سامبا	sa 1540000000007007009697
البنك الأهلي	sa 7110000024653949000106
البنك الهولندي	sa 2250000000010042264005
بنك الرياض	sa 8620000002120077499940
بنك الإنماء	sa 5505000068200067502000
بنك ساب	sa 2845000000004322111001
بنك البلاد	sa 6115000999300000170009



أرسل رسالة نصية فارغة إلى الرقم **5070** قيمة الرسالة الواحدة ١٠ ريالات

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- أمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته: يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- المواد التي يعتذر عن عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . الإمارات ١٠ دراهم . قطر ١٠ ريالات . البحرين دينار واحد . عُمان ريال واحد . الأردن ٧٥٠ فلساً . اليمن ١٠٠ ريال . مصر ٤ جنيهات . السودان ١،٥ جنيه . المغرب ١٠ دراهم . تونس ٢،٥٠ دينار . الجزائر ٨٠ ديناراً . العراق ٨٠٠ فلس . سورية ٤٥ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ٢٥٠ فرنكاً . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف ٤٨٧١٤١٤(٠١) . فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٥٠٩١٩٣٣ . فاكس ٥٠٩١٩٣٣ . ٢٠٢..، سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨٤٢٨٨١٢ . فاكس ٢١٢٥٣٢٢.١١.٩٦٣،٠٠، تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٣ نهج المغرب . ص.ب ٩١٧ . فاكس ٧١٤٠٠٣٢٣٣/ هاتف ٩٣٢٢٤٩ . ٧١ . ٢١٦٠٠، قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦١٢٨٢ . فاكس ٤٦١١٨٥ . ٩٧٤٠٠، الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ . فاكس ٦٣٥١٠٥ . ٦ . ٩٦٢٠٠، البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٣١٢٨١ . ٩٧٣٠٠، الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦١٥٣٤٩ . فاكس ٢٦١٩٨٢٧ . ٤ . ٩٧١٠٠، الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢١/١١/٢٤١٧٨١٠ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٩٦٥٠٠، المغرب . الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٣/٢٢٤٠٤٠٣١ . ٢١٢٠٠ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ ، الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع هاتف: ٢/٢٠١٩٠١٠٣ . ٩٦٧٠٠ فاكس: ٧/٢٠١٩٠٩



www.alfaisalmag.com

السنة ٤٠ - رجب - شعبان ١٤٣٦هـ/ مايو - يونيو ٢٠١٥م

مجلة ثقافية شهرية، أصدرها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل ضمن إصدارات دار الفيصل الثقافية، وصدر العدد الأول منها في شهر رجب سنة ١٣٩٧هـ/ يونيو (حزيران) ١٩٧٧م.

الإعلانات
هاتف: ١١٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ١١٤٦٤٧٨٥١

ردمد
٠٤١١ - ٨٥٢٠

الناشر
دار الفيصل الثقافية

رقم الإيداع
مكتبة الملك فهد الوطنية ٤١/٢٤٥٠

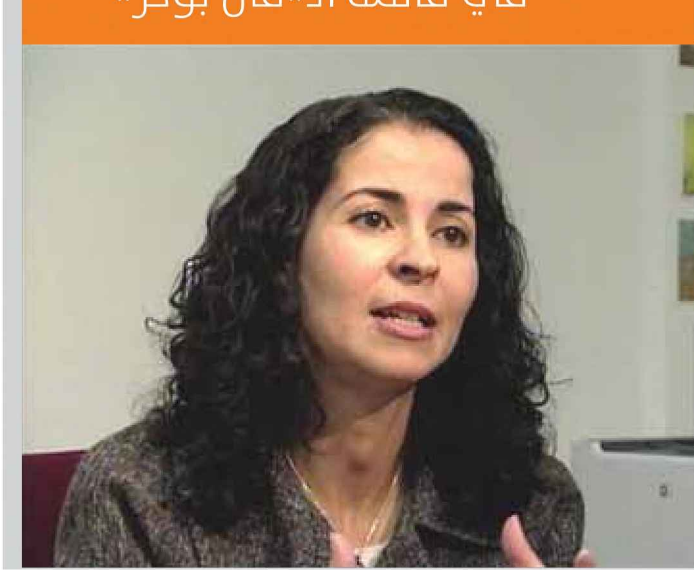
مراسلات التحرير والإدارة
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ المملكة العربية السعودية
هاتف: (٩٦٦+) ١١٤٦٥٣٠٢٧ - (٩٦٦+) ١١٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: (٩٦٦+) ١١٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي
١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

contact@alfaisalmag.com - alfaisalmagazine@yahoo.com

كاتبة من أصول عربية

في قائمة الـ«مان بوكر»



وصلت رواية (حساب مور) للكاتبة الأمريكية ذات الأصول المغربية ليلى لالامي (من مواليد الرباط عام ١٩٦٨م) إلى القائمة الطويلة للجائزة العالمية (مان بوكر)، وفق إعلان إدارة الجائزة في بيان لها خلال مؤتمر صحفي عقد بلندن.

ويعد هذا الوصول لرواية (حساب مور) إنجازاً حقيقياً، إذ لم يصل من قبلُ إلى القائمة الطويلة للجائزة أيُّ عنوان كتبه روائيّ ناطق بالإنجليزية ذو أصول عربية، منذ انطلاق الجائزة عام ١٩٦٨م، بهدف تشجيع صناعة الكتاب وقراءته؛ لتصير بعد ذلك واحدةً من أهم الجوائز التي تُمنَح للرواية في العالم.

وضمت القائمة -إضافة إلى رواية ليلى لالامي- اثنتي عشرة روايةً أخرى تتنافس للفوز بالجائزة، وهي: (الطريق الاخضر) لآن إنرايت من أيرلندا، و(التاريخ المختصر لسبع مجازر) لمارلون جيمس من جامايكا، و(ساتون آيلاند) لتوم مكارثي من بريطانيا، و(الصيادون) لشيغوزي أوبيوما من نيجيريا، و(ليلاً) لمارلين روبنسون من أمريكا، و(النوم فوق جوبيتير) لآنورذا روي من الهند، و(حياة فقيرة) لهانيا غيهارا من أمريكا، وغيرها من العناوين.

وتدور رواية (حساب مور) حول شخصية أول عبد يصل إلى أمريكا من إفريقية، من المغرب على وجه التحديد، ويقوم باستكشافها عبر رحلة عذابه الخاصة، وفق مخيلة تاريخية فانتازية.

وتبدأ رحلة الرواية عام ١٥٢٠م عندما كانت الولايات المتحدة الأمريكية خاضعة للتاج الإسباني، وتنطلق أحداث الرواية من سفينة بالميناء على متنها ٤٠٠ رجل قد تحولوا إلى عبيد، و٢٠٠ حصان، وتختلط الخديعة بـ(غريزة البقاء).

و(حساب مور) هو الكتاب الثالث للروائية، بعد كتابين وصل أحدهما إلى القائمة الطويلة لجائزة (الأورانج) التي تُمنح للمرأة الروائية فحسب، وهي إحدى الجوائز المعروفة عالمياً على المستوى النسويّ.

قصائد جديدة

تعيد نيرودا إلى واجهة الحياة الأدبية



أعلنت دار (كوبر كانيون بريس) الأمريكية للنشر أنها تعمل على إصدار مجموعة شعرية بالإنجليزية تضمّ أكثر من ٢٠ قصيدة غير منشورة للشاعر التشيلي بابلو نيرودا الفائز بجائزة نوبل، وقد عُثر عليها في يونيو عام ٢٠١٤م بين أوراقه. وكانت دار (سايكس بارال) التي تملك حقوق نشر أعمال نيرودا نشرت القصائد بالإسبانية، لكنها لم تُنشَر بالإنجليزية إلى الآن.

وأحدث قصيدة في هذه المجموعة ترجع إلى عام ١٩٥٦م، ويقوم الشاعر والروائي والناقد الأمريكي فوريست غاندر بترجمة المجموعة إلى الإنجليزية، وستضم نسخاً ملونة من القصائد بخط يد نيرودا.

وجمعت الدار الأموال اللازمة لشراء حقوق ترجمة المجموعة الجديدة من أعضاء مجلس إدارتها، وعدد من المانحين، كما تعمل على جمع أموال أخرى من جمهور الشعر؛ لتمويل إنتاج المجموعة وإصدارها، في إبريل من العام المقبل.

ونقلت صحيفة (نيويورك تايمز) عن مصدر في دار (كوبر كانيون بريس) أن الدار تبدي حرصاً خاصاً لترجمة كتاب يليق بإرث بابلو نيرودا الشعريّ وتصميمه وإنتاجه.

ووصف آدم فينستين كاتب سيرة بابلو نيرودا القصائد التي عُثر عليها بأنها زاخرة باستخدام نيرودا اللغةَ والصورةَ استخداماً خيالياً، وأضاف أن بعضها قصائد حبّ، وهو الشكل الذي اشتهر به نيرودا، وبعضها الآخر قصائد تتغنى بأشياء حياتية بسيطة على غرار (أناشيد نيرودا).

وأضاف أن هذا الاكتشاف مثير جداً، وأن نيرودا في زمن حياته كان يمزح قائلاً: إنه سيأتي يوم ينشرون فيه حتى جواربه، والآن اكتشفوا باقة جديدة تماماً من قصائده التي كانت محفوظة في صندوق صغير لم ينتبه إليها أحد من قبل.

وصدرت المجموعة بالإسبانية أواخر عام ٢٠١٤م في أمريكا اللاتينية، وفي أوائل عام ٢٠١٥م في إسبانيا.

العربية تحتل المرتبة الرابعة

بين اللغات الأكثر انتشاراً

على الرغم من عدم وجود إحصاءات متّفق عليها عالمياً بعدد المتحدثين بلغة ما، فإن هناك بعض المصادر التي تحصي عدد المتحدثين باللغة بوصفها اللغة الأم، وبعضها الآخر يضيف المتحدثين بها بوصفها لغةً ثانيةً.

ومن أشهر الإحصاءات العالمية كتاب (حقائق العالم) الصادر من الاستخبارات الأمريكية، و(إنكارتا)، و(إثنولوج).

وقد أجمعت معظم الإحصاءات والمصادر على ترتيب قائمة بعشر لغات في العالم، هي الأكثر انتشاراً من حيثُ عددُ المتكلمين بها، ونسبتهم مقارنة بعدد سكان العالم.

والترتيب على النحو الآتي:

تأتي اللغة الألمانية في المرتبة العاشرة، ونسبة المتحدثين بها ٢,٧٧٪ من عدد سكان العالم، وهي تنتمي إلى اللغات الجرمانية الغربية، وتعدّ إحدى اللغات الأم الأكثر شيوعاً في الاتحاد الأوربيّ، ومن أشهر البلاد المتحدثة بهذه اللغة هي: ألمانيا، والنمسا، وأجزاء من سويسرا وبلجيكا.

وتحتل اللغة الفرنسية المرتبة التاسعة، ونسبة عدد السكان المتحدثين بها ٣,٠٥٪ مقارنة بعدد سكان العالم، وتستخدمها ٣٢ دولةً على أنها لغة رسمية، ومعظم من ينطق اللغة الفرنسية بوصفها اللغة الأم يعيشون في فرنسا، حيث نشأت اللغة، أما البقية فيتوزعون بين كندا، وبلجيكا، وسويسرا، وإفريقية، ولكسمبرج، وموناكو.

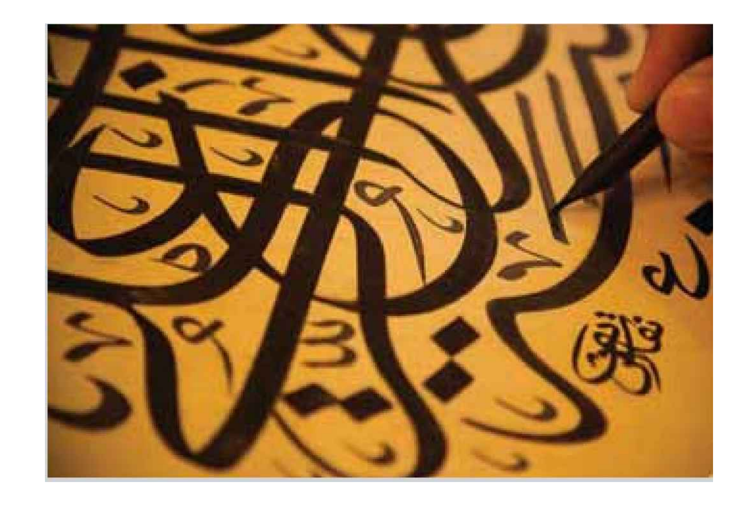
وجاءت اللغة البنغالية في المرتبة الثامنة، ونسبة عدد متحدثيها مقارنة بعدد سكان العالم ٣,١٩٪؛ منهم نحو ١٢٠ مليون نسمة هم مجموع سكان بنغلاديش، وهي أيضاً لغة ولاية بنغال الغربية في الهند، وتمثل واحدة من أكثر لغات العالم انتشاراً. وهي إحدى اللغات الهندية الآرية؛ مثل: الهندية، والأردية، والسندية، وأصلها السنسكريتية.

وتحتلّ اللغة البرتغالية المرتبة السابعة، وتبلغ نسبة عدد متحدثيها ٣,٢٦٪ مقارنة بعدد سكان العالم، وهم موزّعون في البرازيل، والبرتغال، وماكاو، وأنجولا، وفنزويلا، وموزمبيق.

وقد انتشرت هذه اللغة في جميع أنحاء العالم إبّان ظهور البرتغال بوصفها قوة استعمارية في القرنين الميلاديين الخامس عشر والسادس عشر، وامتدّت من البرازيل إلى ماكاو في الصين وغوا في الهند. وهي اليوم واحدة من اللغات الرئيسة في العالم، وتعدّ أكبر لغة في أمريكا الجنوبية من حيث عدد المتكلمين بها، وهي -أيضاً- لغة رئيسة في عدد من بلدان القارة الإفريقية، واللغة الرسمية في ٩ دول.

وتأتي اللغة الروسية في المرتبة السادسة، وتبلغ نسبة عدد المتحدثين بها ٣,٩٥٪، ويوزّعون في بلدان كثيرة من جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق؛ منها روسيا، وبيلاروسيا، وكازاخستان، وغيرها.

وهي أكثر اللغات السلافية انتشاراً، وإحدى أكثر لغات العالم انتشاراً،



وإحدى اللغات الرسمية بالأمم المتحدة، وهي لغة غير رسمية، لكن يُتَحَدَّث بها على نطاق واسع في أوكرانيا، ولاتفيا، وإستونيا، وليتوانيا، ويُتحدث بها على نحو أقلّ في البلدان الأخرى التي تكون الجمهوريات السابقة للاتحاد السوفييتيّ، وهي اللغة الأكثر انتشاراً جغرافياً في أوراسيا.

وجاءت اللغة الإسبانية في المرتبة الخامسة، وبلغت نسبة عدد متحدّثيها في العالم ٦,٢٥٪، وعددهم نحو ٤٠٠ مليون نسمة، ويُتحدث بها في بلدان أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية، إضافة إلى إسبانيا، وكوبا، وأجزاء من الولايات المتحدة الأمريكية.

واحتلت اللغة العربية المرتبة الرابعة، وبلغت نسبة عدد متحدثيها في العالم ٦,٦٪، وهي واحدة من أقدم لغات العالم، ويتحدث بها أغلبية سكان الشرق الأوسط وشمال إفريقية، وخصوصاً سكان البلدان العربية كافة. إضافة إلى ذلك، فإن هناك الملايين الذين يقبلون على تعلُّم اللغة العربية؛ لأنها لغة القرآن الكريم، وهناك الملايين من المسلمين في بلدان أخرى يتحدثون العربية أيضاً.

واعتُمدت العربية لغةً رسميةً سادسةً في الأمم المتحدة عام ١٩٧٤م.

وجاءت اللغة الهندية في المركز الثالث من حيث الترتيب، وبلغت نسبة عدد متحدثيها في العالم نحو ١١,٥١٪، وهي اللغة الرسمية في الهند، وجزر فيجي (الهندوستانية)، ويُتحدث بها خارج الهند؛ في النيبال، وفي جنوب إفريقية، وموريشيوس، واليمن، وأوغندا، وفي الولايات المتحدة الأمريكية.

وتحتلّ لغة الماندرين (الصينية) المرتبة الثانية، وتبلغ نسبة عدد متحدثيها في العالم ١٨,٠٥٪، وعددهم يتجاوز المليار تقريباً، وهي لغة الصين ذات أكبر تعداد سكانيّ في العالم، واللغة الصينية ليس لديها أبجدية، لكن يستخدمون رموزاً توضيحية، كل كلمة لها الرسم التخطيطي الخاص بها.

ويُتحدث بها -أيضاً- في تايوان وسنغافورة، وتشمل الماندرينية عدداً كبيراً من اللهجات.

وجاءت اللغة الإنجليزية في المرتبة الأولى عالمياً، وبلغت نسبة عدد متحدثيها في العالم نحو ٢٥٪، وعددهم يتجاوز ١,٨ مليار نسمة، وهي اللغة الرسمية في كثير من البلدان، والمتحدثون بها ينحدرون من جميع أنحاء العالم، بما في ذلك نيوزيلندا، والولايات المتحدة الأمريكية، وأستراليا، وإنجلترا، وزيمبابوي، ومنطقة البحر الكاريبي، وهونج كونج، وجنوب إفريقية، وكندا. وهناك ملايين من البشر يتحدثون اللغة الإنجليزية لغةً ثانيةً، بوصفها اللغة الأكثر شعبية في العالم.



في عقده الثامن.. كانزابورو:

تعلمت التفاؤل من إدوارد سعيد وكونديرا

يحتفل الكاتب الياباني (كانزابورو أوي)، الحائز على جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٩٤م هذا العام بمرور ثمانين عاماً على مولده في قرية صغيرة تحيط بها من كل جانب غابات جزيرة شيكوكو.

وفي حوار أجرته معه الأسبوعية الفرنسية (لونوفال أوبس) في عددها الصادر نهاية شهر يونيو الماضي، ونقلته صحيفة (العرب)، يقول كانزابورو أوي: حادثة فوكوشيما هائلة ومريعة، ومستقبل اليابان يبدو الآن حالكاً، والأمل في أن تستجيب الحكومة لمطالب المناهضين للمشروعات النووية يبدو ضئيلاً.

في بداية مسيرته الإبداعية تأثّر كانزابورو أوي بقصص الكاتب الأميركي مارك توين، وبعد أن درس الأدب الفرنسيّ في جامعة طوكيو، فُتن بأعمال كلّ من رابليه، وكامو، وسارتر، وسيلين. إثر ولادة ابنه الأول هيكاري معوّقاً عام ١٩٦٣م، انشغل كانزابورو أوي بتبعات القنبلة النووية التي دمّرت كل من هيروشيما وناجازاكي في نهاية الحرب العالمية الأولى؛ ليخصّص كثيراً من أعماله لهذه الكارثة.

دفعت كارثة فوكوشيما عام ٢٠١١م كانزابورو أوي إلى المُضِيّ قُدماً في نضاله السلميّ ضد المشروعات النووية، ففي عام ٢٠١٢م، طالب في عريضة أمضاها مثقّفون ومناضلون مدنيُّون، حكومة بلاده بالكفّ نهائياً عن تبنّي مشروعات نووية. وشارك أوي في التظاهرات التي قام بها مثقفون وعائلات الضحايا ومزارعون وأناس لم يشاركوا من قبلُ في تظاهرات من هذا النوع.

يقول كانزابورو أوي في هذا الحوار: كنت منذ البداية من ضمن المنظمين والمشرفين على هذه التظاهرات التي شهدتها مناطق كثيرة في اليابان. وأغلب الذين كانوا إلى جانبي كانوا من المسنّين؛ أي من أبناء جيلي. ولأول مرة في حياتي أعاين مساهمة أعداد غفيرة من المثقفين في هذه التظاهرات، وهو أمر لم يسبق له مثيل. أنا الآن في الثمانين من عمري. ومعنى هذا أنه لم يتبق لي وقت طويل على هذه الأرض. لكن فوكوشيما تمثل لنا نقطة انطلاق حركة شعبية لا بد أن تزداد اتساعاً.

يواصل كانزابورو أوي حديثه عن كارثة فوكوشيما قائلاً: عندما وقعت حادثة فوكوشيما، شعرت أن كل المشكلات التي تواجهنا منذ كارثة هيروشيما تهاوت علينا بشكل مكثّف. فوكوشيما مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بهيروشيما، ولا يمكننا الفصل بينهما أو التفكير في واحدة منهما من دون التفكير في الأخرى.

هاجم أوي بشدة رئيس الحكومة شينزو آبي قائلاً: إنه رجل صغير لكنه خطير، وباستطاعته أن يضع حداً لتاريخ اليابان؛ لذلك لا بد من مواجهته بكل ما أوتينا من قوة، وفي الحقيقة أنا أرى حكومتنا عدواً لنا، ومسألة التشبث بالدستور مسألة جوهرية، ونحن نعلم أن العامل الذي ساعد اليابانيين على أن ينهضوا من جديد بعد الحرب العالمية الثانية يتمثل في الديمقراطية، وفي الالتزام بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لدول أخرى مجاورة أو غير مجاورة. وهذا التزام أخلاقي. وإذا تخلّينا عنه فإننا نكون قد خُنّا ضحايا الإمبريالية اليابانية في آسيا، وفي هيروشيما ونجازاكي. وأنا مُستمسِك بنضالي حتى وأنا أقترب من الموت.

ويتحدث كانزابورو أوي عن صديقه المفكّر الفلسطينيّ إدوارد سعيد، قائلاً: عندما يتعلق الأمر بالتفاؤل، يمكنني أن أقول: إني أتذكّر صديقي الراحل إدوارد سعيد الذي أشعر أنه الأقرب إلى نفسي خصوصاً في نعته بـ(المنفيّ) الفلسطيني.

ويواصل قوله: عند وفاته أرسلت إليّ كريمتُه رسالةً تقول لي فيها: إن والدها يتأسّف؛ لأنه شعر أنه سيموت من دون أن يتمكن من أن ينهي عمله على الصورة التي يريدها. لكن في النهاية أحسست أن إدوارد سعيد كان يعلم أنه سيموت غير أنه قرّر أن يواصل عمله المتعلّق بالقضية الفلسطينية حتى النفس الأخير. وأنا ولدت في الفترة نفسها التي ولد فيها سعيد؛ لذا فأنا أرى مثله؛ أن بذل قصارى جهدنا في العمل الذي نقوم به يجعلنا متفائلين.

ويختم قائلاً: أما الثاني الذي تعلّمت منه معنى التفاؤل فهو ميلان كونديرا، الذي كتب في (الستار) شيئاً واضحاً يتمثل في أن نترك لأطفال العالم أرضاً يطيب فيها العيش.

كاتبة كورية

تنتحل وتعتذر

اعتذرت الكاتبة الكورية الجنوبية (شين كيونغ سوك) مما أثير عن سرقتها جزءاً أدبياً من قصة قصيرة يابانية، مؤكدةً أنها المقترفة الخطأ.

وكان لي إيونغجون زعم أن كتاباً لشين يتضمن قصة بعنوان (أسطورة)، ضمن مجموعة من القصص القصيرة نشرت عام ١٩٩٦م، احتوت على سرقة أدبية من قصة بعنوان (حب الوطن) للكاتب الياباني الراحل (يوكيو ميشيما) نشرها عام ١٩٦١م، ضمن كتاب (برجاء العناية بالأم) صدر عام ٢٠٠٩م، وقد بِيع منه ملايين النسخ، وفاز بجائزة الآداب الآسيوية عام ٢٠١١م.

واعترفت شين –حسب بي بي سي عربي– بصحة تلك المزاعم، بعد أن نفتها في البداية، قائلة: بعد مقارنة الجمل مَحَلّ الشك في رواية (حب الوطن) ليوكيو ميشيما، بالمكتوبة في قصتي (أسطورة) عدة مرات، أعتقد أنه من الصواب إثارة مزاعم الانتحال الأدبي.

وأضافت: حاولتُ يائسةً أن أتذكّر فقط أني قرأت رواية (حب الوطن)، لكنني في وضع الآن لا يمكنني من أن أثق في ذاكرتي؛ مشيرةً إلى أنها ستطلب من الناشر حذف قصة أسطورة من كتاب القصص القصيرة، وأنها ستأخذ وقتاً لإعادة التفكير.

ووجّهت الكاتبة اعتذارها للكاتب الأدبي قائلةً: أعتذر بشدة للكاتب الأدبي الذي أثار القضية، وأعتذر للقُرّاء الذي يقرؤون رواياتي. مؤكدةً خطأها بقولها: الخطأ خطئي، ولا أستطيع أن أعيش من دون كتابة.

إطلاق مسابقة للشِّعر

ضمن جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر

أعلنت جائزة (خليفة الدولية لنخيل التمر) عن أنها ستطرح مسابقة جديدة بعنوان (النخلة بألسنة الشعراء) تنضمّ إلى مسابقة التصوير الفوتوغرافي الحالية (النخلة في عيون العالم) التي تقام على هامش تصفيات الفئات الخمس المعروفة للجائزة.

وقد وافق الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان –وزير الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، رئيس مجلس أمناء الجائزة– على مقترح إنشاء هذه الجائزة؛ لأنها ستضيف الجانب الأدبيّ إلى مسابقة التصوير؛ ليكتمل الصوت مع الصورة، كما أنها ستشحذ همم الشعراء لزيادة إنتاج الأدب الشعريّ الخاصّ بالشجرة المبارَكة، وستسهم في اكتشاف شعراء جُدد، وإبراز إبداعهم، ومدى حبّهم النخلة واهتمامهم بها، إلى جانب الاهتمام بتطوير لغة الشعر لديهم.

ويجري تنسيق الجائزة مع أكاديمية الشعر للتعاون على إنجاح المسابقة، إضافة إلى وضْع الشروط والمعايير اللازمين للاشتراك فيها، تمهيداً لإخراجها في الشكل المطلوب.

يذكر أن هناك عدداً من المؤسسات الأخرى التي تُعْنى بالتراث في الإمارات بوساطة المسابقات؛ مثل: مسابقة مزاينة الرطب، ومزاينة الإبل، وسباقات الهجن والخيول، وغيرها من السباقات والجوائز والأنشطة التراثية الأخرى.

إطلاق مسابقة

أفضل موقع ثقافي

أعلن عبدالواحد النبويّ –وزير الثقافة المصري– عن مسابقة شهرية لاختيار أفضل موقع ثقافي من بيوت الثقافة وقصورها والمكتبات على مستوى فروع الهيئة العامة لقصور الثقافة.

وأكّد النبوي –حسب محيط– أن المسابقة تهدف إلى جعل الموقع عامل جذب لرواده من مختلف المراحل العمرية، إضافة إلى تحفيز العاملين بالمواقع على البحث، واكتشاف المواهب ورعايتها في المجالات كافة، وتدعيم النشاطين الثقافي والفني بما يخدم العملية الثقافية.

وأوضح أن هناك معايير لاختيار أفضل موقع ثقافي؛ منها: مدى التزام العاملين بالموقع بمواعيد العمل؛ لزيادة كفاءة الأداء، ومدى تنشيط العمل لاستقطاب الفنانين والمبدعين، وحصر عدد الرواد وحرصهم على المشاركة في الفعاليات الثقافية التي ينظمها الموقع، ومدى التعاون بين الموقع ومؤسسات المجتمع المدنيّ؛ للوصول بالرسالة الثقافية إلى أكبر شريحة ممكنة من المجتمع، والتميّز في الأنشطة وتطويرها بما يتناسب مع حالة المجتمع، أما المكتبات فيُنظَر إلى حال الأرفف، وطريقة عرض الكتب بالمكتبة من ناحية الإعداد الفنيّ (الفهرسة والتصنيف)، وتنظيمها بالشكل اللائق بالمكتبة.

وأضاف محمد عبدالحافظ ناصف –رئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة– أن الاختيار يجري بناءً على تقرير مدعوم بالصور لأهمّ الأنشطة المتنوعة المقامة في أثناء الشهر، ومنها: مجلات الحائط، والرحلات التثقيفية، والمسرح التوعويّ، والمسابقات الأدبية، والورش، والمعارض الفنية... إلى غير ذلك.

يُمنح الموقع الفائز على مستوى كل فرع ثقافي مكافأة مالية وشهادة تقدير لمدير الموقع والعاملين المتميزين الذين تميزوا من غيرهم بالجدية والاهتمام بالعمل؛ لحَفْزهم إلى المزيد من العمل.

ترجمة: محجوب عباس | السعودية



هيرتا مولر:

أكتب الرواية الواحدة ٢٠ مرة



ولدت هيرتا مولر في رومانيا في ١٧ أغسـطس عام ١٩٥٣م، بقرية صغيرة مؤلفة مـن سـكان ذوي أصـول ألمانيـة، وفـي أثنـاء الحرب تعـاون هـؤلاء مـع النازيين. وعندمـا احتـلّ الجيـش الأحمر رومانيـا عام ١٩٤٤م، كانـت والدة هيرتـا مولر إحدى الأسـيرات اللواتي سِـقْنَ لمعسـكرات العمل في الاتحاد السـوفييتي. وإبان حكم تشاوتشيسكو رفضت مولر التعاون مع جهاز الأمن الشيوعي سكيوريتات، ففُصِلت من العمـل، وتعرَّضت لضروب من المضايقات والرقابة والاسـتجواب المتكرر. وفي أثنـاء تلك الضغوط الهائلة لجـأت مولر إلى الكتابة، فصـدرت مجموعتها القصصية الأولـى عـام ١٩٨٢م تحت عنـوان (الحضيض) بعـد إخضاعها لمقـص الرقابة، وأعيد إصدارهـا بالكامـل في برلين عـام ١٩٨٤م. وعام ١٩٧٨م سـمح لمولر بالسـفر إلى ألمانيـا مـع والدتهـا؛ حيث اسـتقرت هناك منـذ ذلك التاريخ، ونشـرت عـدة روايات مهمة؛ منهـا: (الموعد) و(ملاك الجوع The Hunger Angel)، وعملها الأخير: (أرض البرقـوق الأخضـر)، الـذي نال شـهرة كبيرة خصوصـاً بعـد جولتهـا الأمريكية التي أعقبت صدورهما. وقد أجري هذا الحوار معها بالألمانية في أثناء زيارتها الولايات المتحـدة الأمريكية لتدشـين تلك الرواية، ثم ترجمه إلـى الإنجليزية فيليب بوهيم مراسل مجلة باريس ريفيو.

هـذا حـوار أجـراه فيليب بوهيـم من مجلـة باريـس ريفيو، مـع الكاتبة هيرتـا مولر -الألمانية الجنسـية- عقب فوزهـا بجائزة نوبل عام ٢٠٠٩م.

وفي حيثيات ترشـيحها ذكرت أكاديمية نوبل أنها تميزت من غيرها بجعل الأدب الروائي بمنزلة العـزاء لـكل المحروميـن مـن كل صنف ولـون؛ لأنها عاشـت تجربـة الفقـر والحرمـان بالمعنى الحرفـي، وصهرتهـا تلـك التجربـة، وارتسـمت فـي راحـة يدهـا كمـا ترتسـم أمـارات الخلـود.

هل أنتِ من أصول ريفية أم حضرية؟

كان جدي من أثرياء الريف، ويملك أراضي، وضياعاً واسعةً، ومخازنَ، ومرافق تجاريةً كبيرةً في مجال الحبوب، وكان يسافر كل شهر إلى النمسا للقيام بصفقات تجارية في مجال القمح والذرة. وكان المنزل الذي وُلدتُ فيه ونشأت مكوناً من أربعة طوابق، ومزوَّداً بأوناش ورافعات ضخمة لتخزين الحبوب والغلال. وبعد عام ١٩٤٥م وقيام النظام الاشتراكي ذهب كل شيء سوى الرافعات. كانت الأسرة كلها منخرطة في أنشطة جدي. فوالدتي وجدتي عملتا في مخزن الغلال وإدارة المتاجر، لكن النظام الاشتراكي ساق الجميع للعمل في المزارع الجماعية.

وجدك مؤسس الأسرة؟

جدي فقد إيمانه بالدولة التي صادرت ممتلكاته التي أمضى الشطر الأعظم من حياته في جمعها. إضافة إلى إرساله إلى معسكر عمل داخل رومانيا مدة قصيرة. وشارك جدي في الحرب العالمية الأولى لمصلحة النمسا، وكذلك مجموعة من أحصنته. ففي تلك الحقبة كان يجند الأفراد والأحصنة -أيضاً- للقتال. وعندما انتهت الحرب تلقى جدي شهادات وفاة بعض أحصنته مع مواقع موتها. وعندما حكيت لي هذه الوقائع قلت: يا للهول! ففي أثناء حروب ستالين اختفى آلاف الناس من دون أثر أو شهادة وفاة، أو ما يدرج تحت عنوان: (مفقود)، إلى أن يثبت العكس. ويمكنك أن تتصوّر كم كانت الخيول أكثر حظاً من البشر في تلك الحقبة الغابرة.

هل كانت الألمانية هي اللغة السائدة في قريتكم؟

لا. كانت هناك أقليات مجرية وصربية، وكان لكل منها لغتها، ومذهبها الديني، وأعيادها، ولم يكن هناك اختلاط يذكر؛ حتى الألمان كان لديهم تعدّد في اللهجات؛ فجدي -على سبيل التمثيل- كان يتحدث الألمانية، والمجرية.

ماذا عن الشعائر الدينية؟

كنّا نمارسها كلها بما في ذلك طقوس الاعتراف. وأذكر أننا في طفولتنا كنا نتباهى بعدد خطايانا، وعند الاعتراف كنت أدّعي أنني ارتكبت عشرين خطيئةً أو خمسين خطيئةً حتى أبدو مهمةً ومتميزةً من أقراني. وفي هذا السياق أذكر أن والدي كان حازماً جداً خصوصاً عند قيامي بمهمة رعي الأبقار الخمس التي كنا نمتلكها؛ إذ كان عليّ سوقها إلى مرعى قرب الأودية، وقضاء الشطر الأعظم من كل نهار مع قُطعان الماشية.

ماذا كنتِ تفعلين في أثناء دورية الرعي؟

كنتُ أغني الأغنيات التي تعلّمتها في دار الحضانة، وأتكلم مع نفسي ومع أوراق العشب. كنت على قناعة تامّة أنه يمكنني أن أحادث الأشياء كلها، لكن عملي الأساسي كان الحيلولة بين الأبقار والاعتداء على مزارع الدولة؛ لأن البقرة عندما تجوع تتصرّف كالمجانين، ولا تخضع لأي أوامر ولا تعترف بأي حواجز شائكة، ولا يهمّها إذا كانت المزرعة المجاورة مملوكةً للدولة أو لعمدة القرية. كانت الأبقار معظمها أقرب إلى الهياكل العظمية؛ لسوء المراعي، ونقص الأعلاف. وفي مرحلة لاحقة اعتاد تشاوتشيسكو شحن قطعان الأبقار السمينة إلى الريف؛ لتقوم كاميرات التلفاز بتصويرها؛ للتدليل على وفرة لحوم الأبقار وجودتها في ظل حكومة الطاغية، وتفوّق البقرة الاشتراكية على نظيرتها الرأسمالية. صفوة القول: كان عليَّ منع بقراتنا العجاف من انتهاك مزارع الدولة؛ لئلا تضطرّ أسرتي إلى دفع الغرامات المفروضة على انتهاكات الماشية.

في خطاب قبولك نوبل أو بالأحرى في أثناء المحاورة حول الأدب المرئي Witness Literature ذكرتِ أنكِ كتبتِ عن انتظار مرور القطار؟!

لم تكن لديَّ ساعة وقتئذ. كنت أنتظر مرور أربعة قطارات؛ لإعادة الأبقار إلى المنزل؛ أي: نحو الثامنة مساء. وبهذا أكون قد قضيت اليوم معظمه في الرعي. كان عليَّ مراقبة الأبقار، لكنها لم تكن في حاجة إليَّ، ولا مهتمة بما أفعل.

كل بقرة كانت تعرف من هي، أما أنا فكنتُ أفحصُ يديَّ وقدميَّ، وأتساءل من أنا؟! واضح أنني مصنوعة من شيء يختلف عن طبيعة الأشياء الأخرى؛ مثل: الأبقار، وأوراق العشب. كنت أنظر إلى الأبقار والنباتات وأقول لنفسي: إن لهم حياةً سعيدةً، وهذه المخلوقات تعرف كيف تعيش مادامت على قيد الحياة؛ لذا شرعت في بناء علاقات وثيقة معها. لقد تذوّقت الأوراق وجذور الأعشاب معظمها؛ لأنني كنت راغبة في تغيير جلدي، وتَمثُّل تلك النباتات حتى أصبح قريبةً منها أو أجد لديها القَبول. طبعاً كل هذه التخيلات كانت وليدة العزلة والوحدة والتوترات الناشئة عن مراقبة سلوك البقر. وهكذا تواصل شغفي بالنباتات، وامتدّ ليشمل عقد زيجات بينهما وفق قاعدة المناسبة التي تولّيت وضعها أو صياغتها. كان لدي يقين راسخ في أن النبات لا يختلف عنا في شيء: فهو يرى ويمشي بالليل، وأن شجرة الصفصاف القريبة من منزلنا كانت تزور أشجار السنديان في أطراف القرية.

ماذا عن تسمية النباتات أو تغيير أسمائها المعروفة؟

عندما كنت أنادي النبتة باسمها الشائع كنت أشعر أنها لا تستجيب؛ لأنها لم تسمعه أو امتنعت عن سماعه؛ لأنه اسم غير ملائم. مع مرور الوقت ونمو المعارف أدركت بشكل جازم أن معظم الأسماء التي تطلق على الورد والزهور وغيرهما لا معنى لها ولا طعم. خذ مثلاً: هيرباريوم، كلوريكوم، أو إحدى الأسماء العلمية الفظيعة التي نجدها في المتاحف والمعارض والكتب العملية، على حين أن

كنا نمارس طقوس الاعتراف. وكنت أدّعي أنني ارتكبت عشرين خطيئةً أو خمسين خطيئةً حتى أبدو مهمةً ومتميزةً من أقراني

الورد والزهور الطويلة العمر مخصصة لمآتم كبار الشخصيات الاشتراكية، أما قصيرة العمر فلأمثالنا من الذين لا حول لهم ولا قوة



الأسماء الريفية الشعبية هي: الياسمين، والفل، والنوّار، والبرسيم، والعناب، وغيرها من المفردات التي لا تؤذي الأذن أو المتذوِّق.
عندما كنت أختار أسماء جميلة للنبات كنت أتوخى التقرب منها؛ لأنها تعرف كيف تحيا تلك الحياة على حين أنني كنت لا أعدو أن أكون قشة صغيرة في تيارها العارم. وينطبق الشيء ذاته على المناظر الطبيعية Landscapes؛ تلك التحف البانورامية التي تتحفنا بها البيئات الغنية، كنت أكتفي بمراقبة المناظر، ويصيبني الفزع من اتساعها مقارنةً بضآلتي، وأشعر أنها سوف تلتهمني بين لحظة وأخرى.
دائماً كانت تنتابني حقيقة مضمونها أن الأشجار تعمر مئات السنين، والأحجار إلى الأبد، وأن المياه لا تكفّ عن الجريان لحظةً واحدةً على حين أنني محض ومضة صغيرة، تعيش لحظة أو لحظتين على حافة جسد مثقل بالأعباء والهموم ثم تنطفئ.
هذه هي الملامح الأولى لرؤيتي التي تشكلت منذ سنوات الطفولة والصِّبا؛ مقارنة بما حولنا فإن الحياة لا تعدو أن تكون لحظاتٍ عابرةً مؤقتةً وفانيةً. عندما كنت طفلةً لم أكن قادرةً على تجريد هذه المفاهيم، لكنها كانت في طور تشكُّلها الحسيّ الزمنيّ الابتدائيّ، ومع مرور الزمن لم يتراجع خوفي من حقول الذرة التي تمتدّ إلى ما لا نهاية. وفي أثناء تلك الحقبة الاشتراكية والمزارع الجماعية صارت الحقول أضخم عشرات المرات حيث إن من يدخلها لن يخرج منها أبداً. وكان لديَّ اعتقاد جازم أنني لو حاولت العبور يوماً من خلال إحدى تلك المزارع الجماعية، فلن أخرج منها إلا بعد أن أبلغ أرذل العمر.

في رواية (ملاك الجوع) نجد صورة (ليو) وهو يمشي؛ للالتحاق بمزرعة جماعية، ووصف الرياح وهي تدفعه في الاتجاه المعاكس، والهضبة بأسرها تندفع نحوه فيما يشبه الاختراق؛ لتُكرِهه على السقوط أرضاً؛ بسبب شدتها وهشاشة بنيانه.

نعم هذا جزء من بانوراما الرعب.

هل تشعرين بالأمان في المدينة، أم أنها مصدر إضافي للفزع والرعب؟

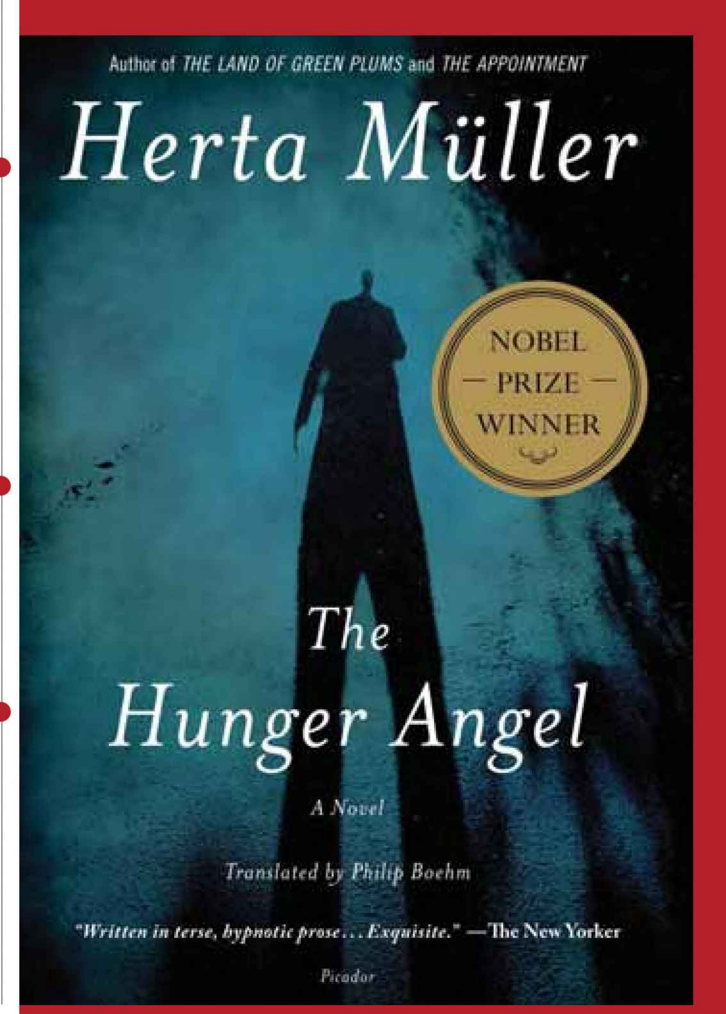
المدينة في تلك الأيام هي ضيعة للسكيوريتات، بالطبع بها شتى أنواع النباتات، لكنها منحازة إلى العسس، أو تسللت إليهم.

حتى الأشياء الطبيعية صارت لها أدوار ودلالات مختلفة.

نعم. الورد والزهور الطويلة العمر مخصصة لمآتم كبار الشخصيات الاشتراكية، أما قصيرة العمر فلأمثالنا من فقراء المدن الذين لا حول لهم ولا قوة. هكذا تصطف الأشياء وتنشطر نصفين: صنف مع تشاوتشيسكو، والباقي في الضفة المقابلة أو المعادية؛ حتى الشمس والشفق والغسق كانت موزعة بشكل غير متساوٍ؛ فمنتجعات تشاوتشيسكو على البحر الأسود لها كل الضياء والبهاء، ولها كل



كان لدي يقين راسخ في أن النبات لا يختلف عنا في شيء: فهو يرى ويمشي بالليل، وأن شجرة الصفصاف القريبة من منزلنا كانت تزور أشجار السنديان في أطراف القرية





المغارب التي لا تعرف الضوضاء والانسحاب الفجائي للشمس من دون حديث. وفي النهاية تجد هذه التفاصيل في كل رؤية روائية عميقة عن الاضطهاد والقهر؛ فعند خورخي سمبرون نجد عدة أمثلة لشخوص روائية ناقمة من محيطها الاجتماعيّ أو الطبيعيّ الذي لا يبدي أي قدر من التعاطف مع مآسيهم ومعاناتهم الشخصية. وعندما يمارس القهر في جادة مفتوحة وأفق لا نهائي كمعسكرات العمل القسري تبدو الطبيعة طرفاً وشريكاً في مؤامرة متعددة الوجوه.

● هـذه الرؤيـة امتـداد لبعض اسـتبصارات طفولتك فيما أرى، فكنت طفلةً تراءت لك الأشياء كما لو كانت مزودة بأرواح، فهي قابلـة للحركـة والطيران طـوال الليل، لكن الآن إضافـة إلى عقد زواج النباتات بعضها ببعض هناك ميلٌ طاغٍ لخلع دوافع شـريرة على المحيط الطبيعي!

كل شـيء أصبـح مشـبعاً بمعـانٍ ودلالات مختلفة؛ يحدث ذلـك لأن منظور الرائي أي الروائـي يتغير ويتطور وفقاً لتراكم خبراته وتجاربه.

وفي لحظات نادرة ما زالت الطبيعة وبعض مكوناتها مصدراً للعزاء، كما حدث لشخصية ليو في (ملاك الجـوع)، وموقفه من غصن الصنوبر في عيد الميلاد.

كنتُ ذات مرة مع الكاتب أوسكار باستيور Oskar Pastior بمنطقة جنوب تيرول؛ حيث بدأت في هجاء أشجار السرو والصنوبر التي يزيّن بها في أعياد الميلاد، وأن المسألة كلها خالية من المعنى وداعية إلى الملل والخواء الرُّوحيّ.

وقتها نظر إلي مَلِياً، وقال: لم أتوقع منكِ هذه التراهات، وأضاف: عندما كنت في معسكرات الاعتقال، وصار الموت أقرب إلي من حبل الوريد؛ بسبب الجوع، وحالات اليأس التي لا ضفاف لها؛ اصطنعت شجرة عيد ميلاد من بعض الأسلاك وأعواد الذرة والصوف الأخضر، وكانت تلك الشجرة آخر رابطة بيني وبين الحضارة.

وقال لي: أفهم أن يفقد المرء منا إيمانه بأعياد الميلاد؛ لكنني لا أفهم كيف يفقد إيمانه بالأشجار.

● أنـتِ من جهـة تتوحدين مع الأشـياء: الشـجر، والحجـر، والبقـر، ومـن جهة أخرى: يبدو أن هناك هوةً بينكما.

ليست هناك وحدة مبرأة من العوائق؛ فكل وحدة نتوخاها مسكونة من قبل بالثغرات سواء أزادت أم نقصت، عندما كنت أعيد تسمية النباتات أدركت الهوة التي تفصل عالم الأحياء عن العوالم الأخرى خصوصاً ما يفصل عالمي الداخلي عمّا يقع خارجه. ولا بد من استطراد غير مطول في هذا المقام. هناك هوة فاغرة الأشداق بين اللغة والعالم، أي هذا الذي تسعى إلى وصفه وحصره في قوالب صوتية أو خطّيّة. الكلمات لها حقيقتها الخاصة، وتصدر هذه الحقيقة عن طريقة نطقها وتدوينها، لكنها في النهاية لا تماثل الأشياء حذو النَّعل بالنَّعل، ولا توجد أي مطابقة كاملة أو نموذجية بين الدالّ والمدلول. إن الكفاية اللغوية هدف لا يمكن تحقيقه على الإطلاق.

● حتى على المستوى الفكري المحض؟

حتى على مستوى التجريد؛ لأن عملية التفكير لا تتم وتكتمل دائماً عبر الكلمات، والكلام لا يغطي أو يعكس إلا جزءاً محدوداً من عوالمنا الداخلية؛ لذلك فإن الصحيح أن نقول: إن ما نلهث للتعبير عنه هو كل ما يقع ويتخفى وراء ظهر الكلمات أو بينها، وفي الأغلب الأعمّ يعد الكدّ والجدّ في البحث، فإن ما نلقاه في النهاية هو في أبسط الحالات محض قبضة أو حفنة من الصمت الموحش والكئيب.

● في رواية (ملاك الجوع) وصف لجد (ليو) وهو يراقب بشغف أحد عجوله كأنه يهم بالتهامه كاملاً مع إشارة لا تخفى إلى كلمة Augen hunger التي تَعْنـي: (جوع العين). هل في ذهنك عبارة أخـرى من قبيل word hunger أي: جوع الكلمة؟

الكلمات نفسها هي الأقرب إحساساً بالجوع، وعلى المستوى الشخصي أنا في غنًى عن الكلمات، لكن الكلمات مـن حيث التعريف والقوة والإمكان لها جوعها الخاص، فهي إذا صحّ التعبير مصرة على استنفاد واستهلاك كل ما أودعته خزائن خبرتي ومعارفي وذاكرتي، ومن جهتي أسـعى لتسهيل مهمتها، وإكمالها على أحسن وجه.

ربما نحتاج لوقفة هنا لنستمع إلى رؤيتك الكاملة للُغة والعبارات والكلمات المستقلة!

كل جملة عندي لا تعتمد إلا بعد قراءتها بصوت عالٍ لاعتماد الإيقاع Rythm، فإذا كان النص سريالياً فإن فرص نجاحه تكمن في مدى اقترابه من الواقع بتوسط الكلمات، معنى ذلك ألا تنقاد للُغة؛ لأن لها طريقتها الخاصة لمعرفة مقاصدك الظاهرة والسخيفة؛ لذلك عند كتابة أي رواية فإنني أعمل ببطء وروية؛ لأنني قد أعدّل مسار الرواية في أي لحظة. ومعظم رواياتي كتبتها أكثر من عشرين مرةً، وينتهي الأمر في الأغلب الأعم باعتماد المسودة الأولى؛ لأنها الأقرب من الصدق والعفوية، وأحياناً أتوقف تماماً عن الكتابة تحت وطأة إحساس مخيف بأن الحياة شيء واللغة شيء آخر، وأنهما لا يتآلفان مطلقاً، ويظل التحدي قائماً: كيف أوفّق بينهما؟

وفي النهاية قد يكون ما تصنعه باللغة شديد الاختلاف عن وقائع الحياة التي نعيشها يومياً؛ لذلك أشعر أحياناً أن هذه إشكالية أزلية، وأن ما أقوم به بوصفي روائية محض إشعال النار في أعشاب الوهم.

● إذا كانـت اللغـة عاجزةً عـن التعبير في ميدان المسـموح بـه، فكيف يكون الأمر في مجال المحظورات؟

من هنا تبدأ الهواجس والمخاوف والرعب الذي يلازمني في أثناء الكتابة. فما يقال شيء، وما لا يقال قائم هناك في بطن الكتابة نفسها، ويطفو من حين لآخر إلى السطح ليلامس المكتوب ولو على استحياء. وعلى الكاتب أن يتعايش مع

كانت الأبقار معظمها أقرب إلى الهياكل العظمية؛ واعتاد تشاوتشيسـكو شـحن قطعان الأبقار السـمينة إلى الريف؛ لتقـوم كاميرات التلفاز بتصويرها؛ للتدليل على وفرة لحوم الأبقار وجودتها

الأدب هـو امتـداد طبيعـي لقـدرة كل طفـل علـى التخيُّـل؛ أي أن ما يحدث على صعيد السـرد الروائي المنظّم هو امتداد لطاقة التخيُّل التي يملكها كل طفل





هيرتا مولر في سطور



هيرتا مولر روائية ألمانية، وُلدت في رومانيا في ١٧ أغسـطس عام ١٩٥٣م، ونالـت جائزة نوبل في الأدب عـام ٢٠٠٩م؛ لتكون المرأة الثانية عشـر التي حصلـت على الجائزة في هذا الفرع منذ إطلاقها عام ١٩٠١م.

كان والدهـا يعمـل فـي الحرس النـازي الخاص خـلال الحـرب العالمية الثانيـة، ورَحَّل الشـيوعيون الرومانيـون والدتها إلى معسـكر اعتقال في الاتحاد السـوفييتي بعد الحرب. عملت هيرتا مترجمة، لكنها طُردت من عملها؛ لرفضها العمل لحسـاب الشرطة الخاصة التابعة للديكتاتور السابق نيكولاي تشاوتشيسكو.

هربت إلى ألمانيا عام ١٩٨٧م، بعد منع نشـر كتاباتها في بلادها، ومن بين أشـهر رواياتها: (جواز السفر) التي نُشرت عام ١٩٨٦م في ألمانيا، وتُرجمت عام ١٩٨٩م، و(الموعد) التي نُشرت عام ٢٠٠١م.

مـن أعمالها المترجمة إلى العربية: (أرجوحة النفس)، مشـروع «كلمة للترجمـة» التابـع لهيئـة أبو ظبـي للثقافة والتـراث، و(الملـك ينحني ليقتـل)، ترجمـة وحيد نادر، صدرت عن سلسـلة الجوائـز، التابعة للهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١١م.

هذه الازدواجية المرعبة: ازدواجية الإفصاح والكبت، والكلام والصمت في آنٍ واحد.

● هناك الصمت القابع في أعماق كل شخوص الرواية، وهناك الصمت الذي يضرب خيمته في ساحة النص.

الصمت حالة من حالات الكلام، وأحياناً يكون أكثر بلاغة من الكلام. الصمت والكلام متماثلان، وهما من أهم مكونات اللغة. وفي حياتنا اليومية نحن في حالة اختيار لا تنتهي لما يمكن أن يقال، وما لا يمكن الإفصاح عنه مهما كانت الظروف، كل هذا قد يقع بصورة غريزية. هناك ما نخفيه دائماً في لحظة التكلم. فإذا طُلب منا وصف واقعة معينة عايشناها جميعاً في مكان وزمان محددين، فإن رواياتنا ستكون مختلفةً باختلاف زاوية النظر ووجهته، فلو كانت رواياتنا متطابقةً على نحو كبير، فإن كل واحد قد يتحفظ من ذكر تفاصيل معينة، على حين يسهب في تفاصيل أخرى. هذه مسألة واضحة للغاية، وقد خبرتها في قريتي؛ حيث يكتفي بعض الناس بالتحدث عما يريد الآخرون سماعه من دون إقحام آرائهم أو أحكامهم الذاتية. وعندما انتقلت من القرية إلى المدينة وجدت أهلها كثيري الكلام، وأن معظم ما يقولونه لغو محض لا طائل تحته ولا فائدة ترتجى منه. ثم إنهم يتحدثون طوال الوقت عن أنفسهم، وهذا شيء غير مألوف لي وشديد الغرابة.

صفوة القول كان الصمت لي شكلاً من أشكال التواصل، وفي نهاية الأمر يمكن أن نعلم أشياء كثيرة عن الشخص من خلال النظر.

وفي بيتنا في القرية كنا نعرف كل شيء عن كل فرد في الأسرة من دون الحاجة إلى الكلام. هذا هو الشكل الطبيعيّ والمستأنس للصمت، لكن هناك أنواع أخرى من الصمت خصوصاً ذلك النوع الذي فرضه تشاوتشيسكو.

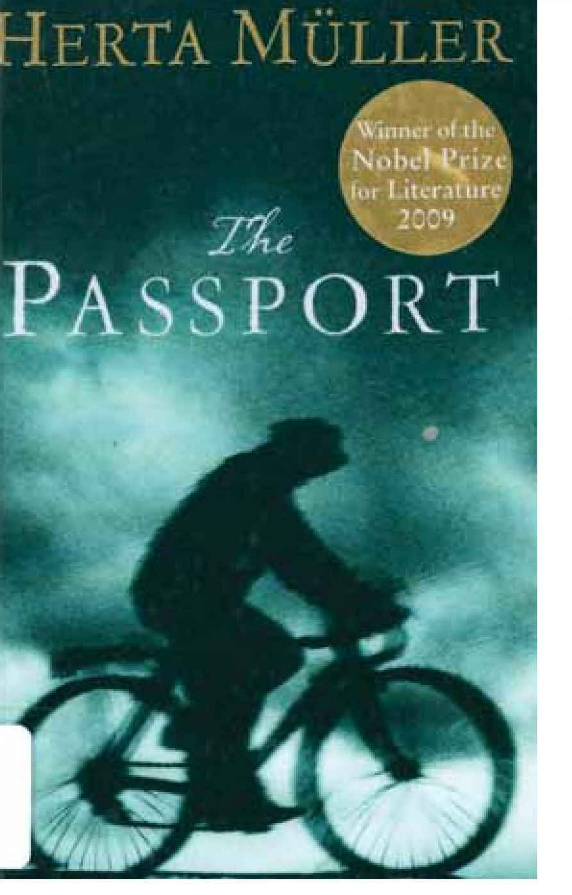
● هناك نوع أخر من الصمت في أعمالك. فكاتي سنتري في (ملاك الجوع) معوقة ذهنياً وتتواصل بصعوبة؟

لكنها تتحدث أكثر من باقي الشخصيات.



معظم رواياتي كتبتها أكثر من عشرين مرةً، وينتهي الأمر في الأغلب الأعم باعتماد المسودة الأولى؛ لأنها الأقرب من الصدق والعفوية

الصمت حالة من حالات الكلام، وأحياناً يكون أكثر بلاغةً من الكلام. الصمت والكلام متماثلان، وهما من مكونات اللغة



وعموماً أميل دائماً إلى الحوارات المقتضبة، وأكره قواعد النحو الألماني التي تتم على حساب صدق الانفعال والتعبير.

وسوف تلاحظ أني أستعمل دائماً الفعل المضارع أو الماضي البسيط؛ لأنهما قريبان من لغة الريفيين البسطاء خصوصاً أهل قريتي.

● لاحظت قلة استخدامك علامات الوقف والاستفهام والتعجب وغيرها.

أنواع الجمل واضحة من طريق كتابتها، ولا حاجة إلى إزعاج القارئ بتلك العلامات مادامت بنية الجملة وتراكيبها يفيان بذلك.

● لنتحدث قليلاً عن سنوات النشأة الأولى!

كان بيتنا يخلو تماماً من الكتب حتى كتب الأطفال

الخيالية. معظم الكتب التي اطلعت عليها في ظل الاشتراكية كانت جزءاً من المقررات الدراسية.
وأنا في التحليل الأخير سعيدة بذلك؛ لأنني اتجهت إلى الأدب من دون توجيه أو إرشاد؛ لا من أسرتي، ولا من المجتمع، ولا من أجهزة الدولة؛ أي أنني اكتشفت هذه العوالم بنفسي من دون تدخُّل أو وصاية أو تأثير من أي جهة. هكذا أدركت أن الأدب هو امتداد طبيعي لقدرة كل طفل على التخيُّل؛ أي أن ما يحدث على صعيد السرد الروائي المنظّم هو امتداد لطاقة التخيُّل التي يملكها كل طفل على نحو عفويّ وغير منظم، وأحياناً على نحو خارق لكل منطق.

قبل عدة سنوات قدمت ورقة بعنوان (الأدب كشهادة) بندوة في السويد. وقلت: إنك لا تعدين أعمالك شهادات، وإن فِعل الكتابة لا يطابق فعل المشاهدات إلا بصورة مجازية للغاية!

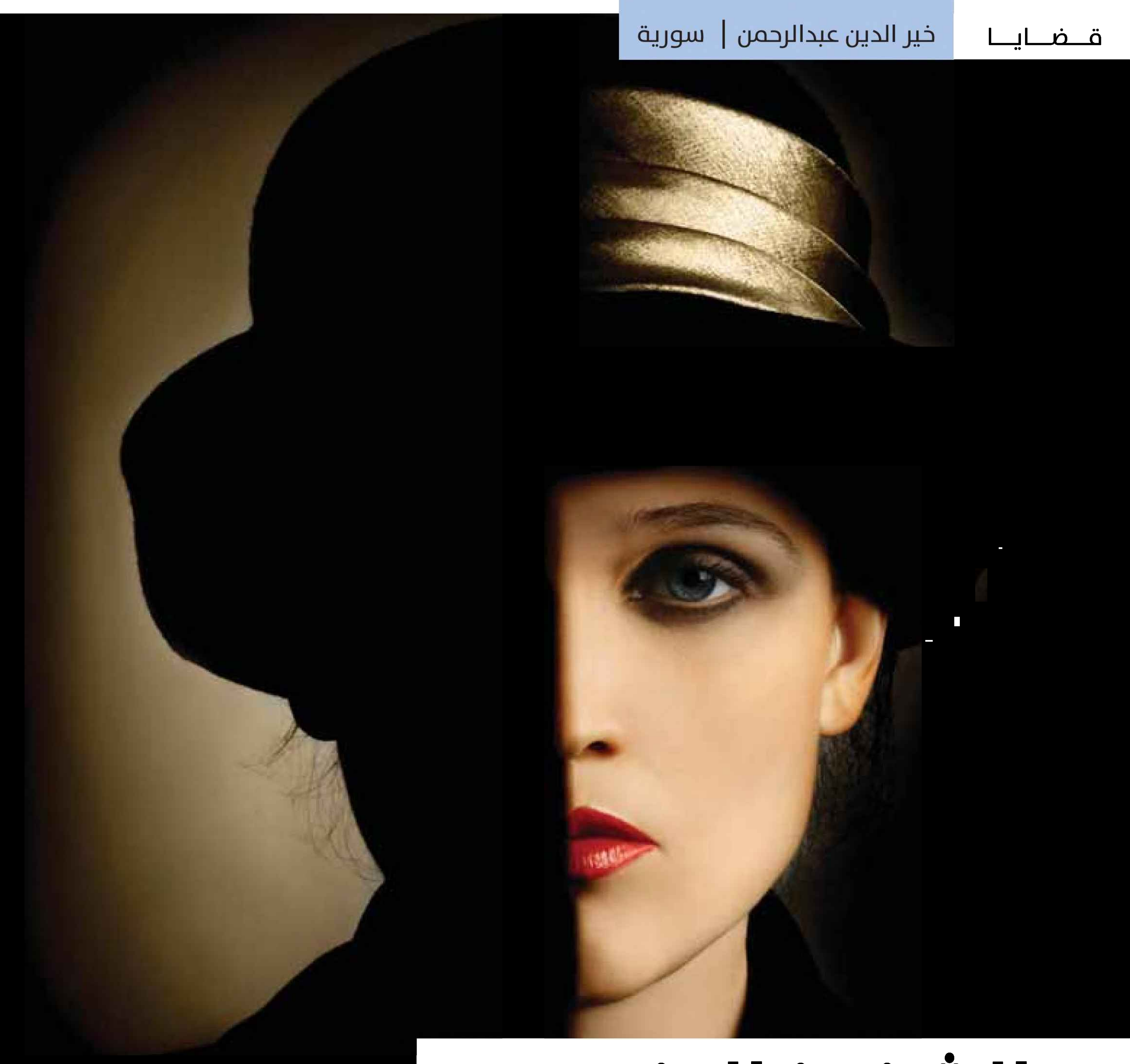
الكتابة الأدبية لم تكن هدفاً لي في أي لحظة، فعندما شرعت في الكتابة في أثناء عملي في مصنع بالعاصمة كان دافعي الأساسي استعادة الثقة بنفسي؛ لأن كل الأبواب كانت مغلقةً، ولم أكن أعرف أين الملجأ، وإلى من ألتجئ، وأي مصير ينتظرني؛ إذ إن والدي مات قبل سنوات، والعودة إلى القرية صار مستحيلاً. كنت فاقدة الاتجاه، وكانت الشرطة السرية تمارس كل فنون الاضطهاد والمضايقات ضدّي بشكل يوميّ. لم يكن بوسعي ترك العمل في المصنع، وحرصت على ألا أعطيهم أي مسوغ لطردي من العمل؛ لكل هذه الأسباب والملابسات اتجهت إلى الكتابة، فإذا كل ما اختزنته في حياتي بوصفي قروية بسيطة يغمرني كسيل عارم؛ لذلك أقول: إنني لم أقصد إلى أن أنتج أدباً، لكنني وضعت ما أحسّه على الورق؛ كي أستعيد توازني الفكري والنفسي فلا أفقد السيطرة على زمام الأمور.



قد يكون ما تصنعه باللغة شديد الاختلاف عن وقائع الحياة التي نعيشها يومياً؛ لذلك أشعر أحياناً أن هذه إشكالية أزلية، وأن ما أقوم به بوصفي روائية محض إشعال النار في أعشاب الوهم

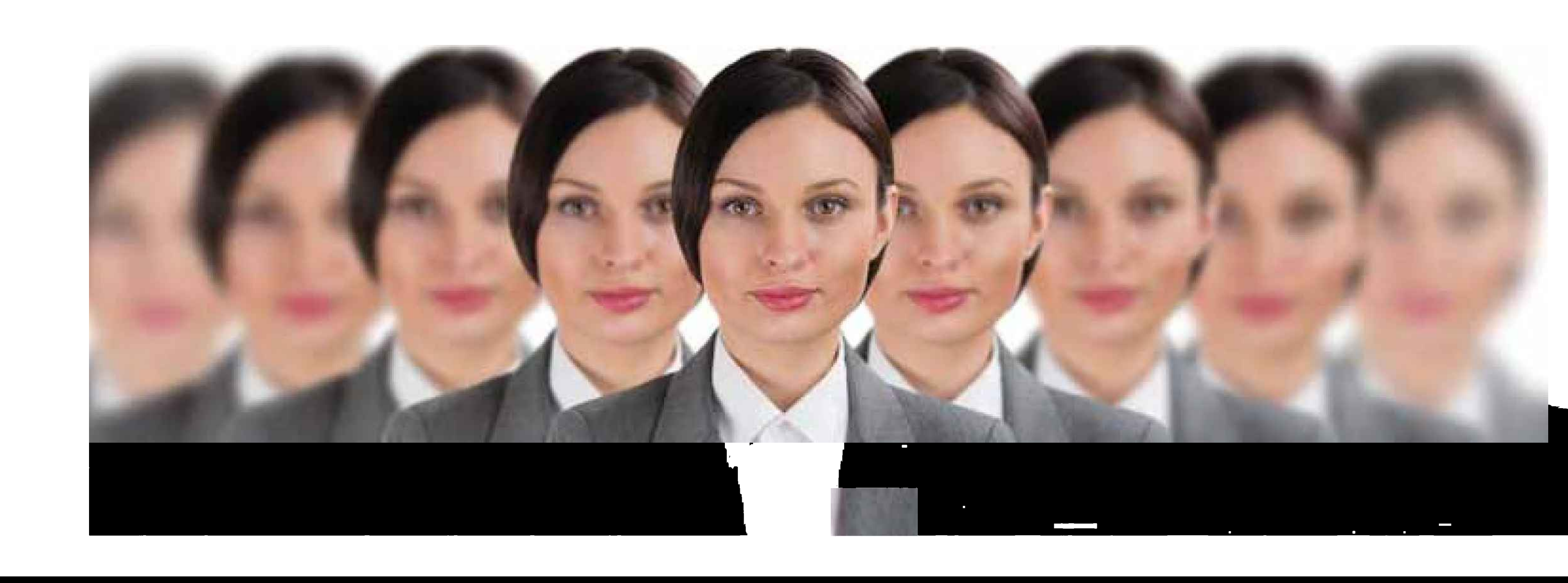


خير الدين عبدالرحمن | سورية



الشذوذ الجنسي.. وتدمير الذات البشرية

كشف إحصاء أعدّه جهاز الخِدْمات الصحية الوطنية في بريطانيا أوردته صحيفة (ديلي ميل) البريطانية في شهر إبريل عام ٢٠١٢م أن نحو ٢٠ ألف رجل في حالة حمل، ويحصلون على الخِدْمات الطبية الخاصة بالنساء، وطلبوا الحصول على خدمات الولادة في المدة من (٢٠٠٩ -٢٠١٠ م)، ورأت الصحيفة أن ما هو أشدّ لفتاً للانتباه أن ١٧ألف رجل من هؤلاء طلبوا علناً الحصول على الخدمات المخصصة للنساء الحوامل، وقد زار أكثر من ٨ آلاف رجل من هؤلاء أطباء متخصّصين في أمراض النساء والتوليد، وأنجب شاب بريطانيّ قبل نحو شهرين طفلاً بصحة جيدة بعد إجرائه عملية جراحية لتهيئته للحمل.



تشعّبت أبحاث الهندسة الوراثية وتجاربها وتطبيقاتها في شتّى الحقول، وجاءت عدّة إعلانات متلاحقة عن النجاح في استنساخ بشر، أو تصنيع (أصناف) جديدة من (إنسان حيواني) أو (حيوان مُؤَنْسَن)؛ لتثير الجدل والنقاش طويلاً. لا يبدو أن مثل هذا التوجّه من توجهات الهندسة الوراثية وإنجازاتها الإيجابية والسلبية، يحتمل مروراً عابراً بما قد يبدو أكثر إلحاحاً وسخونة من مسائل ذات تأثير يوميّ مباشر. يزيد من الحاجة إلى التمعّن في توجهات إنجازات الهندسة الوراثية ارتباطُها الوثيق بما شهده عالمنا في العقود الأخيرة من انقلابات في القيم، وقواعد السلوك، ومناهج الحياة، وعلاقات المجتمعات والدول.

زعيم الرائيلية ابن غير شرعي

باتت قضية استنساخ البشر أشد خطورة في زمن انتشار فلسفة تسوّغ ممارسة إبادة جماعية للتخفيف من حدّة (الانفجار السكّانيّ). وصارت القضية أكثر جدلاً وإلحاحاً عندما وقفت الطبيبة الفرنسية بريجيت بواسيلييه في ٢٠٠٢/١٢/٢٨م نيابة عن شركة (كلونايد)، المرتبطة بالرائيليين، في مؤتمر صحفيّ عقدته في فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية، على حين تدلّت نجمة داود السداسية؛ شعار الصهيونية وكيانها الاستيطانيّ في فلسطين، وشعار الطائفة الرائيلية التي تنتمي إليها تلك الطبيبة، من قلادة بعنقها؛ لتعلن نجاح أول عملية استنساخ بشرية بولادة طفلة لأم أمريكية بعملية قيصرية. حضر ذلك المؤتمر الصحفيّ الاحتفاليّ أقطاب تلك الطائفة، خصوصاً (نبيها المزعوم)، الذي أسسها عام ١٩٧٠م، الفرنسيّ كلود فويليرون الذي قرّر تسمية تلك الطفلة (حواء)، لكن خالة كلود أعلنت في اليوم التالي مباشرة أنها قد شاركت أمه في تربيته وتنشئته، وأن كلود ليس مستنسخاً من مخلوق فضائيّ كما زعم وأقنع أتباعه، بل هو ابن غير شرعيّ ليهوديّ كان عشيقاً لأختها، ثم تركهما.

استخدمت الطبيبة الرائيلية مراراً كلمة (خلق) في مؤتمرها الصحفيّ، قائلة: «لقد خلقتُها أنا»، وكررت القول: «نعم، أنا خلقتُ هذه الطفلة!»، فتدفّق سيل من التشكيك والاستنكار والإدانة، تصديقاً لما توقّعه آنذاك رئيس تحرير مجلة (علم وحياة) الباريسية فور ذيوع الخبر، من أن هذا -إن صح- سيكون زلزالاً يزلزل العالم، لا

كلود زعيم الرائيلية ليس مستنسخاً من مخلوق فضائيّ كما زعم وأقنع أتباعه، بل هو ابن غير شرعيّ ليهودي

محض خبر... ولم تلبث الطبيبة أن أعلنت -من دون ظهورها- عن ولادة ثانية، ثم ثالثة بوساطة وسائل إعلامية متعددة.

لماذا فلسطين المغتصبة؟

كان طبيب إيطالي اسمه سفرينو آنتنوري قد أعلن قبل ذلك بفيض من التباهي والخُيَلاء والتحدّي أن أول جنين بشريّ مستنسخ يولَد سيكون أحد أجِنّته الخمسة الذين يمثّلون أول مجموعة بشرية أشرف على استنساخها. وقد حدّد آنذاك مطلع يناير عام ٢٠٠٣م موعداً لذلك الحدث التاريخيّ -كما قال- عندما تضع امرأة الجنين الأول في بلد رفض تحديده. ردّ باناريوتيس مايكل سافوس، وهو شريك سابق للطبيب الإيطالي في أبحاثه، وفي تجارب تلقيح صناعيّ سابقة أجراها، متحدّياً الطبيب الإيطاليَّ ومتهماً إيّاه بالكذب، وأوضح أنه قد جمع خلايا من سبعة أشخاص رغبوا في استنساخ أنفسهم، وأنه سوف يحقن المحتوى الوراثيّ لتلك الخلايا في بويضات بشرية نسائية مفرّغة من محتواها الوراثيّ، وأكّد أنه سوف يقدّم قريباً دليلاً من الأحماض الأمينية DNA؛ ليبرهن على تطابق الأطفال المستنسخين مع الأشخاص الأصليين الذين استُنسخوا منهم (الصحف اليومية العربية، ٢٠٠٢/١٢/١٩م)، لكن الطبيبة الفرنسية (الرائيلية) بريجيت بواسيلييه عاجلت هذا الطبيب وشريكه السابق مدّعيةً انتصارها هي؛ إذ سبقتْهما بإعلان نجاحها في استنساخ أول طفلة من أصل خمسة أجِنَّة، قالت: إنها تشرف على

صرّح الناطق بلسان وزارة الأديان في الكيان الصهيوني، للإذاعة الإسرائيلية أن المستنسخة قد دخلت مطار اللد بطريقة (شرعية)، والقانون لا يمنع دخول المستنسخين



البشر.. كائنات فضائية

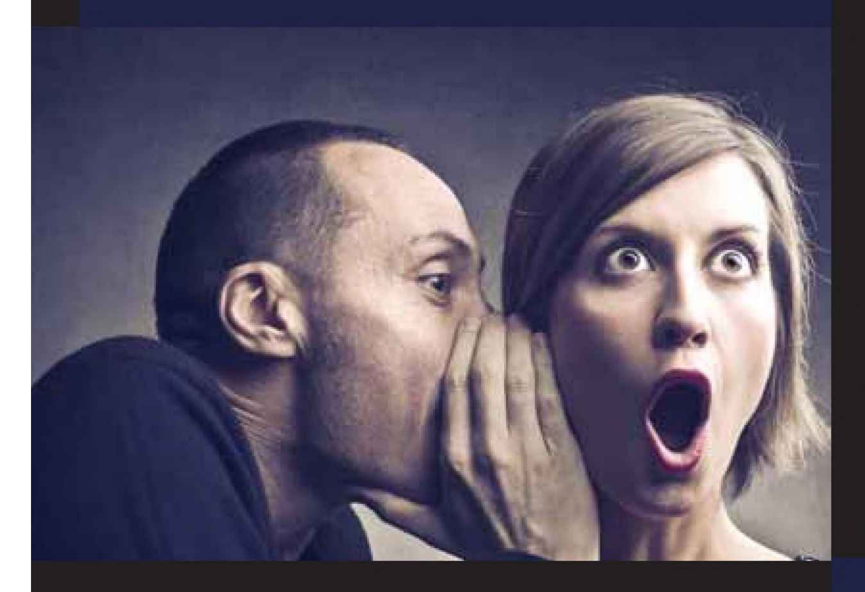
تأسست الطائفة الرائيلية عام ١٩٧٠م، وتضم عدداً من العلماء، والأطباء، ورجال الأعمال، وسواهم. وقد انتشر أتباعها في كندا، والولايات المتحدة الأمريكية، وغيرهما، وهم يؤمنون بأن الجنس البشريّ جاء أصلاً نتيجة عملية استنساخ قامت بها مخلوقات فضائية هبطت الأرض قبل خمس وعشرين ألف سنة في مَهمَّة مقدسة!

استنساخها، وتعمَّدت أن تعلن هذا قبل أيام قليلة من الموعد الذي حدَّده الطبيب الإيطاليّ، وقبل الموعد التقريبيّ الذي أعلن عنه منافسُه وغريمه. خفت حدة الجدل والنقاش الواسع التي فتحها إعلان الطبيبة الفرنسية الرائيلية، حتى بعدما افتضح كذب كثير من ادعاءاتها، وكذلك ادعاءات بعض من زعموا مثل زعمها، لكن اللافت للنظر هو تقاطع مواقع إجراء ما قيل: إنه استنساخ بشر، وفقاً لما نُشِر، أو سُرِّب، أو اكتُشف آنذاك بفلسطين المغتصبة؛ مما جعل السؤال أكثر إلحاحاً عن الهدف الحقيقيّ من تلك الظاهرة وما وراءها، وعن انتماء سدنتها.

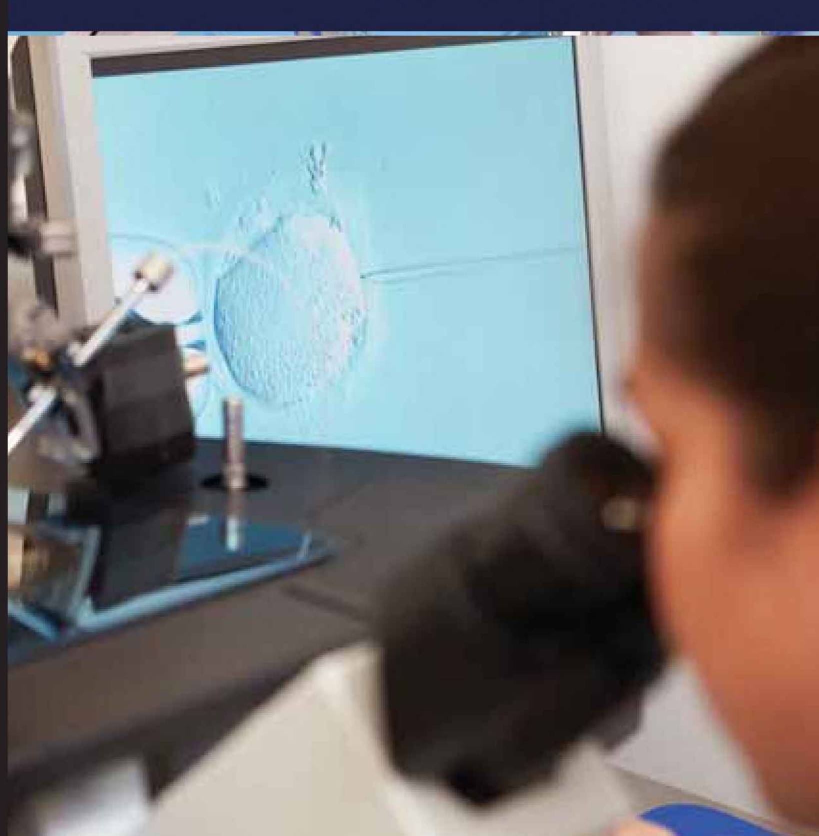
إنه في تاريخ ٢٠٠٣/١/٣٠م؛ أي: بعد شهر ويومين من مؤتمرها الصحفي، وقفت بريجيت بواسيلييه بوصفها رئيسة شركة (كلونايد) المرتبطة بالرائيليين متهمةً أمام محكمة في ولاية فلوريدا، وقالت: «إن الطفلة المستنسخة (حواء) موجودة في إسرائيل حيث إن ولادتها (وكذلك كلّ مراحل تصنيعها) قد أُجريت هناك!»، وأكّدت هذه الطبيبة أن تلك الطفلة لم تكن يوماً في ولاية فلوريدا، أو في أيّ ولاية بالولايات المتحدة الأمريكية، مع أنها هي نفسها قد أعلنت عن ولادتها في فلوريدا. وقالت الطبيبة للمحكمة: «إنها لم ترَ تلك الطفلة أبداً بشكل مباشر، وإنما وصفتها في المؤتمر الصحفيّ اعتماداً على مشاهدة أفلام فيديو ظهرت الطفلة فيها»؛ عندئذ قرَّر القاضي الأمريكيّ إغلاق الملف، وإسقاط القضية؛ لأن الوقائع لم تقع في الولايات المتحدة الأمريكية، فهي خارج نطاق أهليته من الناحية الجغرافية. هنا كان واضحاً أن قرار القاضي قد جاء نتيجة عبث بالمعطيات، وتزوير وقائع، وتحايل على نصوص القانون وجوهره. في اليوم نفسه، صرّح كوبي دوري، الناطق بلسان وزارة الأديان في الكيان الصهيوني، للإذاعة الإسرائيلية أن الطفلة قد دخلت مطار اللد بطريقة (شرعية) عقب تحريك دعوى قضائية ضدّ الطبيبة في ديسمبر عام ٢٠٠٢م من دون تحديد يوم. وقال الناطق الدينيّ: إن القانون لا يسمح بالاستنساخ، لكنه لا يمنع دخول المستنسخين. (انظر صحف ٢٠٠٣/١/٣١م).

إن البحث المتعمّق والتدقيق الشديد في الجهات والعوامل والفلسفة التي تقف خلف جهود هذا الاستنساخ مسألة بالغة الإلحاح والأهمية. أما التركيز في التفاصيل التقنية، أو التقييم الفقهيّ، أو التوقعات المحتملة، أو العواقب الأخلاقية والاجتماعية والقانونية والاقتصادية والثقافية المترتبة على ظاهرة استنساخ البشر مِن دون كشف مَن وراءها، فإنه يسهم في تضييع الحقيقة، أو اختزالها وتشويهها على الأقلّ.

التدميـر القيمـيّ والإفسـاد الأخلاقيّ، سـواء أكانا مصمَّميْنِ لاستهداف أمم الجنوب، أم كانا مصمَّميْنِ ليبدأ انتشـارهما من أصحابهما، ثم تنتقل عَدْواهما إلى سائر الأمم أشدّ فتكاً من أسلحة الإبادة الجماعية المادية



انتشـرت عدة مدارس (فكرية) تسوّغ الإبادة الجمعية التي عرف العالم سـوابق لها في إقدام الاستيطان الأوربيّ الأبيض على إبادة شعوب البلاد الأصليين



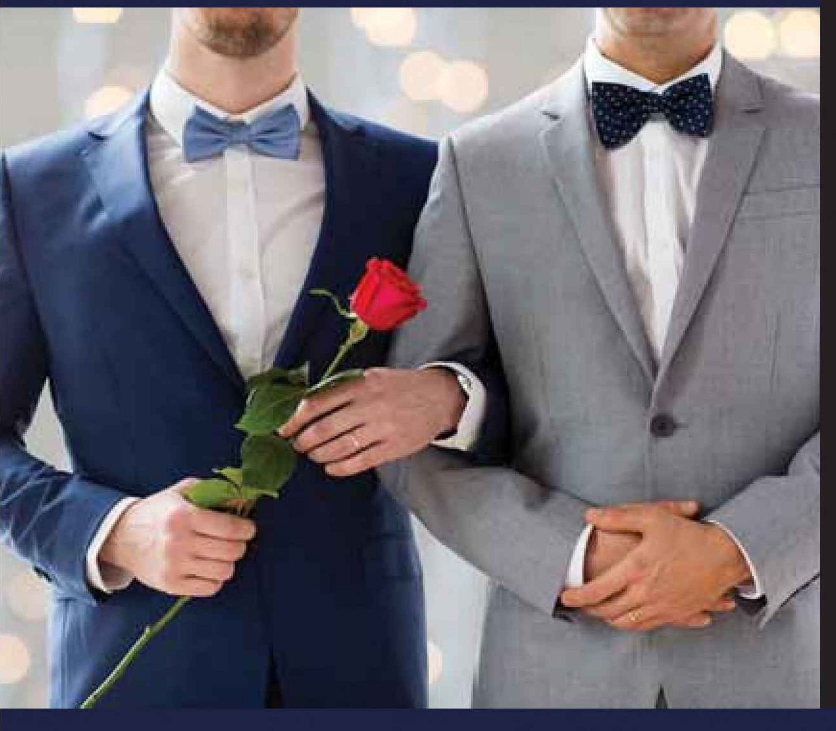
التدمير الذاتي للبشرية

ما كان لتباهي الحضارة المادية بما حققت من إنجازات كثيرة أن يحجب المخاطر الهائلة المتوالدة التي تهدّد البشرية نتيجة تزايد انتشار الفساد



بمواكبة تلك الإنجازات، وأحياناً نتيجة لها. بل إن بعض مخاطر ذلك الفساد تفوق ما تراكم من إنجازات إيجابية مبهرة في حالات كثيرة .
لقد بيَّن الله -عز وجل- دور الفساد بعدما خلق الإنسان في أحسن تقويم؛ إذ قال: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١)، وأخذ الفساد يستفحل ويستشري جيلاً بعد جيل؛ ليبلغ تخوم التدمير الذاتيّ الشامل للحياة البشرية، أو لنقل الانتحار الجمعيّ للناجين من احتمالات الموت بأسلحة الإبادة الجمعية التي تمضي الحضارة المادية المعاصرة في تطويرها ونشرها! بل إن عدة أوساط في القوى الدولية المهيمنة قد جاهرت بضرورة التخلّص من أمم بأسرها، أو من أغلبية مجتمعات عدَّتها فائضاً بشرياً متخلّفاً مستهلكاً من دون إنتاج يتناسب مع استهلاكه. لقد انتشرت عدة مدارس (فكرية) تسوّغ هذه الإبادة الجمعية التي عرف

العالم سوابق لها في إقدام الاستيطان الأوربيّ الأبيض -فيما سمّي لاحقاً القارة الأمريكية- على إبادة شعوب البلاد الأصليين؛ من المايا، والإنكا، والأزتيك، وسواهم، وكذلك إقدام الاستيطان الأوربيّ البريطانيّ خاصةً على إبادة الأبوريجيين؛ سكان أستراليا الأصليين، وعلى إبادة الماوريين؛ سكان نيوزيلندا الأصليين على نحو أقلّ، وكرّر الاستيطان اليهوديّ، الذي أفرزه الغرب، وتبنّى غزوته واغتصابه فلسطين، وتعامى عن ممارسته الإبادة الجمعية بفلسطين، وارتكابه مجازر متتابعة بحق الفلسطينيين، إضافة إلى اقتلاع ثلثي الشعب الفلسطيني بالقوة، وتشريد أغلبيته بالمنافي منذ عام ١٩٤٨م، والقتل الجماعي الذي تعرّض له شعبا أفغانستان والعراق على امتداد العقد الأول من القرن الحادي والعشرين.



التخلص من الأمم

بحث كثيرون فيما تسببت به الحضارة المعاصرة من إخلال هائل بالتوازن البيئيّ، الذي يعاني البشر جميعاً اليوم آثاره المتفاقمة على أصعدة مختلفة؛ من اضطرابات مناخية، وأوبئة غير مسبوقة، ومزيد من التصحّر والمجاعات والكوارث، لكن الحاجة أكثر إلحاحاً للتوقّف عند التصحّر الأخلاقيّ القيميّ، فهذا أشدّ تخريباً، وأكثر تدميراً للبشرية قاطبةً، لا لضحاياه المباشرين فحسب. هنا لا تستطيع الحضارة المادية السائدة بإنجازاتها العظيمة، وابتكاراتها واختراعاتها الكثيرة أن تمحو الآثار المترتّبة على ما أفرزته وتسببت فيه من كوارث على امتداد العالم. يكاد حجم الفساد المتفاقم والمستفحل يبلغ حد الانتحار الجمعيّ، لا بأسلحة دمار شامل تتابع قوى الحضارة المادية تطوير مزيد منها وإنتاجها فحسب، إنما باستهداف أمم بأسرها عبر وسائل أخرى، بعدما عدّتها تلك القوى المهيمنةُ مجردَ هباء، أو كائنات مستهلكة ضارّة، ورأت -وفقاً لمنطق السوق- أن التخلّص من تلك الأمم مشروع، بل ضروريّ!

رئيس إدارة تسجيل العقود في أمستردام، توقّع عشرة آلاف حالة زواج بين الشواذّ كلَّ عام؛ أي عشرة بالمئة من متوسط عدد حالات الزواج السنويّ

تقنين الانحرافات السلوكية يؤدي إلى نشرها في المجتمعات، ومهاجمة الالتزام الدينيّ، وتشويه قيمه، واضطهاد أهله

لا بشرية.. ولا إنسانية

يلتقي الإصرار على محاولات استنساخ بشري، و(إنتاج بشر يتمتعون بقدرات وصفات خارقة)، في إطار مشروع هيمنة مجنونة على العالم؟ كشف بعض علماء الهندسة الوراثية والتقنيات البيوتكنولوجية أن جوهر هذا الإنتاج هو حقن خلايا بشرية بخصائص وراثية لأسد مثلاً؛ إن كان المراد قوة خارقة، أو بالخصائص الوراثية لنمر أو فهد؛ إن كان المطلوب سرعة الوثب والقفز وتفوّق في الافتراس، أو بالخصائص الوراثية لثعلب؛ إن كان المطلوب دهاءً خارقاً وخبثاً، أو لأفعى أو سوى ذلك.. ويمكن عكس الآية؛ أي: حقن خلايا حيوانية لأسد أو نمر أو دبّ أو حوت بخصائص وراثية بشرية! وبناءً على ذلك فلن تكون تلك الأصناف -إذا أُنتِجت- بشريةً ولا إنسانية. كما أن الشكَّ كبير في إمكانية ضمان سيطرة تلك القوى والمجموعات المهيمنة الساعية إلى هذا الإنتاج العابث على ما تنوي إنتاجه لاستخدامه على نطاق واسع، أو على نطاق محدود لتعزيز هيمنتها، مهما أحكم المُبرمِجون برمجتهم.

التدمير القيمي

لقد تعدّدت وسائل الإبادة الجماعية التي استُخدمت ضدّ أمم ومجتمعات كثيرة في العالم، إلا أن التدمير القيميّ والإفساد الأخلاقيّ، سواء أكانا مصمَّميْنِ لاستهداف أمم الجنوب، أم كانا مصمَّميْنِ ليبدأ انتشارهما من أصحابهما، ثم تنتقل عَدْواهما إلى سائر الأمم بزعم أنهما من الإنجازات الحضارية، هما أشدّ فتكاً من أسلحة الإبادة الجماعية المادية؛ نقف مثلاً



عند نماذج تشريعية وسلوكية تعكس مدى الانهيار الذي بلغه التعامل فيما بين البشر، ونتمعّن في جذور التدهور المتزايد ودوافعه التي تهدد العلاقات الإنسانية والمجتمعية، ويراد تسويقه ضمن منظومة أوسع نطاقاً إلى باقي المجتمعات معياراً للتحضّر؛ ففي منتصف شهر يناير عام ٢٠٠٢م أعلن وزير مالية النرويج بيير كريستيان فوس، البالغ من العمر اثنين وخمسين عاماً، زواجه رسمياً بصديقه يان إيريك كنار باك، المدير في مجموعة شيبستد النرويجية للإعلام، بعد علاقة شاذة جمعت الرجلين طويلاً في شقتهما بحيّ فروجنر في العاصمة النرويجية أوسلو. جاء إعلان الوزير النرويجيّ متباهياً في تصريح نشرته صحيفة داجنس نايرنجسليف اليومية يوم ٢٠٠٢/١/١٥م، فأكّد ما تردّد من شائعات بهذا الخصوص قائلاً: إنه قد عقد مراسم زواجه على صديقه فعلاً في الرابع من ذلك الشهر بالسفارة النرويجية بستوكهولم -عاصمة السويد- بعد سنوات طويلة من ممارستهما الزواج عملياً! (الصحف اليومية: ٢٠٠٢/١/١٦م).

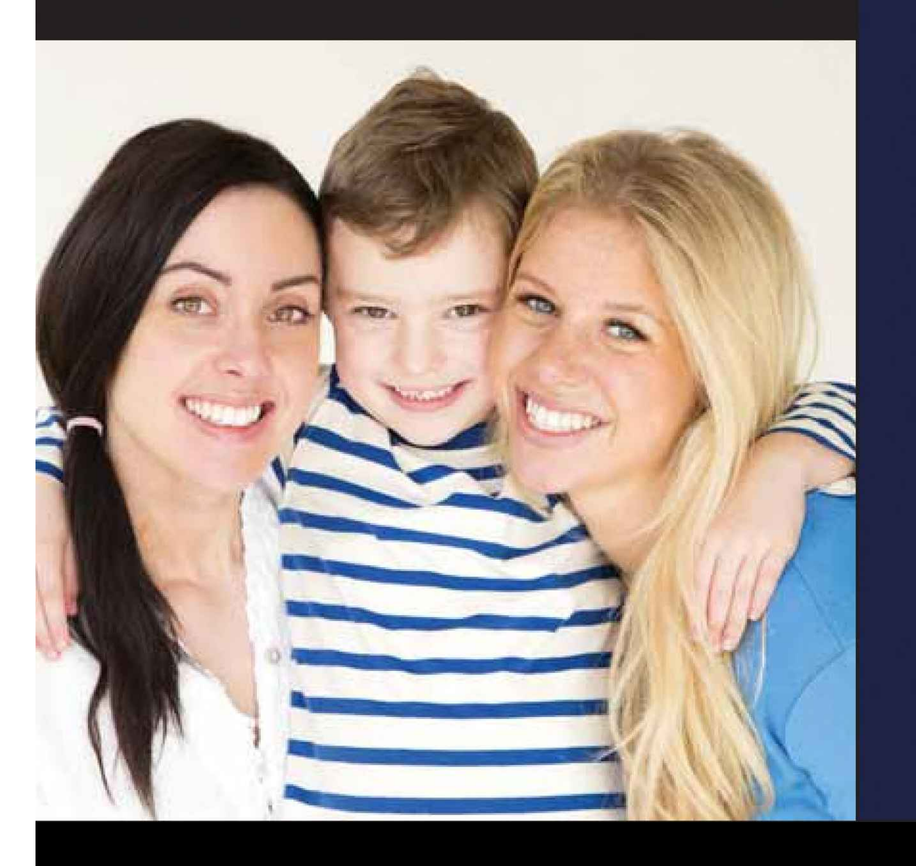
كانت النرويج قد أصبحت عام ١٩٩٣م ثاني دولة -بعد السويد- تبيح رسمياً الزواج المثليّ؛ رجل برجل أو امرأة بامرأة، بنفس حقوق الزواج الطبيعيّ، على الرغم من معارضة بعض أساقفة الكنيسة اللوثرية! قبل ذلك الزواج بأشهر قليلة، لحقت هولندا بمن سبقتها من دول أوربية أباحت حكوماتها وبرلماناتها زواج الشواذّ رسمياً، فقد دخل حيّز التنفيذ في الدقيقة الأولى من يوم ٢٠٠١/٤/١م قانون هولنديّ يسمح للمثليين بالزواج؛ أي: زواج رسميّ بين امرأة وامرأة، أو بين رجل ورجل، وينظّم هذه العلاقة الشاذة، بما يترتب عليها من حقوق مالية واجتماعية ومعنوية، بل يسمح للشواذّ المتزوجين بتبنّي أطفال أيضاً! لم يبدأ تنفيذ هذا القانون في صمت أو على استحياء، إنما جاءت البداية في احتفال رسميّ كبير أقيم بقاعة المجلس البلديّ في العاصمة أمستردام حيث تزوّجت امرأة بامرأة أخرى، وتزوّج ثلاثة رجال بثلاثة رجال آخرين.

وقد نقلت شاشات التلفاز وقائع الحفل مباشرة، كما نشرت الصحف صور هؤلاء الشواذّ وهم يقطعون قالباً ضخماً لحلوى العرس الجماعيّ هدية من بلدية أمستردام. أكثر من هذا، فإن جوب كوهين -رئيس تلك البلدية آنذاك، ورئيس حزب العمل، الذي كاد يصبح أول رئيس وزراء يهوديّ لهولندا عندما فاز حزبه بأغلبية مقاعد البرلمان في انتخابات ٢٠٠٣/١/٢٢م- وقف مخاطباً المحتفلين بعدما صادق رسمياً على عقود الزواج، وقال : «إنكم تكتبون تاريخاً بزواج امرأة بامرأة ورجل برجل...،

استنساخ الطواغيت

ونشير إلى خبر نشرته صحف ومجلات أمريكية وبريطانية عن حاكم عربيّ (مزمن) سابق دفع قبل الإطاحة به (حفنة) من ملايين الدولارات لاستنساخ نسخة منه من قبل شركة (كلونايد) التي تحدَّثنا عن استنساخ رئيستها بريجيت بواسيلييه طفلةً سمَّتْها (حواء)، التي لا حاجة إلى إضافة حرفي الألف والسين قبل الراء في اسم طائفتها (الرائيلية) لكشف انتمائها ومقاصدها. أكَّدت عدة صحف وفضائيات أن ذلك الحاكم قد اشترط في العقد (إطلاق) نسخته بعد عشرين سنة، فأثار هذا الخبر هلع ملايين العرب من احتمال أن تتفوق النسخة على الأصل، وأشفقوا على أحفادهم، شأن شعوب كثيرة، من طواغيت مستنسخة!

سوّغ الرجل (الحاملُ) خضوعه لهذه التجربة لوسائل الإعلام بظهور عمدة نيويورك اليهوديّ الشهير جولياني في برنامج تلفزيوني اسمه (سهرة السبت) مرتدياً ملابس نسائية



إنه أمر فريد في العالم».

أما رئيس إدارة تسجيل العقود في أمستردام، إيفرت جوزينج، فقد توقّع عشرة آلاف حالة زواج من هذا النوع بين الشواذّ كلَّ عام؛ أي عشرة بالمئة من متوسط عدد حالات الزواج السنويّ. جاء معظم هذه القوانين والتشريعات لتقنين أمر واقع بعد استفحاله في الغرب؛ مثلما كان أمر القانون الذي أباح تعاطي المخدرات وحيازتها بكميات (معقولة) لحاجة الاستهلاك الشخصيّ، والقانون الذي أصدرته وزيرة الصحة الهولندية، بعد عشرة أيام من نفاذ قانون زواج الشواذّ، بإباحة حرية بيع عقّار (حبوب الانتحار) وتداوله؛ لتسهيل ممارسة الناس حقّهم بالانتحار! قبل يومين من هذا، أقرّ البرلمان الهولنديّ يوم ٢٠٠١/٤/١٠م قانون السماح بالقتل الرحيم، الذي أباح للأطباء إنهاء حياة مرضى يرون استعصاء شفائهم.

التعرية... تحضر!!

تنضم هذه التشريعات ونظائرها إلى كثير مما قد فُرض ونُشر في بلدان الشمال، ثم سُرِّب، بل فرض على بلدان الجنوب؛ من انحراف سلوكيّ وانحلال خُلُقيّ. نكتفي بما تحقق مثلاً على طريق تعميم تعرية أجساد النساء، وتطبيع هذا السلوك على امتداد العالم، والزعم أن التعرية شرط لا غنى عنه للتحضّر ودليل عليه. بعد أن كان الاحتشام في الملبس سِمةً سائدة لدى نساء أوربا والولايات المتحدة الأمريكية إلى ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، التي احتفل مصمّمو الأزياء، وكان جُلُّهم من اليهود والمتهودين، بانتهائها عبر إطلاق لباس سباحة نسائيّ موغِل في الفحش بوصفه بداية؛ لتتلاحق بعد ذلك موجات عاتية لنشر العري وتعميمه بوصفه سلوكاً طاغياً. فنقلت وسائل الإعلام آنذاك قول الماسونيّ الصهيونيّ أرنولد ليز: «إن أمنيتنا هي خلق (!) مجتمع يكون أعضاؤه أحراراً جنسياً. نريد خلق (!) الناس الذين لا يخجلون من تعرية أجسادهم تماماً بعضهم أمام بعض في الأماكن العامة»! لقد قاومتْ معظم المجتمعات هذه الجائحة، لكن كثيراً من قلاع المقاومة تهاوت، فقدّمت قناة التلفاز الفرنسية الخامسة -مثلاً- برنامجاً عن استشراء الإباحية الجنسية في القنوات التلفزيونية، أعادت فيه عرض لقطات مقابلة أُجريت قبل نحو خمسين سنةً لمذيعة تلفزيونية فرنسية كشف ثوبُها النصفَ الأسفل من رُكبتَيْها، فصدر قرار إدارة التلفزيون في اليوم نفسه بطردها من العمل؛ بسبب ثيابها الفاضحة! وعلّق مقدّم البرنامج

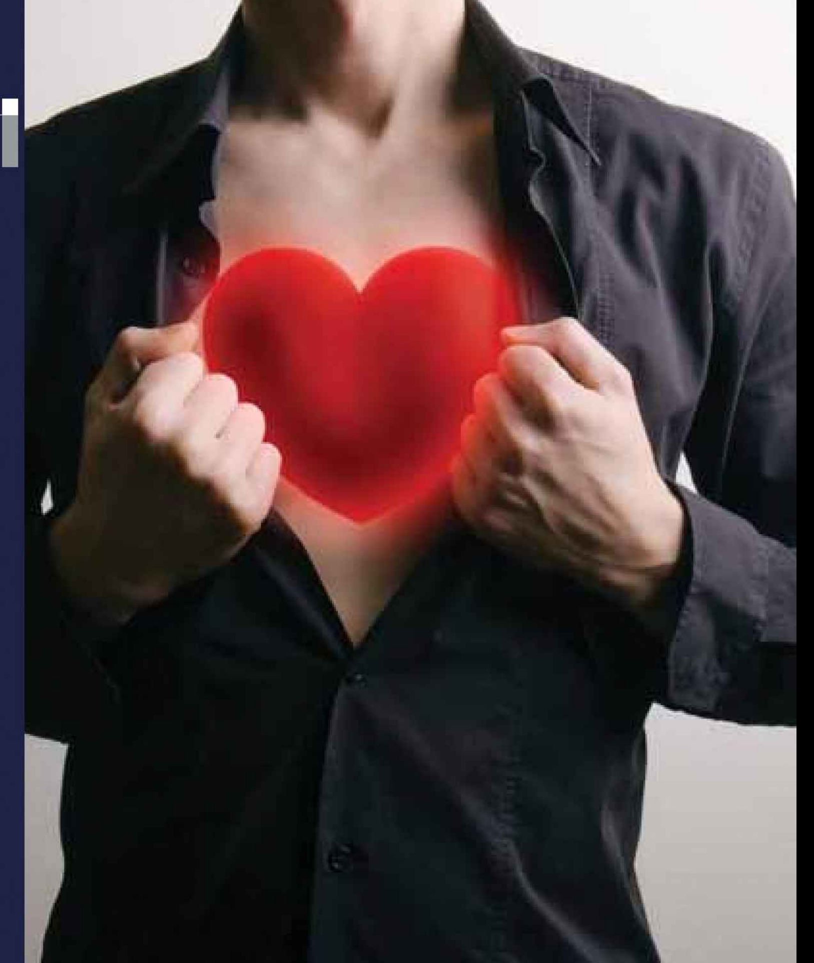
بأن مذيعة ترتدي مثل هذه الثياب اليوم سوف تفصل من عملها من دون نقاش؛ لأنها ترتدي ثياباً موغلة في الرجعية!

إفراز سلبي لحضارة مادية

إن تقنين الانحرافات السلوكية الخطيرة التي تُنشَر وتُفرَض في معظم المجتمعات، في مقابل جائحة متصاعدة تهاجم الالتزام الدينيّ، وتحاول تشويه قيمه، واضطهاد أهله، على نحو ما تشنّه موجة العداء الأعمى المفتعل للإسلام (الإسلاموفوبيا) اليوم من حرب شرسة متصاعدة، تشكّل حلقات مترابطة في سلسلة طويلة، وما ينجم عنها من تدمير بنيويّ للمجتمع وللفرد على حدّ سواء. المسألة ليست حالة شاذة لأفراد من الشواذ، بل هي إفراز سلبيّ لحضارة مادية، ينسجم مع ما سبقه، ويمهّد بدوره الطريق لإفرازات متوالدة لاحقة من القبيل نفسه، تنتشر أفقياً وعمودياً وزمنياً. نأخذ مثلاً حالة (الرجل الحامل)، ولسنا نتحدث هنا عن الفلم السينمائيّ الذي كان بطله أرنولد شوارزنيجر، حاكم ولاية كاليفورنيا الحالي، ومثل فيه دور رجل أنجب طفلةً من عملية زرع بويضة ملقحة في بطنه (!)، إنما نتحدث عن تجربة واقعية رعتها مؤسسة جينوشويس الأمريكية المتخصصة في تطوير التناسل البشري؛ لإنجاز عملية حمل حقيقيّ في بطن رجل تايوانيّ الأصل يقيم في منهاتن بنيويورك اسمه لي مينغ وي.

الرجل.. الأم

شغلت هذه التجربة كثيرين منذ إعلان مؤسسة جينوشويس إنجاز مرحلة كبير؛ لإنجاح عملية الحمل. خلاصة هذه التجربة أنه قد انتزعت بويضة من امرأة لا علاقة لها بذلك الرجل الذي أجري حقن دمه بهرمونات أنثوية، أعطيت له بجرعات كبيرة لتهيئة جسده للحمل، ووضعت البويضة في التجويف البريتوني في بطنه عقب تحويله إلى ما يشبه الرحم، وزرع مشيمة وجنين في تجويف الرجل البطني تحت الغشاء البريتوني مباشرة. توقف ذلك الرجل (الحامل) عن تناول الهرمونات الأنثوية عندما قرّر الأطباء الذين يتابعون حالته أن الحمل قد أخذ مساره (الطبيعيّ). استخدم الفريق الطبيّ فعلاً كلمة الطبيعيّ وصفاً لمسار هذا الحمل الذي لا علاقة له بالطبيعة! ثم راح الأطباء المشرفون على حمل ذلك الرجل في مشفى هامر سميث يصدرون تقارير دورية



الولايات المتحدة الأمريكية تقنّن الشذوذ وأوباما يبارك

قضت المحكمة العليا الأمريكية، وهي السلطة القضائية العليا بالولايات المتحدة الأمريكية، يوم الجمعة ٩ رمضان سنة ١٤٣٦هـ، الموافق ٢٦ يونيو عام ٢٠١٥م، بالسماح بزواجهم في الـ٥٠ ولايةً، وقرّرت أن الدستور يطلب من الولايات الأخرى أن تعترف بزواج شخصين من الجنس نفسه، وأن تبرم لهما العقود، وبعد مرور سنتين على قرارها أن الزواج ليس حكراً على (جنسين مختلفين) ألزمت المحكمةُ الولاياتِ الـ١٤ التي ترفض هذا الزواج بقبوله، وأن تبرم عقود هذا النوع من الزواج، وتعترف به في حال عُقِد بأماكن أخرى.

ووصف الرئيس الأمريكيّ باراك أوباما الحكم بأنه (انتصار لأمريكا)، ويدشن لمرحلة جديدة من الحقوق المدنية بالولايات المتحدة الأمريكية، واتّصل بأحد مقيمي دعاوى زواج المِثليّين، أمام المحكمة العليا، وهو جيم أوبرجيفيل، وقدّم له التهنئة على الحكم.

وكتب أوباما في تغريدة له على حسابه بـ(تويتر)، نشرتها شبكة (سي- إن- إن) قائلًا: اليوم يشكل خطوة كبرى في مسيرتنا نحو المساواة.. لقد أصبح الآن من حقّ مِثْليّي الجنس الزواج مثل أيّ أشخاص آخرين. وأرفق تغريدته بهاشتاج (الحب ينتصر)، وهو الوسم الذي أطلقه دعاة زواج المثليين على مواقع التواصل.

عن متابعتهم نمو الجنين. وسوّغ الرجل (الحاملُ) خضوعَه لهذه التجربة لوسائل الإعلام بأن عمدة نيويورك آنذاك اليهوديّ الشهير جولياني ظهر في برنامج تلفزيوني اسمه (سهرة السبت) مرتدياً ملابس نسائية؛ مما شجّعه على خوض التجربة. وأعرب الرجل (الحاملُ) لاحقاً، في تصريح نشرته مجلة بيبر فينس، عن تميّزه من رجال الكون جميعاً باستمتاعه بمشاعر (الأمومة)! وكرّر هذا (الرجل) نفسه التجربة بعد عدّة سنوات!

حالة أخرى لرجل أمريكيّ تحوّل جنسياً، اسمه سكوت مور، وهو في الثلاثين من عمره، وتزوّج بدوره من رجل آخر متحوّل جنسياً أيضاً اسمه توماس، فكلٌّ منهما كان أنثى، ثم خضع في مرحلة المراهقة إلى عمليات جراحية للتحول إلى ذكر. ظل سكوت محتفظاً بشهادة ميلاده وأوراقه الثبوتية التي تجعله أنثى في نظر القانون الأمريكيّ؛ مما سمح له بالزواج من توماس الذي قام بتسجيل تحوّله من أنثى إلى ذكر قانونياً. قال سكوت مور: إنه سوف يبادر إلى تسجيل تحوّله عندما يضع جنينه!

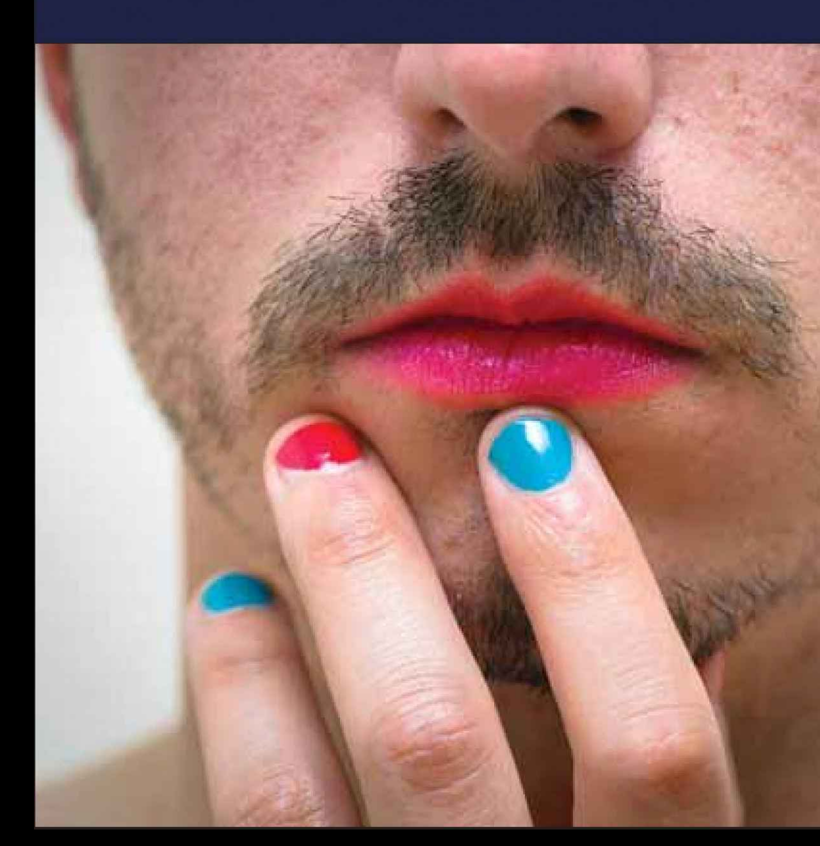
عبث لا مسوغ له

لقد تعلّمنا أن الحاجة أمّ الاختراع والابتكار، فما هي الحاجة التي تجعل تلك الشركة وهؤلاء الأطباء الذين استخدمتهم يخوضون تجربةً بهذا المستوى من العبث في جوهرها ودافعها؟ ولو صرفنا النظر عن الاعتبارات الأخلاقية والدينية، واكتفينا بالمعيار الماديّ الذي يحكم السلوك والتطور والعلاقات في مجتمع الحضارة الغربية السائدة، نجد أن العالم لا يعاني شحاً في عدد النساء المؤهَّلات للحمل والولادة بطبيعتهن؛ لكي يتذرّع أحد بأن استمرار الحياة البشرية يسوّغ تحويل رجل إلى (حالة حمل) مفتعل... بل على العكس، يضجّ أصحاب النفوذ في الغرب بالشكوى من (مخاطر الانفجار السكانيّ)، ويلقون اللائمة على مجتمعات الجنوب. فماذا وراء هذا العبث؟ لا جواب يقبله عقل سوى أن الشيطان زيّن لهؤلاء ما كانوا يعملون، فهو القائل في القرآن الكريم: ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر: ٣٩-٤٠)؛ فأيّ نفع يعود على البشرية من مثل هذه التجربة؟ وما هي ضرورة تجنيد الأطباء والمشافي ومراكز البحث لاستخدام جسد ذكر لوظيفة أنثوية بوساطة تحويل بطنه إلى ما يشبه الرحم الأنثويّ، أو ما هو بمنزلة الحاضنة الاصطناعية، سوى أن الأمر خضوع لتخريب جديد يمارسه القائل في القرآن الكريم: ﴿ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا * وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ١١٨-١١٩)

تحدّثت وسائل الإعلام قبل عقدين من الزمن عن مشاهدة كائن عجيب الشكل، ضخم الرأس، مرعب الهيئة، قويّ البنية، دقيق القوائم، سريع الركض، يمثّل خليطاً من إنسان وحيوان، استطاع أن يسبق سيارات طاردته آنذاك. أثار تكرار النبأ مدعماً بالصور رعب سكان عدة ولايات



العالَم لا يعاني شحاً في عدد النساء المؤهَّلات للحمل والولادة بطبيعتهن؛ لكي يتذرّع أحد بأن استمرار الحياة البشرية يسوّغ تحويل رجل إلى (حالة حمل) مفتعل

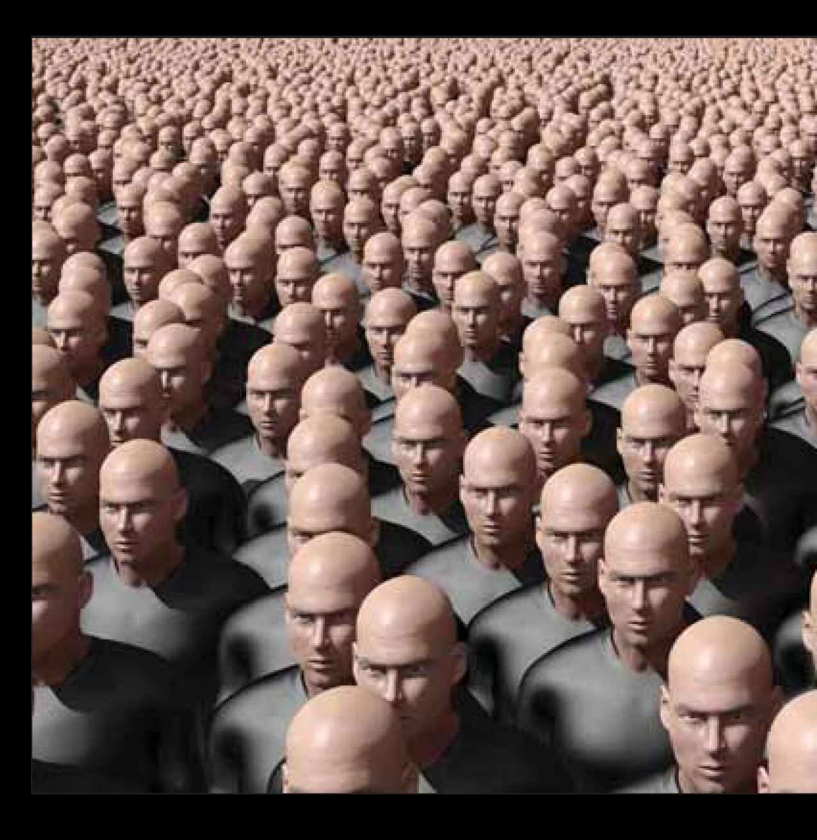




البقاء للأقوى

كان أحد مسوّغات الحروب على مدى قرون هو عدّ الحرب نشاطاً اجتماعياً مشروعاً -بل حيوياً- يشكّل إطاراً لتنشيط وتنظيم عملية (الاصطفاء الطبيعيّ) التي زعمها إفك داروين قانوناً (طبيعياً) يجعل البقاء للأصلح، وبعبارة أدقّ وفقاً لممارسات الغرب: البقاء للأقوى. هكذا أوغل محتكرو القوة في امتهان باقي البشر، ونهبهم، واستعبادهم، وإبادتهم. رافق الإخلال بالقوانين الفطرية للحياة الإنسانية، وبقيم جعلتها الشرائع السماوية إطاراً لتعامل البشر فيما بينهم؛ تجاوُز حدود وضعها الخالقُ لتعامل الإنسان مع الطبيعة؛ سواء أكانت أرضاً أم بحراً أم سماءً وما فيهن، بعدما خلق كلّ شيء بقدر، ويُحذِّر الإنسانَ عصيانَه: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ (الرحمن : ٧-٨).

أمريكية شوهد ذلك الكائن متنقلاً فيها! بعد مدة، وفي غمرة الحيرة وتضارب الاحتمالات، اعترف مسؤول في أحد مراكز أبحاث الهندسة الوراثية الأمريكية أن ذلك الكائن قد هرب منهم. لم يضف أحد شيئاً، واستمرّ اللغز يولّد أسئلة متتابعة: هل هو حيوان له شيء من مظهر البشر عُثِر عليه في غابة كما زعم بعضهم؛ أم أنه نتاج مخبريّ لعملية استنساخ بشريّ لم تحقّق ما يكفي من النجاح؟ بعد وقت من التعتيم الشديد على تلك القضية، وعلى عدة نشاطات ممهّدة لاستنساخ بشر، تناقلت الأنباء في الأسبوع الثاني من شهر مارس عام ٢٠٠١م أن



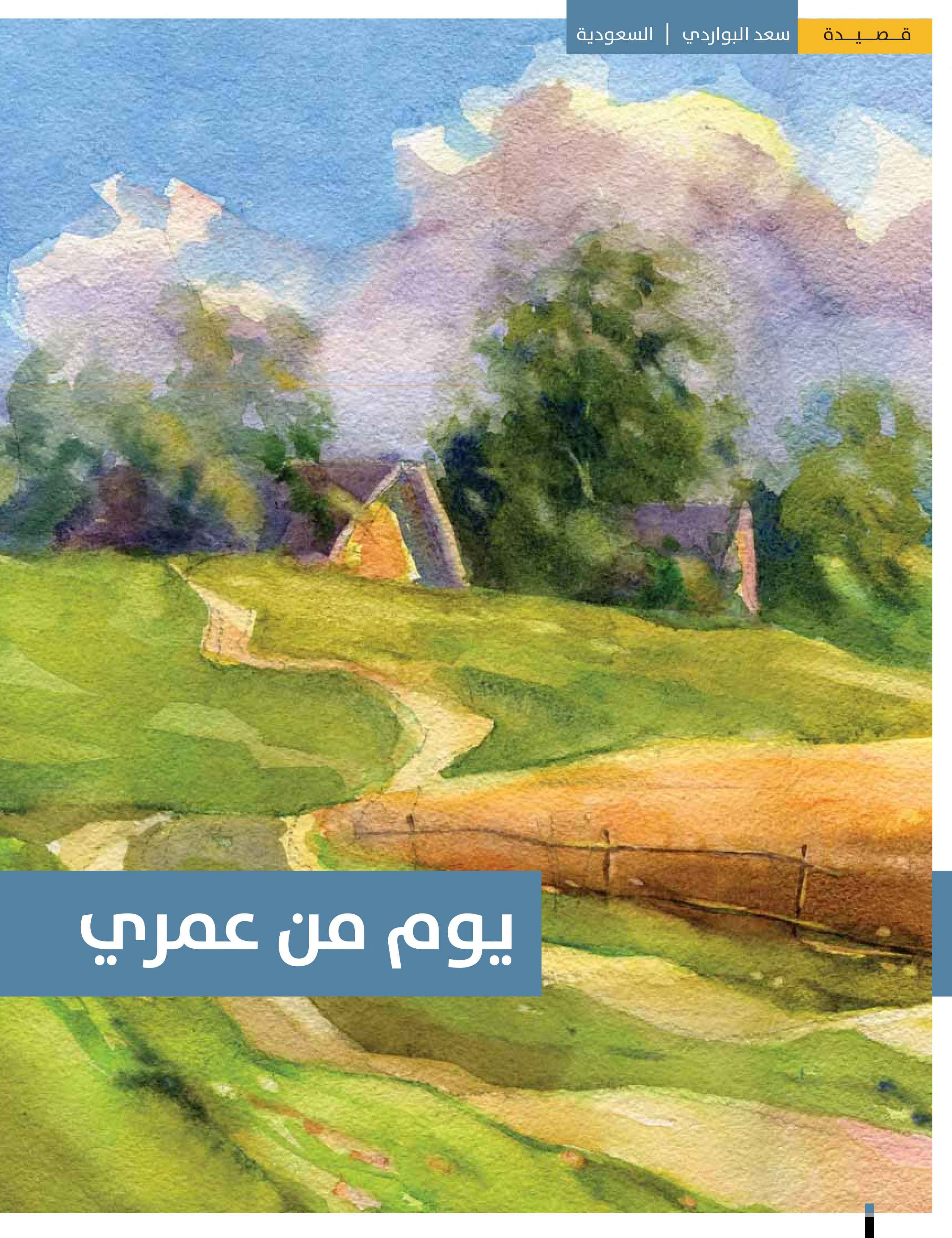
مئة متطوّع التزموا الخضوع لتجارب استنساخ أطفال، ينفذها علماء أمريكيون وإسرائيليون سوف تجري في الشرق الأوسط، بعدما منعت السلطات الأمريكية إجراءها على الأرض الأمريكية، فثار السؤال مجدداً: أيّ إنتاج يستهدفه هذا المشروع؟ وما الهدف منه؟ إذا كان العلم قد حقّق نجاحاً محدوداً في استنساخ حيوانات وتهجين نباتات، ثم ظهرت مخاطر هائلة تهدّد صحّة البشر ناجمة عن هذه المنتجات؛ إذ تجاوز الأمر الشكل إلى الجوهر والتبعات والانعكاسات، فإن الانتقال إلى إنتاج البشر مخبرياً يمثّل إغراقاً في الغيّ. تتجاوز المسألة اكتشاف الآلية الطبيعية وتقليدها لانقسام الخلايا لتقف عند تخوم لغز خاضع لقانون إلهي يتمثل في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء: ٨٥).

جيش ياباني آليّ

استذكرنا مثلاً تجربة تقنية عسكرية يابانية عمرها نحو ربع قرن لدى محاولتنا تفسير الإلحاح على إنتاج مخبريّ للبشر. خلاصة تلك التجربة اليابانية أن الهزيمة العسكرية الأمريكية في فيتنام، جعلت القادة اليابانيين يواجهون مأزقاً غير مسبوق، فالولايات المتحدة الأمريكية فرضت قيوداً شديدةً تمنع تجديد البناء العسكريّ لليابان منذ استسلامها عقب إلقاء قنبلتين نوويتين أمريكيتين في أغسطس عام ١٩٤٥م على مدينتَيْ هيروشيما وناجازاكي، فاضطرت اليابان إلى الاكتفاء بالاعتماد أساساً على حماية القواعد والأساطيل الحربية والمظلتين الجوية والنووية الأمريكيتين. لكن التذمّر الشعبيّ اليابانيّ تصاعد ضد الوجود العسكريّ الأمريكيّ؛ لما قد يجرّه من ويلات على الشعب اليابانيّ الذي احترقت أطرافه بنيران حربين عُظْمَيين خلال ربع قرن فقط، وتضعضعت بنيته النفسية والمجتمعية بعد تكرار هزيمة اليابان في هاتين الحربين. تصاعد التذمر أكثر من الانحرافات السلوكية والأخلاقية للعسكريين الأمريكيين بما يصدم القيم التربوية والأخلاقية اليابانية ويؤذيها. وجاءت الهزيمة الأمريكية في فيتنام فصار لزاماً على اليابان أن تستعدّ لاحتمالات المواجهة العسكرية مع الصين أو الاتحاد السوفييتيّ السابق باعتماد أقلّ على الحماية الأمريكية. كان أحد الحلول ابتكاراً يتحايل على القيود الأمريكية والدولية من ناحية، ويراعي النكوص الشعبيّ اليابانيّ عن قَبول الدخول في حروب جديدة من ناحية ثانية؛ إذ أظهر استطلاع آراء أجرته شركة دين تسو -كبرى شركات الإعلان اليابانية- عام ١٩٩١م أن عشرة بالمئة من اليابانيين فقط على استعداد للقتال دفاعاً عن بلادهم، في مقابل ثمانين بالمئة من الكوريين الجنوبيين. توخت القيادة اليابانية أن يعزّز الابتكار المطلوب قدرة اليابان الذاتية على مواجهة القوات السوفييتية خاصة، التي تحتلّ عدّة جزر يابانية منذ الحرب العالمية الثانية، وقوات الصين التي تنازع اليابانَ جزراً أخرى، إضافةً إلى قوات فيتنام وقوات كوريا الديمقراطية؛ إذ لم تنسَ الصين وفيتنام وكوريا احتلال اليابان أراضيها، والمجازر التي ارتكبها. جاء الابتكار الياباني جيشاً آلياً من ستة ملايين جنديّ آليّ (روبوت)، عنوان استثمار بارع للتكنولوجيا المتفوقة، وتحاشياً للاستخدام التقليديّ للعنصر البشريّ، وما يلحقه من خسائر وإصابات. قامت الخطة اليابانية على استخدام هذا الجيش الآليّ ضدّ القوات السوفييتية، وبُرْمِجَ الستة ملايين مقاتلاً آلياً لأداء كلّ مَهَمَّات جيش يخوض حرباً كبرى متكاملةً؛ فهل يمكن تفسير المضيّ في عمليات الاستنساخ شبه البشريّ بمحاولة حلّ مأزق تاريخيّ يعيق تنفيذ برامج الهيمنة وطموحاتها من خلال إنتاج (أصناف بشرية مبرمجة بأعداد هائلة ذات قدرات خارقة) مثلما أنتجت اليابان جيشاً آلياً؟

لم يعد سراً وقوف الصهاينة خلف نظريات سوَّغت إبادة أمم (متخلفة) تسهيلاً لازدهار أمم الغرب (المتحضرة)؛ نحو نظرية (المليار الذهبيّ) الداعية إلى إبادة (النفايات البشرية) و(فوائض البشر) التي تستهلك أكثر مما تنتج؛ لتوفير موارد الأرض للنخبة التي تستحقّ البقاء والتقدّم والارتقاء؛ أي: لمصلحة مليار إنسان يمثّلون المجتمعات الغربية، وامتداداتها الحضارية.

قلّل جريجوري ستوك في كتابه: (إعادة تصميم البشر) من المخاوف المتزايدة إزاء احتمالات تطوير (روبوت) أو (عقل إلكترونيّ) أشدّ ذكاءً من الإنسان، على نحو تسيطر فيه الاختراعات على مخترعيها، وتَستعبد الابتكاراتُ مبتكريها، لكن الكتاب توقّع في الوقت نفسه تحولاً أكثر عمقاً وأهمية للبشر، ينجم عن التقدّم السريع في مجال الاستنساخ والجينات، بما يحقق ما أشرنا إليه من إنتاج بشر خارقين (بخصائص حيوانية فائقة القدرة)، أو إنتاج حيوانات لها خصائص بشرية جسدية، أو سلوكية، أو فكرية محددة.



يوم من عمري

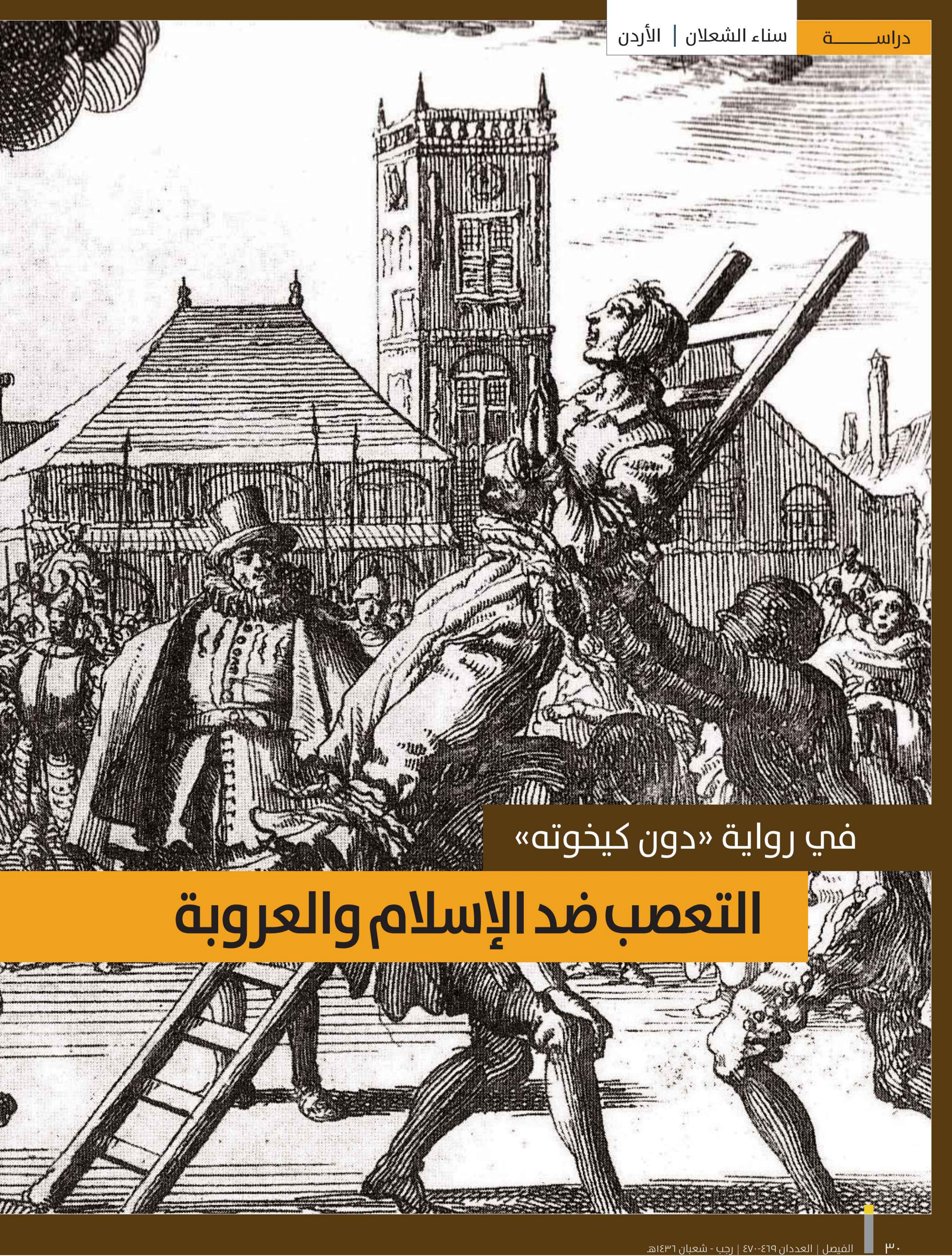


من داخل خيمتنا المنصوبة في كبد الصحراء
ما بين «أثيثية» الوشم وشقراء
بـ«طريف الحبل» تلك هي الأسماء
كنا مجموعة صحب
رفقاء درب.. أصدقاء أصدقاء
نشرب من إبريق «الشاي»
نرتشف جرعات «القهوة»
نأكل من تمر «عنيزة» و«الأحساء»
في داخل خيمتنا البيضاء..
وغيوم حجبت عن أعيننا وجه سماء
تهب الأرض رذاذاً في حياء!
نرقب الأشياء عن قرب.. في حبّ..
شريطاً.. من رمالٍ صفراء
مِثل عقد أُعدَّ من ذَهبٍ
مُدَّتْ حباله لعروس حسناء
و«جِمالاً» ترعى آمنةً..
لا تَخشى في خطوتها غرباء
وقطيع «أغنام» بلا فزع
نحسدها عليه نحن الطلقاء
«الراعي» مدَّ على مَهَل ساقَيْهِ
يراقبها.. ما مَدَّ «عصاه»

في «خيمتنا» وأمام خيمتنا
بين «أثيثية» الوشم وشقراء
كنا لا نعرف شعراً
أمسينا بجَمال طبيعتنا شعراء
ما أحلى أن نخرج من «سجن» منازلنا!
«عوادينا»، «تزاحمنا»، «تصادمنا»
أن تحضننا في رفقٍ، في عشقٍ
تلك الصحراء
أحراراً طُلقاء
حين طُوِيَتْ «خيمتنا»
بدأتْ «خيبتنا»
ترسم وجه صورتنا الباكي بمداد مُوجع
«البُنُّ» الذي نشربه
«الشاي» الذي نرشفه
«التمر» الذي نأكله
داخل أسوار منازلنا دون شهية
وقد كان شهياً في الصحراء
دون فضاء رحب يملؤه الحب
و«رمال»، و«جَمال»، و«جِمال»
وحياة دون قيد
وأصحاب دون حقد

وانعتاق من جدار السجن النفسي
وانطلاق في فضاء رحب
سجن مفتوح
الخيمة نافذة مُشرعة الأبواب
والرمال الصفراء معدن أرض
والجِمال بقامتها رمز شموخ
والأغنام عطاء ربيع، وغنيمة
والراعي رمز رعاية
دون عصاً منه تُهز
ما أروع ما توحي بنظرته الأشياء
شقراء.. والوشم
الممتد بساحته عبر الصحراء
ما أجملَ أن تقتضي يوماً دون عناء
عشتُ اليومَ.. ولكن!
ماذا تجدي لكن؟!
عدتُ.. إلى صحبي
ودعتُ هدوءَ النفس
فقد عزَّ البقاء
ما أملكه نبرة عشق
عبرة بوح هامسة:
تُرجّع.. يومَ لقاء

سناء الشعلان | الأردن



في رواية «دون كيخوته»

التعصب ضد الإسلام والعروبة

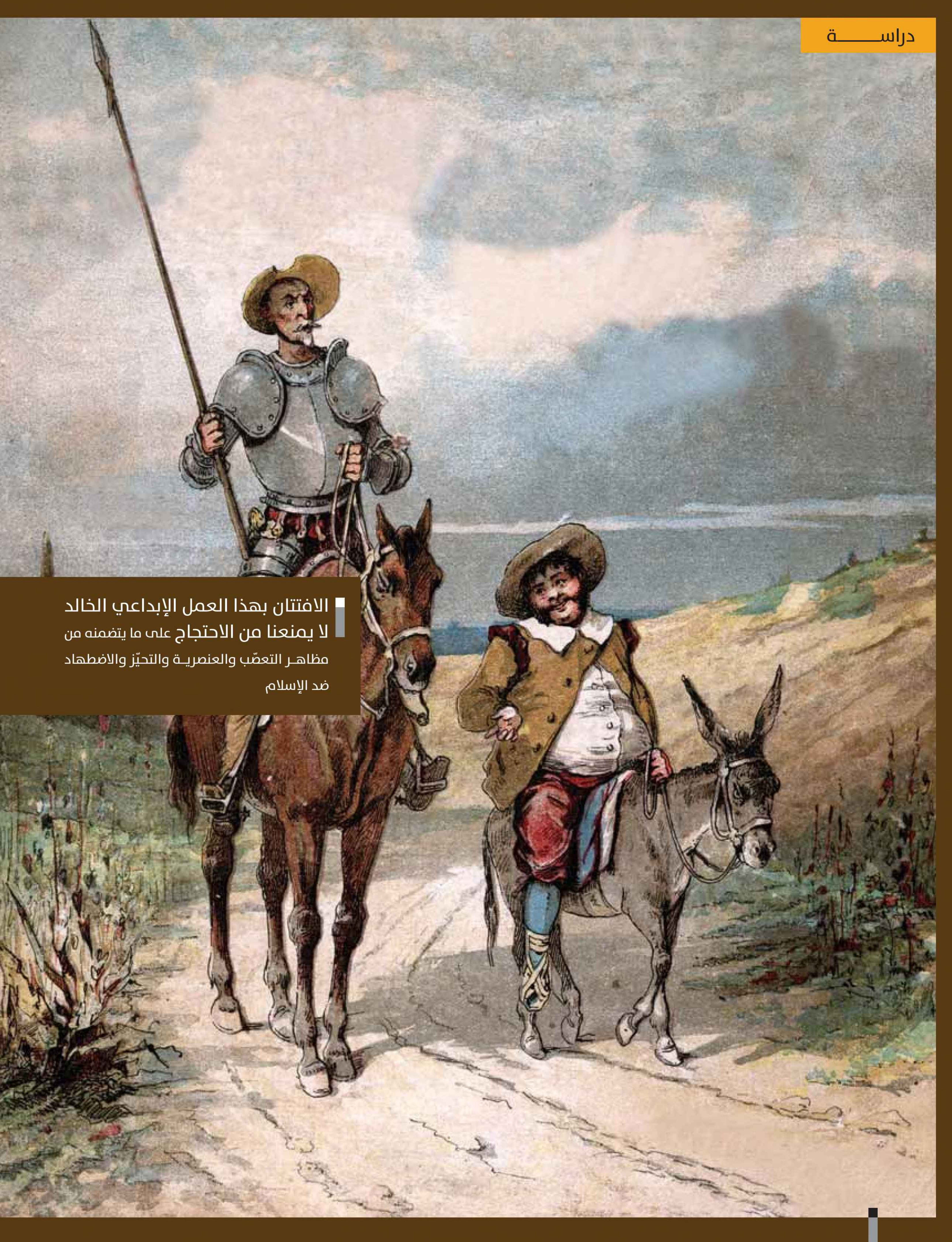


يكاد لا يختلف اثنان على أن رواية دون كيخوته للمبدع الإسباني الشهير ميجيل دي ثربانتس سابدرا Miguel De Cervantes Saavedra هي من روائع الأدب الإنساني على الإطلاق، وواحدة ضمن أفضل مئة عمل إبداعي عرفته البشرية، وبلغ إعجاب عبدالرحمن بدوي بها حدَّ عدِّها واحدةً من أهم أربع روائع عالمية إلى جانب الإلياذة لهوميروس، والكوميديا الإلهية لدانتي، وفاوست لجوته[1]، ويكاد يجمع الناقدون على أن هذه الرواية هي التي فتحت الطريق أمام الرواية الغربية المعاصرة، لكن هذا الافتتان بهذا العمل الإبداعي الخالد لا يمنعنا من الاحتجاج على ما يتضمنه من مظاهر التعصّب والعنصرية والتحيّز والاضطهاد ضد الإسلام والعروبة.

وعلى الرغم من خوض الباحثين والدارسين والأكاديميين والنقاد نقاشات حول أصول هذا العمل ومغازيه وحقيقة أصل مؤلفه، وما في ذلك من آراء متضاربة، وفرضيات مشروعة، وأسئلة مطروحة، وشطط من دون أدلة – فإننا نجد أنفسنا عرباً ومسلمين مطالَبين بأن نرفض ما في هذا العمل من تعصّب ضد الإسلام والعروبة، وأن نحتجّ على ما يتضمّنه من ترسيخ هذه الفكرة، وفي أحسن الأحكام فهو يصوّر مفاهيم مجتمع عنصريّ يكره ويُقصي ويُعدم ويظلم على أُسس عنصرية دينية وإثنيّة وعرقية وتاريخية.

ولنا أن نقول لمن أراد أن يؤيِّد هذا العمل الجميل بالدفاع عن عنصريته وتعصّبه، وأنه كان معنياً بتسجيل حقبة لا ترسيخ مفهومات ذاتية يشجّعها المبدع نفسه: إن تجسيد هذه الفكرة بهذا الشكل لم يكن إلا ترسيخاً لها، خصوصاً أنه لم يحتجّ على هذا السلوك، وانقاد إلى مجتمع يرى سبَّ الإسلام والعروبة واجباً، ويجد متعةً خاصةً في الانتقاص منهما، والإساءة إلى كلّ من يمثّلهما، وهذا شأن آخر قد قال التاريخ كلمته فيه عندما جرّم محاكم التفتيش التي أبادت المسلمين شرّ إبادة، وعدّ جرائمها وصمة عار في جبين الإنسانية، كما جرّد القائم الأكبر على هذه المحاكم الراهب لويس ألياجا دي مارتين Luis Aliaga De Martinez من كل معاني الإنسانية، وجعله خارج ساحة قَبول أيّ دين، ووصمه بالبشاعة والوحشية، ووسمه عصرُه وشعبه بالارتشاء، والفساد، والمجون، والإجرام.

وهذا يقودنا إلى أن نسأل بتشكّك: لماذا لم يستنكر ثربانتس الهجمة العنصرية على الإسلام والعروبة، وثبتها في متن رائعته دون



الافتتان بهذا العمل الإبداعي الخالد لا يمنعنا من الاحتجاج على ما يتضمنه من مظاهـر التعصّب والعنصريـة والتحيّز والاضطهاد ضد الإسلام

الفن شكل ومضمون

يرى بعض النقاد استناداً إلى نظريات الجمال والتلقي ومقولات الفنّ للفنّ أنه لا يجوز محاكمة هذا العمل الروائيّ إلا وفق جمالياته الفنية من دون الوقوف على معطياته الفكرية وأخلاقياته استناداً إلى أن الفنّ لا يُحاكَم أخلاقياً، وهذا منهج مقبول لمن أراد أن ينتهجه، لكن لنا في الوقت ذاته أن نحاكم الإبداع وفق رؤيته ومبادئه الفكرية والأخلاقية، إضافةً إلى قِيَمِهِ الجمالية، وأعرافه الإمتاعية، وأنساقه الإسعادية، واستناداً إلى أن عظمة الفنّ تنبع من ثنائية الشكل والمضمون، فإن لنا الحقَّ أن نحاكم العمل محاكمةً أخلاقيةً وفكريةً إزاء قَبولنا منهجاً آخر يرفض أن يحاكم الفنّ إلا من منطلق جماليّ وشكليّ.

لماذا لم يستنكر ثربانتس الهجمة العنصرية على الإسلام والعروبة، وثبتها في متن رائعته دون كيخوته من دون أن يشعر بالخزي من هذا السلوك العنصريّ العدائي؟

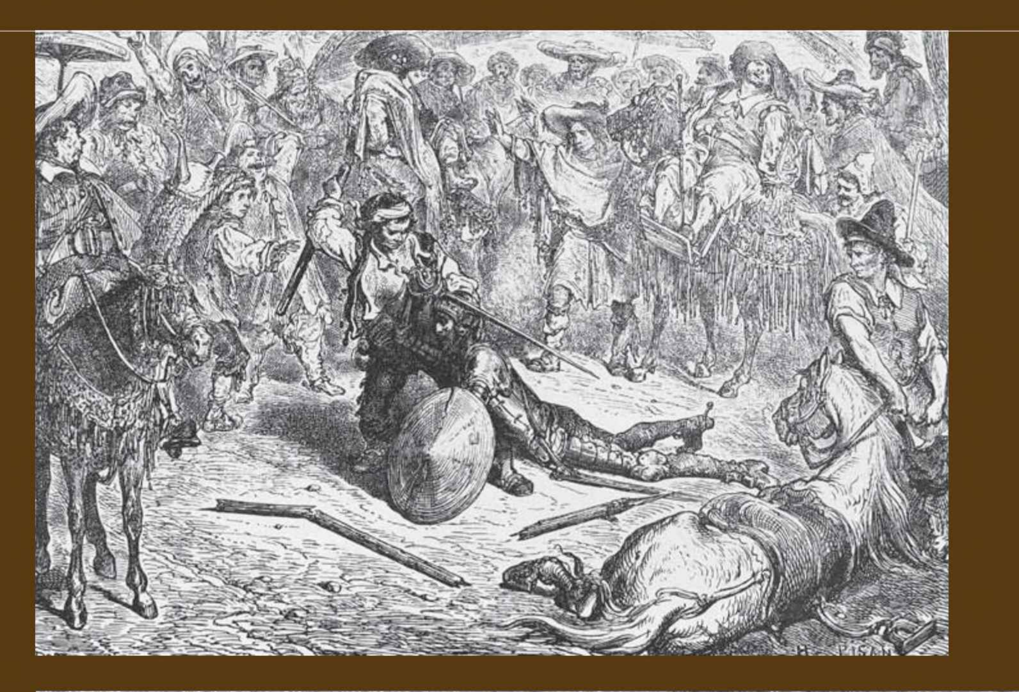
العجيب المخزي أن بطولة الإسبانيّ المسيحيّ تقترن في رواية دون كيخوته بالسرقة من المسلمين ومن أماكنهم المقدسة

كيخوته من دون أن يشعر بالخزي من هذا السلوك العنصريّ العدائي؟ وهو من سخر من كلّ ما يستحقّ السخرية في عصره؛ فقد سخر من «الناس أجمعين بسخرية لاذعة، وتهكّم قاتل... هاجم البلديات وعقليتها الضيّقة، وهاجم الأديرة وأنظمتها الزائفة الكاذبة...، وسخر من أدعياء الشجاعة، وأدعياء الحكمة، وأدعياء التقوى، وتهكّم على النقابات بسلوكها النفعيّ، وسخر من الجماعات الأدبية وما يسودها من حسد ووضاعة، وما يصدر عن الشعراء والكُتَّاب الوضيعين من مهازل أدبية وتملّق، وما يلجؤون إليه من كسب وضيع عند أقدام الأقوياء، وتغامز على رجال العدالة، ورجال الدين، ونبلاء الأقاليم. وبالجملة فإنه لم يدع طبقةً ولا طائفةً ولا جماعةً إلا وسلقها بألسنة التهكُّم النافذ، والسخرية الجارحة»[٢].

لكن ثربانتس نسي أن يسخر من نفسه عندما أكثَرَ في روايته من العنصرية والتعصُّب، وردَّد أقوالهما، وجسد معانيهما حتى غدت روايتُه تلوح بالكره غير المشروع لكل ما هو عربيّ ومسلم. لقد نسي الساخر الأكبر ثربانتس أن يسخر من نفسه، وهي غلطة لا تُغتفر، تجسّد حقيقة أفكار هذا المبدع الكبير الذي كبر على نواقص عصره كلّها، فانتقدها إلا العنصريةَ التي هزمتْه، وانتصرت عليه، وغزت روايته الخالدة.

يجوز لبعض المؤيّدين أن يفترض أن ثربانتس أراد من هذا الترسيخ أن ينتقد منظومة اجتماعية سائدة في عصره، ولعله ما كان يستطيع أن يواجه عصره برفضه هذه العنصرية، وما بثّه في هذا التصوّر إنما هو أنفاس وَجْلى تخشى أن يعلو الصراخُ والاحتجاجُ العنصريةَ والتعصُّبَ في عصر استباح قتل كلِّ مسلم وعربيّ، ورأى ذلك نصرةً مزعومةً للمسيح والمسيحيين، وانتصاراً عجيباً للحضارة الأوربية التي قامت على أكتاف الحضارة الإسلامية العربية في الأندلس، ثم رأت أن تدمير منهلها الأول- أي الحضارة الإسلامية العربية- هو دربها المأمول لمزيد من الحضارة.

ليس لدينا ما يمكن أن يثبت أن ثربانتس قصد في روايته التي تفيض بالتعصب ضد الإسلام والعروبة أن ينقل رأيه الخاصّ مؤيداً هذا الاتجاه، ولعله أراد أن ينتقد هذا المنهج والسلوك بطريقته الخاصة، ولنا أن نقول: إنه أخفق أو أحسن فيها، ولنا في الوقت ذاته أن



نقول: إنه ظاهرياً قد نسي أن يسخر من نفسه وهو يَهَبُ صوتَه العنصريةَ، ويكرِّر أطروحاتها. وفي الأحوال جميعها ومهما كانت الغاية، فإن الأداة في هذه الرواية هي الإساءة إلى الإسلام والعرب، وإذكاء روح العداوة ضدهم.

وبعيداً من أيّ جدل قد يُطرح من جديد حول حقيقة أصول هذه الرواية؛ أكانت لمسلم عربيّ مورسكي، أم هي منحولة بشكل أو بآخر، أو مسروقة من مخطوطة ما، أو أنها فعلاً لثربانتس الذي يزعم بعض الباحثين أنه ما هو إلا مورسكي عربي تخفّى خلف اسم إسباني لينجو من مصير أسود مشؤوم ينتظر كلَّ من يلوِّح باعتزاز بإسلامه وعروبته في زمنه؛ فإننا لا نستطيع إلا أن نُدين هذه الرواية بما تحمله من تعصُّب واضح ضد الإسلام والعروبة؛ وهو تعصب يمتدّ من خلال الرواية في مظاهر شتّى نستطيع أن نرصدها فيما يأتي:



يزعم بعض الباحثيـن أن ثربانتس ما هـو إلا مورسـكي عربي تخفّـى خلف اسم إسباني؛ لينجو من مصير من يعتز بإسلامه

أولاً: العربيّ المتنصّر المهزوم المستَلَب

لا يُذكر المسلم العربيّ في هذه الرواية إلا في صورة المنهزم الأسير الذليل الجبان، كأنه لم يعرف العزَّة والانتصار في حياته قطُّ، في مقابل طرح صورة الإسبانيّ المسيحيّ البطل الذي يهزم المسلمَ ويقهره ويذلّه: «فارس مسيحي شجاع مهذّب»[٣]، فبطل الإسبان رود ريجو دي نرفاتث حاكم أنتقيرة قد انتصر على المسلم ابن إدريس المراكشيّ، واقتاده أسيراً، ودون كيخوته يترنّم بتفاصيل هذا النصر، وغيره من التفاصيل التي تعجّ الرواية بها من دون أن نخضعها طبعاً للتدقيق التاريخيّ.

والمسلم العربي في هذه الرواية لا يحظى إلا بلقب هجين وهو العربيّ المتنصّر[٤]، وهو لقب لا يخلو من انتقاص واحتقار ووسم بالدونية؛ فهو لا يُسمّى بإسبانيّ أو مسيحيّ، بل يُسمى بالعربيّ المتنصّر، وهو لقب يشير إلى أنه عدوّ غريب محتقَر، وفي الوقت ذاته هو دخيل على المسيحية وأقلّ قدراً ومكانةً فيها من غيره، ولعله يكون في نظرهم كافراً شريراً، وإن كان ظاهرياً من رعايا الكنيسة المسيحية بالقهر والإجبار. وعندما يبحث دون

مسلم مع أنه يصفه في عدة مواضع في الرواية بصفة الحكيم! ويسلم إليه زمام السرد في هذه الرواية في مفارقة غريبة وفاضحة، تكشف عن عنصرية هذه الرواية إزاء حقيقة تتمثّل في أن المسلم العربيّ الذي يريد أن يقدمه ثربانتس على هيئة جاهل همجيّ متوحّش ما هو إلا حكيم عالم راوية يجيد فنون القصّ، والكتابة، والإبداع، والسرد، فيقول: «في هذا الموضع يصيح ابن الأيل: إيه أيها الفقر! إيه أيها الفقر! لستُ أدري لماذا يسمّيك شاعر قرطبة الكبير باسم الهدية المقدسة التي لا يقدّر ثمنها كلّه». ويستمر قائلاً: «إني وإن كنتُ مسلماً، فإني قد عرفتُ من اتصالاتي بالنصارى، أنهم يقولون: إن القداسة في المحبّة والتواضع والإيمان والطاعة والفقر، وعلى الرغم من هذا فإنني أقول: إن الذي يعرف كيف يقنع بالفقر يدين لله بالشكر العظيم، بشرط أن يكون الفقر من ذلك النوع الذي أشار إليه كبار القدّيسيين الأولياء حين قالوا: امتلك كلّ شيء كما لو كنتَ لا تمتلكه»[٩].

وفي لحظة عفوية يسهو ثربانتس، فينسى حقده العنصريّ على المسلمين؛ فيتحدّث عن عِلْم الحكيم سيدي حامد بن الأيل، ويصفه بقوله: «هو فاحص دقيق عن تفاصيل هذا التاريخ الصادق»[١٠]، ويعترف بأنه فيلسوف مسلم[١١].



ينـادي دون كيخوتـه القـارئ العربي المسلم بهذا اللقب العنصري: «العربيّ المتنصّر»

ينسـى ثربانتس حقده العنصريّ على المسلمين؛ فيصف سيدي حامد بن الأيل، بقوله: «هو فاحص دقيق عن تفاصيل هذا التاريخ الصادق»

كيخوته عن رجل مسلم عربيّ متعلّم ليقرأ له مخطوطة عربية كتبها سيدي حامد بن الأيل فهو لا يناديه إلا بهذا اللقب العنصري: «العربيّ المتنصّر»[٥]. والغريب أن دون كيخوته يرى هذا الرجل المسلم المتعلّم قليل الفطنة؛ لأنه رفض أن يستغلّه، أو أن يطلب منه أجراً كبيراً نظير ترجمة مخطوطة سيدي حامد بن الأيل من العربية إلى الإسبانية[٦]. فالعربيّ المسلم في نظر هذه الرواية أحمق؛ لأنه غير مستغلّ!

ويمارس ثربانتس سلوكاً استلابياً على شخوص روايته من المسلمين؛ فيقمع الراوي الحكيم سيدي حامد بن الأيل، ويسقط عليه كرهه المسلمين والعرب، ويجبره على أن يستلب نفسه عندما يجعله يقسم بمسيحيته المفروضة عليه، وعلى أبناء جلدته بقوة القهر وعذابات محاكم التفتيش: «إني أقسم بوصفي مسيحياً كاثوليكياً»[٧]. ويعلق على ذلك قائلاً لتأكيد فكرة استلابه الراوي المسلم: «ويلاحظ المترجم أن هذه الكلمات على لسان سيدي حامد الذي كان مغربياً، لا تعني غير أنه كما أن المسيحي الكاثوليكي حين يُقسم، يقول -أو عليه أن يقول- الحقيقة، فكذلك سيدي حامد يحلف أنه سيقول الحقيقة فيما يتعلق بدون كيخوته»[٨].

وفي موضع آخر يستلب ثربانتس الحكيم سيدي حامد بن الأيل مرة أخرى عندما يجبره على ازدراء دينه الإسلامي في مقابل إعلائه هو الدين المسيحيّ الذي يراه ينبوعاً للخير والمحبّة والحكمة، وهو يجعله يعترف بأنه مسلم؛ ليجبره على القبول باقتران الجهل بذاته؛ لأنه

ثانياً: الشتم والسب والتحقير

تستخدم الرواية الألفاظ النابية بشكل صريح لسب المسلم العربيّ خبط عشواء، فيُنعَت العربيّ في الرواية بلفظ كلب[١٢] ضمن عقلية عنصرية سائدة، ونجد «شواهد هذه العقلية -كما يقول عبدالرحمن بدوي- في غضون الكتاب كلّه؛ مما يصوّر مشاعر التعصّب المسيحيّ ضدّ الإسلام، وما انطوى عليه من جهل وافتراء واختراع للأكاذيب»[١٣]، وإذا لم يُوصف المسلم العربيّ في هذه الرواية بكلمة كلب، فإنه يُوصف بكلمة عِلْج، وهي صفة تُطلَق -وفق ما يقوله عبدالرحمن بدوي- على النصارى الذين أسلموا[١٤]؛ نحو: «العلج علي داي الجزائر»[١٥]، «وكان العلج طوال أربع عشرة سنة عبداً للسلطان الأعظم»[١٦]، كما يُطلق في

والرواية تصمّم على أن العربيّ المسلم هو خائن حقير لا يفي بعهوده حتى لو قبض المال مقابل الإيفاء بها؛ لذلك يستحقّ الموت في أبشع صوره؛ وهي تروي أن بعض المسلمين العرب يعطون العهد لمقاتل إسبانيّ اسمه باجانودريا، كان قائد حصن حلق الوادي في تونس، ويَعِدُونه أن ينقلوه بأمان إلى إسبانيا، ويلبسونه زي المغاربة، ثم يغدرون به، ويقطعون رأسه، وينقلونه إلى قائد الجيش التركيّ الذي أمر بقتلهم عوضاً من مكافأتهم بدعوى أنهم لم يأتوا به حياً[٢٠].

ثالثاً: المسلم العربيّ الكافر والإسبانيّ المسيحيّ المؤمن.

تنعت رواية دون كيخوته المسلم بصفة كافر، وملك المسلمين هو ملك الكفّار[٢١]، إضافةً



تستخدم الرواية الألفاظ النابية بشكل صريح لسب المسلم العربيّ بلفظ كلب ضمن عقلية عنصرية سائدة

تُظهر الروايةُ المرأةَ المسلمة العربية على أنها خادمة حقيرة رخيصة الجسد تقوم بالخدع، وتمارس الزنى مع أحقر الناس

بلاد المغرب من باب التحقير والاستهانة على المسلمين اسم الثفريون، على حين يُطلق اسم المدجنين على مسلمي غرناطة[١٧].

ووُصف العربيّ في هذه الرواية بكلمة أعرابيّ؛ لتحقيره وتجريده من المدنيّة ليقف مجرداً من الرُّقِيّ والنبالة، في مقابل الإسباني الذي يوصف بالنبالة؛ لأنه «عريق في المسيحية»[١٨]، بل إن الإسبانيّ المسيحيّ يرفض أن يتخيّل أن يكون مسلماً في يوم ما، ويرى ذلك مستحيلاً، فهو صعب جداً على النفس الإسبانيّة النبيلة؛ «فأجابه سنشو-يوجّه حديثه لدون كيخوته: احتمال امتعاضكَ مثل احتمال أن أكون مسلماً»[١٩].

القتل بسبب الدين

الرواية تجعل التنكيل والموت المصيرَ الوحيد والطبيعيّ للمرأة إذا كانت مسلمةً، لكن بمجرّد أن تعلن أنها مسيحية أصيلة لا مسلمة قد تنصّرت فهي تُعفى من القتل بعد أن تقول: «يا سادتي، أجِّلوا قرار إعدامي لوقت قصير، ولن يخسر انتقامكم شيئاً، وسأقصّ عليكم قصّة حياتي»[١]. وهذه المرأة ترى أنها نبيلة ومؤمنة لأنها مسيحية، ولا تظهر مسلمة بأيّ شكل من الأشكال، وكأن الإسلام صفة انتقاص: «رضعتُ لبان الإيمان الكاثوليكيّ، ورُبّيت تربيةً حسنةً، ولم يكن ثَمَّ مظهر يدلّ على أنني مغربية مسلمة»[٢]. وفي المقابل يُقتَل الجنديانِ التركيّانِ في القصّة ذاتها؛ لأنهما متّهمانِ بتهمة الإسلام[٣]!

مراجع

(١) ميجيل دي ثربانتس سابدرا، دون كيخوته، ج٢، ص٥٧٩.

(٢) نفسه.

(٣) المرجع السابق، ج٢، ص٥٨٥.

دون كيخوته على لسانه- يصف بطل الرواية الإسبانيّ المسيحيّ بالفروسيّة والشجاعة[٢٥] سيراً على عادة تعظيم الإسبانيّ في مقابل تحقير المسلم العربيّ.

والعجيب المخزي أن بطولة الإسبانيّ المسيحيّ تقترن في رواية دون كيخوته بالسرقة من المسلمين ومن أماكنهم المقدسة؛ فدون كيخوته يعجب بالمارد الأسطوريّ رينالدوس دي مونتالبان؛ لأنه يسرق التماثيل الذهبية للنبيّ محمد صلى الله عليه وسلم[٢٦]. كما أن المسلم الكافر -على حدّ تعبير رواية دون كيخوته- هو خارج عن محدّداته الإنسانية، وهو مفرّغ منها في نظرها؛ لذلك كثيراً ما يكون مسحوراً شريراً[٢٧]، وهو من يقوم بتعذيب الإسبان المسيحيين[٢٨]، ويسلب الإسبان كنوزهم، ويهبها جوراً وظلماً العربَ اللصوص[٢٩]!



الإسـبانيّ المسـيحيّ يرفـض أن يتخيّـل أن يكون مسـلماً في يـوم ما، ويرى ذلك مستحيلاً

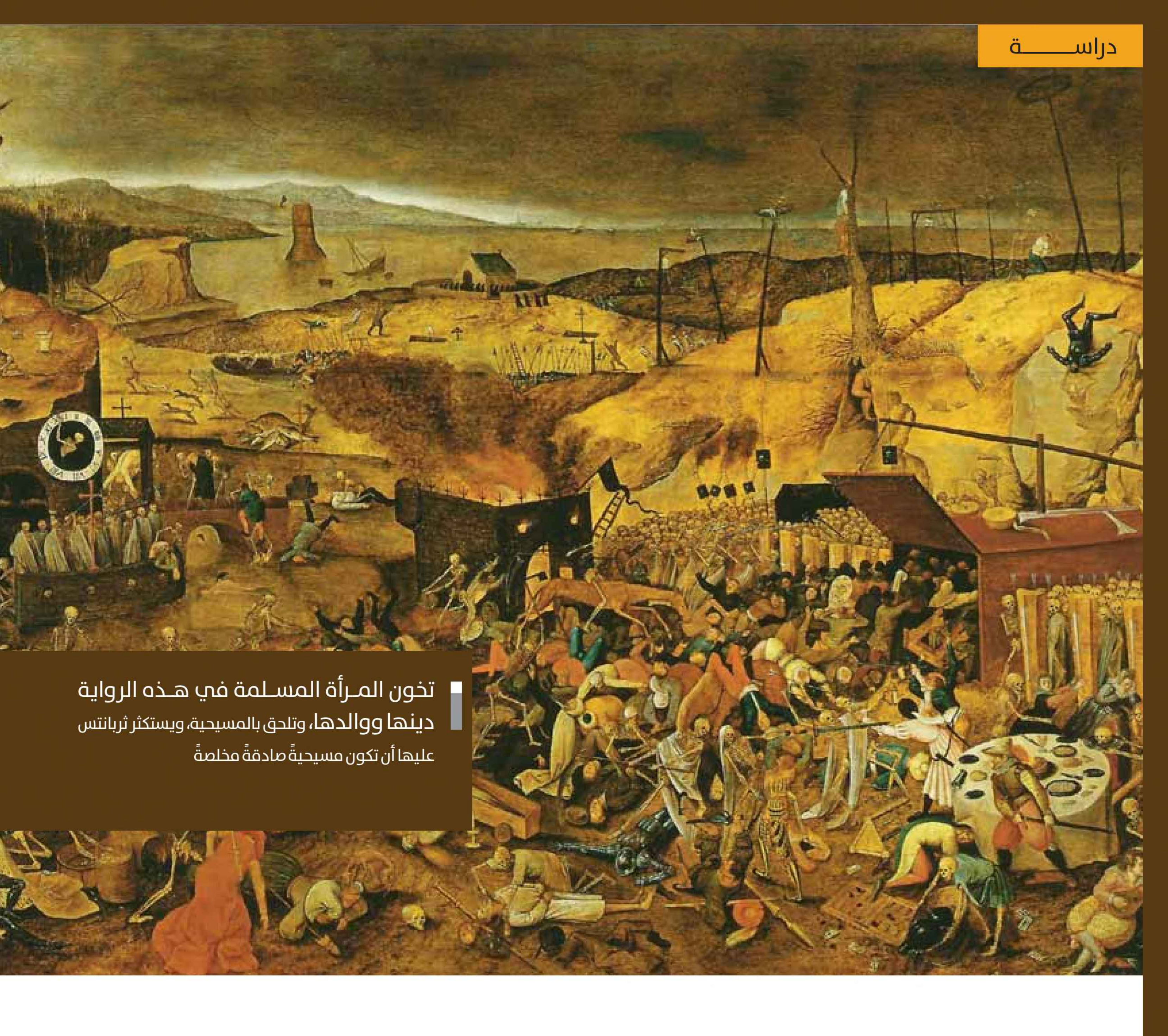
في مقابل صورة المسلم العربيّ الكافـر تأتي صـورة الإسـباني المسـيحيّ في شكل الفارس النبيل

إلى ذلك فهو يجمع في ذاته أسوأ صفات الخسّة والوضاعة؛ فعلي الفياش حاكم جزيرة سرنديب يصفه دون كيخوته لتابعه سنشو بأنه رجل كافر ومتوحّش وغضوب ومتعجرف، ويدخل حرباً مع الإسبان؛ لأنه يريد أن يتزوج قهراً من فتاة مسيحية راقية الآداب، وأبوها يرفض أن يزوّجها إيّاه ما دام كافراً -يعني مسلماً- ولا يقبل بذلك «إلا إذا تخلّى عن شريعة نبيِّه، واعتنق شريعة حبيبته»[٢٢]، وفي مقابل صورة المسلم العربيّ الكافر تأتي صورة الإسباني المسيحيّ في شكل الفارس النبيل الشجاع المقدام الرقيق الذي يلتزم أدقَّ تفاصيل النبل والرجولة، ويدخل كثيراً في حروب مع العربيّ المسلم الكافر المتوحّش، كما يصفه دون كيخوته! وفي النهاية يكون الإسبانيّ هو البطل المطلق الذي يسيطر على بلاد العرب، ولو في قصص أسطوريّة لا حقيقيّة؛ نحو وصفه: «والثالث ذو الأطراف الهائلة الذي عن يمينه هو الجسور دائماً رندبربران دي بولنشيه، هو السيد المطلق على البلاد العربية الثلاثة»[٢٣]، وهي «البلاد العربية السعيدة: اليمن، والبلاد العربية القاحلة: نجد، والبلاد العربية المتحجرة: بادية الحجاز»[٢٤].

ومن التعظيم المبالغ فيه للإسبانيّ المسيحيّ نجد الحكيم العربيّ المسلم سيدي حامد بن الأيل -الذي تُروى كثير من أحداث رواية

رابعاً: تحقير المسلمة العربية

تُظهر الروايةُ المرأةَ المسلمة العربية التي تلبس ما يشبه الحجاب في صورة مهينة مبتذلة: «وهاهي ذي قد أقبلت بقميصها عارية القدمين، معقودة الشعر بشبكة من قماش القطن»[٣٠]؛ فهي خادمة حقيرة رخيصة الجسد تقوم بالخدع، وتمارس الزنى مع أحقر الناس من حمَّالين، ولا يناديها سيّدها الإسبانيّ إلا بـصفة عاهرة[٣١]، بينما المرأة الإسبانية المسيحية في هذه الرواية تظهر في صورة جميلة، رقيقة، ملهمة، عفيفة، ذات علم، وإخلاص، وأخلاق، وكرم، ولطف، وحسن استقبالها الغرباء والضعفاء، ونجدها كثيراً ما تقول بروح المحبّة: «فقالت لوسنده:



تخون المـرأة المسـلمة في هـذه الرواية دينها ووالدها، وتلحق بالمسيحية، ويستكثر ثربانتس عليها أن تكون مسيحيةً صادقةً مخلصةً

سنرحّب بها خير ترحيب نستطيعه؛ لأن إكرام الضيف واجب، فما بالك إن كانت امرأة»[٣٢].

ورواية دون كيخوته لا تحترم المرأة المسلمة، ولا تخاطبها بإنسانية إلا في حال واحدة، هي حال ترسيخ التعصّب ضد الإسلام والعروبة في أوضح ملامحه؛ وهذه الحال الوحيدة تفاجئنا عندما ترتدّ المرأة المسلمة عن الدين الإسلاميّ من دون سبب، وليتها تكتفي بهذا الموقف غير المسوّغ الذي يصوّر الإسلام على أنه شرّ وسوء، وأن الإنسان المحظوظ الذي يستجيب إلى الفطرة السليمة هو من يهجر هذا الدّين ويتبرّأ منه، ويركض إلى المسيحية، بل إن اللاثريا تركض مع عشيقها الإسبانيّ إلى إسبانيا؛ لتعلن مسيحيَّتها في شكل رسميّ بعد أن سمَّت نفسها مارية[٣٣]، وعشيقها يفخر بذلك بقوله: «إنها مسلمة زياً ومولداً، لكن في داخل روحها نصرانية صميمة، وفيها رغبة شديدة أن تصير كذلك»[٣٤]. ويضيف قائلاً عند سؤاله عن تعميد عشيقته المسلمة المتنصرة: «ألم يكن لدينا متسع من الوقت قبل سفرنا من الجزائر، وطنها، وحتى الآن لم يطرأ أي خطر، وقد رغبتُ أنا في انتظار كل المراسم التي تأمر بها الكنيسة المقدسة. وأرجو من الله أن يعجّل بتعميدها بما يتفق ومكانتها، وهي مكانة أرفع مما يدلّ عليها ملبسها»[٣٥]. وملبسها هنا هو الملبس الإسلاميّ الذي يحتقره العشيق المسيحيّ: «تلبس زياً مغربياً، وعليها خمار يغطّي كلّ وجهها، وعلى رأسها طاقية من الديباج المذهّب، وتلبس ملفَّة تغطّيها من الرأس إلى القدمين»[٣٦].

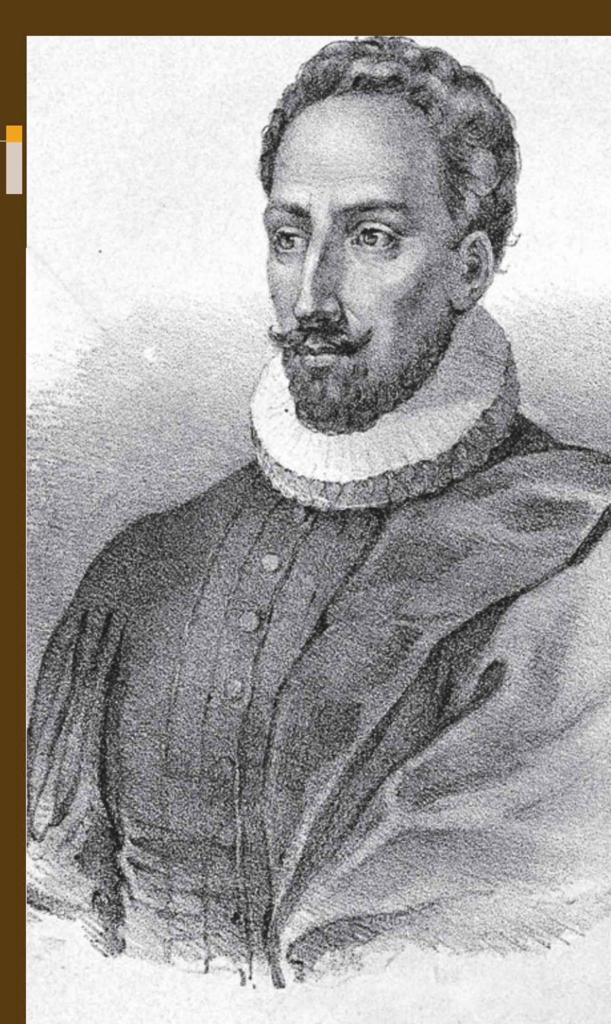
إن ثربانتس يصرّ على وصف هذه المرأة المسلمة المرتدّة بالخيانة لأهلها ووالدها الذي ربّاها وأحسن إليها وأحاطها بكلّ أسباب

الرفاهية والدلال والسعادة؛ فـ(اللاثريا) تعشق إسبانياً نصرانياً، وتسرق مال والدها ومجوهراته، وتسلِّمه أسيراً إلى الإسبان، وتفكّ أسر عشيقها ومن معه من جنود إسبان جاؤوا لحرب المسلمين في الجزائر، وتهرب معهم إلى إسبانيا من دون أن تشعر بلحظة خزي بسبب خيانتها والدها وأهلها ودينها!

ومع أن المرأة المسلمة في هذه الرواية قد خانت دينها ووالدها، وهجرتهما، ولحقت بالمسيحية والمسيحيين، فإن ثربانتس يستكثر عليها أن تكون مسيحيةً صادقةً مخلصةً، بل يحكم عليها بأنها منافقة، وأنها أرادت أن تدخل المسيحية -كما يقول والدها- لفائدة تعود عليها، لا لإيمانها الصادق بالمسيحية: «لا تعتقدوا أنها بدَّلت دينها لأنها وجدت دينكم أفضل، بل لأنها تعرف أن النساء في بلادكم ينعمن بالحرية أكبر مما في بلادنا»[٣٧].

ومن جهة أخرى مقابلة لتحقير المرأة المسلمة والتشكيك فيها في الأحوال جميعها، نجد أن المرأة الوضيعة من الإسبان سواءً أكانت جاريةً أم خادمةً تصبح جليلةً وبطلةً ومقدسةً في قصص رواية دون كيخوته؛ عندما تخون سيِّدها العربيّ، وتعلِّم طفلته الصغيرة الدين المسيحيّ سراً، وتزرع في قلبها منذ طفولتها كره الإسلام والارتداد عنه، وتوصي هذه الطفلة الصغيرة بأن تهرب من وطنها إلى بلاد النصارى عندما تكبر[٣٨].

ويصل الافتراء على المرأة المسلمة في هذه الرواية إلى حدّ نرى فيه بعضهن يثق في الإسبانيّ المسيحيّ، فتنكشف المرأة عليه ثقةً فيه وفي أخلاقه المزعومة، ولو كان عبداً حقيراً[٣٩] بينما تحتجب من الرجال المسلمين، ولا يُسمح لهم برؤيتها؛ بسبب عدم ثقتها بأخلاقهم على حدّ وصف ثربانتس على لسان أحد شخوص روايته الذي يقول: «المرأة المغربية لا تسمح لمغربيّ أو تركيّ مسلم برؤيتها إلا إذا أذن لها بذلك أبوها أو زوجها. أما العبيد النصارى فكن يرينهم عن طيب خاطر، بل أكثر مما ينبغي، أما عن نفسي فما كنتُ لأرضى أن يتحدّث إليها، وإلا لكانت قد فزعت من رؤية مصيرها بين يدي أمثاله»[٤٠].



المراجع

(١) ميجيل دي ثربانتس سابدرا، دون كيخوته، ترجمة عبدالرحمن بدوي، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، سورية – دمشق، ١٩٩٨م، ج١، ص٥.
(٢) عبدالرحمن بدوي، من تصدير عام من ميجيل دي ثربانتس سابدرا، دون كيخوته، ج١، ص١٦.
(٣) ميجيل دي ثربانتس سابدرا، دون كيخوته، ج١، ص١٣٥.
(٤) المرجع السابق، ج١، ص٩٤.
(٥) نفسه.
(٦) المرجع السابق، ج١، ص٩٥.
(٧) المرجع السابق، ج٢، ص٣٤٦.
(٨) نفسه.
(٩) المرجع السابق، ج٢، ص٤٤٨.
(١٠) المرجع السابق، ج٢، ص٤٨٦.
(١١) المرجع السابق، ج٢، ص٥٠٦.
(١٢) المرجع السابق، ج١، ص٩٦.
(١٣) عبدالرحمن بدوي من تصدير عام من ميجيل دي ثربانتس سابدرا، دون كيخوته، ج١، ص٣٥.
(١٤) ميجيل دي ثربانتس سابدرا، دون كيخوته، ج٢، هامش٢، ص٦٣.
(١٥) المرجع السابق، ج٢، ص٦٣.
(١٦) المرجع السابق، ج٢، ص٦٩.
(١٧) المرجع السابق، ج٢، ص٧٨.
(١٨) المرجع السابق، ج١، ص١٨٣.
(١٩) المرجع السابق، ج١، ص٢١٠.
(٢٠) المرجع السابق، ج٢، ص٦٦.
(٢١) المرجع السابق، ج١، ص١٩٤.
(٢٢) المرجع السابق، ج١، ص١٦١.
(٢٣) المرجع السابق، ج١، ص١٦٢.
(٢٤) المرجع السابق، ج١، هامش١، ص١٦٢.
(٢٥) المرجع السابق، ج٢، ص٣٢٧.
(٢٦) المرجع السابق، ج١، ص٣٥.
(٢٧) المرجع السابق، ج١، ص١٤٩. ج١ ص١٦٧.
(٢٨) المرجع السابق، ج١، ص١٥٠.
(٢٩) نفسه.
(٣٠) المرجع السابق، ج١، ص١٤٥.
(٣١) المرجع السابق، ج١، ص١٤١.
(٣٢) المرجع السابق، ج٢، ص٥٢.
(٣٣) نفسه.
(٣٤) المرجع السابق، ج٢، ص٥٣.
(٣٥) المرجع السابق، ج٢، ص٥٢.
(٣٦) المرجع السابق، ج٢، ص٥٣.
(٣٧) المرجع السابق، ج٢، ص٨٦.
(٣٨) المرجع السابق، ج٢، ص٧٢.
(٣٩) المرجع السابق، ج٢، ص٧٨.
(٤٠) نفسه.



«أكويلا»

فيسبوك تطير بالإنترنت إلى المناطق النائية

أطلقت شركة (فيسبوك) طائرة عملاقة من دون طيار تدعى (أكويلا)، وهي من بنات أفكار مختبر اتصال الشركة الذي بدأ أعماله منذ سنة، وتعمل الطائرة بالطاقة الشمسية، وتظل محلقةً في الطبقة العليا من الغلاف الجوي عدة أشهر، موصلةً الإنترنت إلى المناطق الريفية التي يصعب الوصول إليها. وبدأ المختبر بتطوير تكنولوجيا جديدة طائرة من دون طيار، بوصفها جزءاً من مهمة الشبكة الاجتماعية لربط جميع العالم إلكترونياً.

وتأتي هذه الخطوة؛ لأن أربعة مليارات شخص حول العالم محرومون من خدمات الإنترنت، ويفتقر ١٠٪ من سكان العالم إلى البنية التحتية اللازمة للحصول على الإنترنت، ويعمل الفيسبوك بوساطة طائرات من دون طيار، وأقمار صناعية، وأشعة ليزر، وتكنولوجيا الإنترنت الأرضية؛ للوصول إلى هؤلاء الأشخاص. وقد أعلن باحثو الشركة عن توصُّلهم إلى طريقة لاستخدام الليزر في إيصال البيانات من الطائرات أسرع عشر مرات من المعدل العام.

وتأخذ طائرة (أكويلا) العملاقة شكل حرف ٧، ويبلغ قطرها ١٤٠ قدماً، وهي مغطاة بالخلايا الشمسية، ومصنوعة من ألياف الكربون الخفيفة، وتزن نحو ٨٨٠ طناً عند تجهيزها بالكامل، إضافةً إلى المحركات، والبطاريات، ومعدات الاتصالات.

ولن تحتاج (أكويلا) إلى مدرج للطيران؛ لأن إطلاقها بوساطة ربطها ببالون هيليوم؛ فتحلق وقت النهار على ارتفاع ٩٠ ألف قدم، وتمتصّ الطاقة الشمسية؛ لتوفّر هذه الطاقة في الليل، وتهبط إلى ٦٠ ألف قدم. وعلى الرغم من أن الأنظمة الحالية تحتاج إلى طيار واحد؛ ليوجّه كلّ طائرة من دون طيار، فإن (فيسبوك) تأمل في تطوير تصميم (أكويلا) مستقبلاً؛ لتتخلص من ضرورة إشراف طيار متخصّص على الطائرة.

دواء ألمانيّ للغباء



أعدّ العلماء الألمان مادةً فريدةً؛ لمكافحة بعض الأمراض التي يصاب بها دماغ الإنسان.

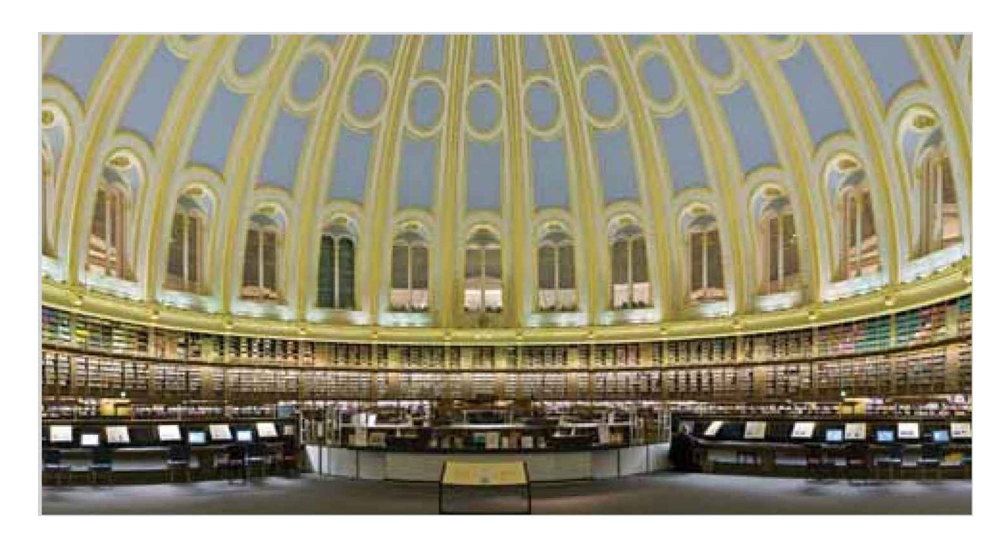
وقد أعلن العلماء -بعد إجراء سلسلة من التجارب- قدرة هذا الدواء على علاج الرجال والنساء من الغباء، وزيادة فرص تعافي المرضى التام من أمراض خطرة؛ مثل: مرض الزهايمر.

وتجري الآن تجربة الدواء على الفئران، وفي حال نجاح التجربة سيتخذ الباحثون بمعهد الوراثة الجزيئية قراراً يتصل بجدوى إجراء تجارب إضافية.

وقال الباحث في المعهد هانس غيلهر روبرز، حسب وكالة فيستي: إن الدواء الجديد قادر على وقف النشاط الزائد في بعض مجموعات الخلايا العصبية لدى الإنسان، ويستطيع إحلال الاستقرار في عمل مخ الإنسان، وتحسين قدرته على التفكير والتركيز.

ويأمل الأطباء في أن يُحدِث اكتشافهم ثورة حقيقية في مجال الطب؛ لأن الملايين من النساء والرجال يعانون حالياً من مرض الزهايمر.

متاحف لندن ومسارحها أكثر المعالم بحثاً في جوجل على مستوى العالم



مدينة لندن هي أكثر مدينة في العالم يُبحث عنها في محرك البحث جوجل على الإنترنت؛ لمعرفة معارضها، وعروضها الفنية، وتصاميمها المبدعة، هذا ما كشف عنه بحث حديث قامت به مؤخراً شركة لندن آند بارتنرز التابعة لمكتب عمدة لندن، بمناسبة موسم لندن الثقافي في الخريف.

وتعدّ متاحف العاصمة لندن أكبر ثلاثة متاحف يُبحث عنها في جوجل على مستوى العالم، وفي صدارتها متحف العلوم، ويليه متحف التاريخ الطبيعيّ، ثم المتحف البريطاني في المركز الثالث.

وتلا متاحف لندن متحف نيويورك متروبوليتان للفن، ومتحف سميثسونيان بواشنطن.

وقال إيان بلاتشفورد، مدير متحف العلوم بلندن: إنه أمرٌ رائع جداً أن كثيراً من الناس حول العالم يبحثون عن متحف العلوم، وهذه المعلومات الجديدة تعطي دليلاً آخر على المستوى العالمي للمتاحف البريطانية.

وأضاف بوريس جونسون، عمدة لندن، أن لندن بلا شك هي عاصمة العالم الثقافية.

وتتصدّر مسارحُ لندن المسارحَ الأكثر بحثاً في جوجل على مستوى العالم، إضافةً إلى كون لندن نفسها أكثر المدن التي يُبحَث عنها.

تعيين أول «مأذونة شرعية» في فلسطين



قرر مجلس القضاء الأعلى الفلسطيني -لأول مرة في فلسطين- تعيين أول سيدة (مأذونة شرعية)؛ لإبرام عقود الزواج وما يرتبط بها، وسط ترحيب فئات اجتماعية، ورفض أخرى.

وبدأت تحرير حماد -الحاصلة على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية المعاصرة- العمل في سلك القضاء الشرعيّ قبل أكثر من عشر سنوات، لكنها تقلّدت منصب مأذونة شرعية قبل أيام، بدعم من قيادة السلطة الفلسطينية؛ مما يشجّع النساء على تقلُّد مناصب عُليا.

وتقول تحرير حماد، المأذونة الشرعية، حسب الجزيرة: إنها حاولت من خلال تقلدها هذا العمل أن تكسر بعض القيود الموضوعة على عمل المرأة، وأن تخترق مهنة ظلّت مقتصرة على الرجال.



عيوب نظم التشفير الإلكتروني

أكّدت دراسة حديثة أن نُظُم التشفير الرقمي المستخدمة حالياً قد تكون أضعف مما ينبغي. وكشفت الدراسة عن أوجُه قصور في الجيل المستخدم من الأرقام العشوائيّة المستخدمة في تشفير البيانات.

وتعدّ الأرقام التي يصعب تخمينها من أهم المتطلّبات الأساسيّة للإجراءات الأمنيّة الإلكترونيّة، التي تُتَّخذ لحماية البيانات من السرقة، وفق ما نقلته قناة (بي.بي.سي) على موقعها على الإنترنت.

لكن مصادر البيانات التي تعتمد عليها بعض أجهزة الكمبيوتر غالباً ما تنضب؛ مما يجعل تلك الأرقام العشوائيّة عرضة لهجمات إلكترونيّة معروفة، قد تؤدّي إلى سرقة البيانات الشخصيّة.

واستعرض بروس بوتر، وهو خبير في تأمين النظم الإلكترونيّة، نتائج الدراسة التي أجراها بالتعاون مع الباحثة ساشا مور خلال أنشطة مؤتمر (بلاك هات) للأمن الإلكتروني الذي عقد في لاس فيجاس؛ يقول بروس: نظرنا في البداية إلى الأمر بوصفه مشكلة مثيرة للاهتمام، لكن اكتشفنا بعد التعمّق في دراسته، أنه شيء يثير الفزع.

وتناولت الدراسة الطرائق الواسعة الانتشار المستخدمة في إنتاج خطوط البيانات، التي تنتجها برمجيّات الخوادم التي تعمل بنظام (لينوكس)، التي يراها المطوّرون بذرة لإنتاج المزيد من الأرقام العشوائيّة.

وتعدّ الأرقام الضخمة التي يصعب تخمينها من الضروريات اللازم توافرها لعملية تشفير البيانات. وتستخدم تلك الأرقام في الخوادم التي يُعتمد عليها في مهمات أمنيّة بسيطة؛ مثل: جعل الأرقام عشوائيّة في أثناء تخزين البيانات؛ حتى يمكن حمايتها من عمليّات السرقة والاختراقات الإلكترونية، والحدّ من قدرة قراصنة الكمبيوتر على التكهّن بما تقوم به أجهزة الكمبيوتر من إجراءات.

تبدأ عملية إنتاج الأرقام العشوائيّة الجيّدة بترجمة الخادم لحركات الفأرة، والنقرات على لوحة المفاتيح وغيرها من الأمور التي يقوم بها الكمبيوتر أثناء العمل في إطار دورة البيانات.

وتتنوع الأرقام العشوائية ما بين الصفر وباقي الأرقام المفردة. وتتضمّن الخطوة التالية تجميع البيانات في وحدة مفردة؛ لاستدعائها بعد ذلك للقيام بمهمات أمنيّة كثيرة.

يقول بوتر: إن هذه الوحدة التي تُجمع فيها البيانات تتمتع بدرجة عالية من (التشتت). وتقلّ درجة (التشتت) عندما تكون حُزْمة البطاقات التي تحتوي على البيانات غير معدَّلة وفقاً لبوتر الذي فسّر ذلك بأنه قد يكون لأسباب تتعلق بترتيب بطاقات البيانات. وكلما تعرّضت حُزْمة البطاقات لتعديلات أكثر، ارتفع مستوى التشتت الذي تتمتع به؛ لأن عملية تحديد ترتيب البطاقات وسط مستوى مرتفع من التشتت تنطوي على قدر كبير من الصعوبة.

وتُستَدعَى البيانات من وَحْدة التجميع إلى وَحَدات فرعية منفصلة، تمثل (البذرة) التي تولّد المزيد من العشوائية في الأرقام المستخدمة في عملية التشفير.

وأضاف بوتر أنّ ارتفاع مستوى التشتت يرفع درجة صعوبة تخمين تلك الأرقام. ولفت إلى أنّ درجة التشتت في دورة البيانات بالخوادم التي تعمل بنظام تشغيل (لينوكس) غالباً ما تكون ضعيفة جداً؛ لأنّ أجهزة الكمبيوتر لا تنتج معلومات أساسية تكفي تلك الخوادم. وأشار إلى أنّ برمجيات حماية الخوادم تقدّم القليل فيما يتصل بتحديد ما إذا كانت درجة التشتت عاليةً أم منخفضةً.

وفي الأغلب ما تعمل وَحَدات تجميع البيانات وهي خالية من تلك المعلومات؛ مما يجعل نُظم التشفير تعاني من نقص (البذور)، التي تحتاجها لإنتاج القدر الكافي من مولّدات الأرقام العشوائية وفقاً لبوتر.

وينتج عن ذلك تحول الأرقام العشوائية التي توصلت إليها نظم التشفير إلى مجموعات من الأرقام التي يسهل تخمينها؛ لأنّ (البذور) التي المتاحة تُنتَج بمعدلات أقل من المطلوب.

وكشفت الدراسة عدداً من الأوجه غير المعروفة لأساسيّات العمل بالتشفير الإلكتروني لملايين الخوادم الأكثر استخداماً في العالم.

وأكد بوتر أنّ هذا الأمر يثير الفزع؛ لأنّه عندما يكون هناك شيء ما مجهول في الشفرات المستخدمة، من الممكن أن يؤدّي ذلك إلى اختراقات إلكترونية وسرقة البيانات.

جامعة ألمانية

عبر الإنترنت للاجئين



أوردت دويتشه فيلله أن جامعة مجانية تساعد اللاجئين على إنهاء دراستهم قد تأسست في ألمانيا، بهدف تجاوز الإجراءات التعجيزية التي تحول دون دخولهم الجامعة، ومنها الاعتراف بالشهادات، وعبور امتحانات اللغة، وغير ذلك من المعوقات.

وقال ماركوس كريسلر مؤسس جامعة (وينغز): إن بإمكان كل لاجئ التسجيل فيها من دون وثائق، مضيفاً أن هناك طلاباً انتظروا طويلاً لإنهاء إجراءات القبول، ويعدّ ذلك خسارة للوقت.

تبدأ انطلاقة الدراسة في هذه الجامعة عبر الإنترنت في الخريف، وقد وُضِعت البرامج الدراسية بداية عام ٢٠١٥م، وأساتذتها من جامعة برلين الحرّة، ومن أكاديمية الفنون في برلين، ويعمل بها أساتذة من جامعات مرموقة في العالم، مثل: هارفارد، وستانفورد، وسيُلقون محاضرات عبر الإنترنت للطلبة من دون مقابل.

والاختصاصات التي توفرها الجامعة، هي: الهندسة، والمعلوماتية، وعلم الاقتصاد، والتصميم، ويمكن للطلبة الحصول على شهادتي التخرج بمستوى بكالوريوس وماجستير.

وستبدأ الدراسة مع ٤٠٠ طالب، ويتمّ حالياً التواصل مع جامعات متعاونة بغرض المساهمة في توفير أماكن؛ لإجراء الامتحانات في قاعات بناياتها.

الألوان تتغير

مع فصول السنة



أثبتت دراسة علمية أجراها باحثون بجامعة يورك البريطانية أن الناس يرون الألوان بطريقة مختلفة في الصيف، فيبدو الأصفر أكثر اخضراراً منه في أشهر الشتاء.

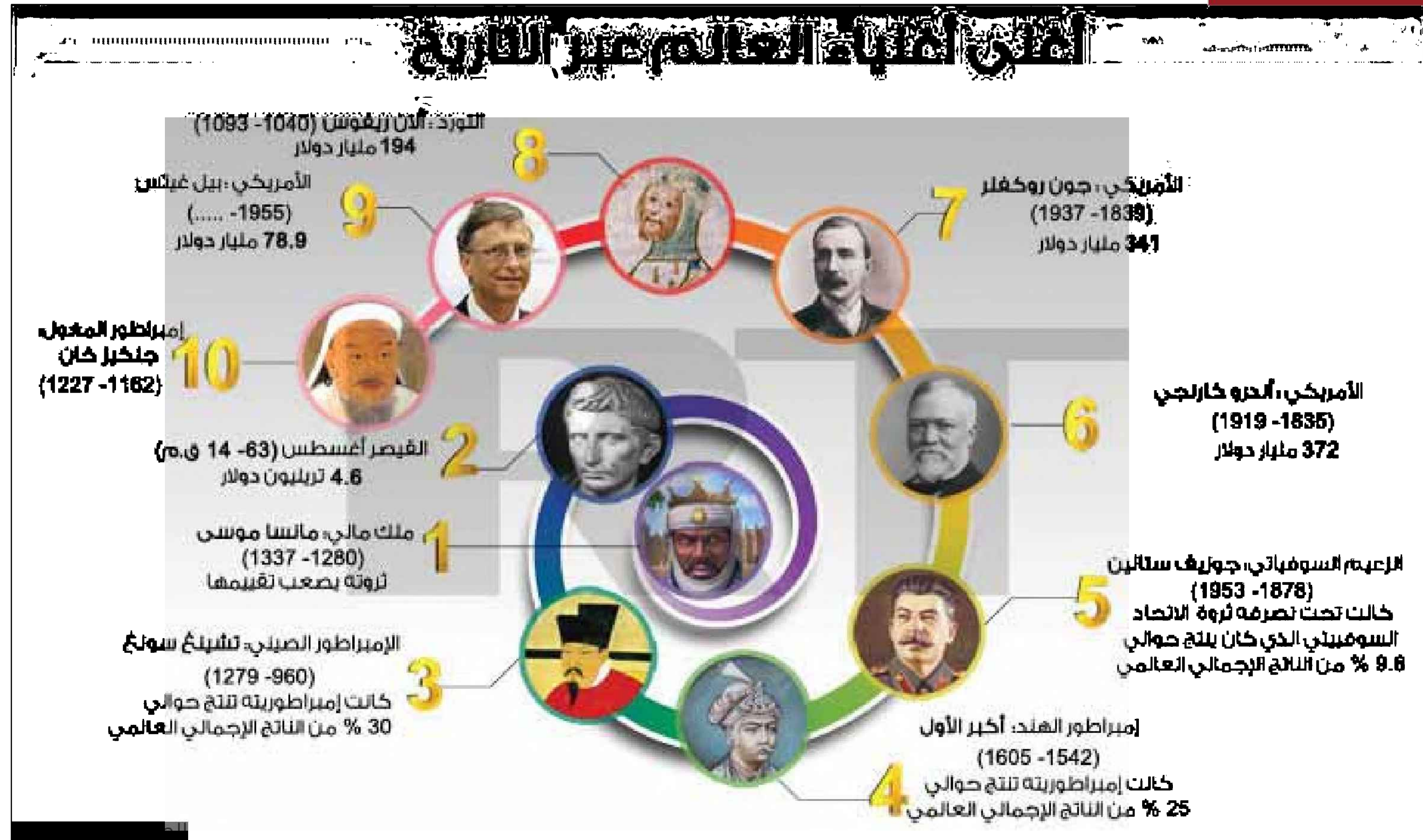
وركز العلماء في اللون الأصفر؛ لاتفاق الناس حوله، مع أن أعينهم في الأغلب تكون مختلفة جداً.

وبحث علماء النفس بالجامعة عن سبب الاستقرار الهائل لهذا اللون، والعوامل التي قد تجعله يتغير؛ إذ كان الاعتقاد أن الأصفر الفريد قد لا يعتمد على بيولوجيا العين، لكن على لون العالم الطبيعيّ.

ووجد الباحثون أن الرؤية بين الفصول تتكيف مع التغيرات في البيئة؛ ففي الصيف عندما تنمو أوراق الشجر بغزارة يضطر النظام البصريّ للتكيف مع الواقع الجديد؛ لفرط اللون الأخضر.

وفي أشهر الشتاء تبدو الأماكن التي فيها خضرة رمادية باهتة، بينما تغطي الخضرة كلّ مكان في الصيف، فتعوض الرؤية تلك التغيرات، وهذا بدوره يغيّر ما يبدو عليه اللون الأصفر.

وتوصل الباحثون إلى أن هذه التغيرات البصرية يمكن أن تساعد على تشخيص الاضطرابات البصرية.



أشهر أغنياء التاريخ

في مجلة «تايم»

أعدت مجلة (تايم) الأمريكية قائمة بأغنى ١٠ شخصيات على مرّ التاريخ. وأدرجت فيها كلاً من أوكتافيان أوغسطس، وجنكيز خان، وجوزيف ستالين، وجون روكفلر.

وذكرت المجلة أن حاكم دولة مالي التي كانت أكبر دولة منتجة للذهب في حقبة القرون الوسطى، واسمه (مانسا موسى) من الصعب جداً حساب ثروته بدقة.

ويأتي في المرتبة الثانية مؤسس الإمبراطورية الرومانية أوكتافيان أوغسطس. ويرى علماء الاقتصاد أن ثروة الإمبراطور كانت تعادل نحو ٤،٦ تريليونات دولار أمريكي بسعر صرف الدولار عام ٢٠١٤م.

واحتلّ الإمبراطور الصينيّ شين تسونغ المرتبة الثالثة، وكان زعيم أكبر دولة اقتصادياً، فكانت تنتج في القرن الحادي عشر ما نسبته ٣٠٪ من الناتج الإجماليّ العالميّ.

واحتل المرتبة الرابعة أكبر الأول عاهل الإمبراطورية المغولية، التي كانت تنتج في القرن السادس عشر ربع الناتج الإجماليّ العالميّ.

ويمكن مقارنة نصيب الفرد الواحد من رعاياه من الناتج الإجماليّ المحليّ في زمانه بنصيب الفرد الواحد من رعايا الإمبراطورية البريطانية في حقبة إليزابيث الأولى، وكان أرستقراطيُّوه أغنى من الأرستقراطيّين الأوربيين.

وجاء جوزيف ستالين في المرتبة الخامسة، وكان يسيطر على أكبر اقتصاديات العالم. وأوضحت (تايم) أن ثروة الاتحاد السوفييتيّ لم تكن ملكيةً له، لكن كان باستطاعته التصرف شخصياً بالقدرة الاقتصادية السوفييتية الهائلة.

واحتل المرتبة السادسة صاحب شركة US Steel بثروة قدرها ٣٧٢ مليار دولار، بسعر صرف الدولار الأمريكي عام ٢٠١٤م.

واحتلّ جون روكفلر مؤسس الشركة الأمريكية (ستاندارت أويل) المرتبة السابعة، وقُدِّرت ثروته بسعر صرف الدولار الحالي بـ ٣٤١ مليار دولار.

واحتلّ آلان أوبورن فارس إقليم بريتان المرتبة الثامنة، وكانت ثروته وقت وفاته عام ١٠٩٣م تقدر بـنحو ٧٪ من الناتج الإجماليّ المحليّ البريطانيّ؛ أيّ ما يعادل ١٩٤ مليار دولار، بسعر صرف الدولار عام ٢٠١٤م.

وجاء بيل جيتس الذي يمثل اليوم أغنى رجال العالم المعاصرين في المرتبة التاسعة بثروة تقدر بنحو ٧٨،٩ مليار دولار.

وكان ترتيب جنكيز خان مؤسس إمبراطورية المغول في المرتبة العاشرة، وهو يوصف بأنه أنجح القادة العسكريين على مر التاريخ!

لعبة إيرانية

تثير عرب الأهواز

أثارت لعبة إيرانية جديدة، نشرها موقع إيراني متخصص في مجال بيع الألعاب الإلكترونية اسمه (ساجو)، تحمل عنواناً عنصرياً واضحاً، تمثل في عبارة (اضرب واشتم العربي) جدلاً واسعاً على الشبكات الاجتماعية. وسمح الموقع للجميع بتحميل اللعبة بالمجان.

والموقع مسجل في مركز تنظيم المواقع الإلكترونية الإيرانية، التابع لوزارة الثقافة والإرشاد في إيران، ويعرف نفسه بأنه موقع ترفيهي يمارس نشاطه وفقاً لقوانين الجمهورية الإسلامية الإيرانية، مؤكداً أنه سيحذف أي كتابة تعارض القوانين الإسلامية!

وتتكون اللعبة -حسب صحيفة العرب- من قسمين: الأول أُطلِق عليه (أطعم الرجل العربيّ)، والثاني حمل عنوان (اضرب العربيّ).

ومع أن الاسم الرسمي يؤكّد أن اللعبة موجهة ضد العرب من دون تمييز، فإنه تحسباً لاحتمال إثارة غضب عرب الأهواز، وُضِع بين القوسين أمام اسم العرب (السعوديون)، لكن كثيراً من عرب الأهواز الذين تعدّهم الجمهورية الإسلامية وَفْقَ قوانينها مواطنين إيرانيين، نشروا تعليقات على هذه اللعبة، ووصفوها بأنها معادية للعرب، سواء أكانوا أهوازاً أم سعوديين أم غيرهم.

وكتب الناشط الأهوازي محمد مجيد على تويتر «لعبة إيرانية بعنوان (اضرب العرب)، وشعارها قم بضرب وسب العربيّ في اللعبة، عنصرية فارسية حاقدة على كل ما هو عربيّ».

وقال: «أولاً هكذا لعبة ستزيد من الحقد، وبالتالي الموت والكره الأبدي، ولن تساهم بالتوصل لتهدئة النفوس والقلوب. هل هذا ما تريده الدولة الفارسية؟».

وتساءل: «ماذا لو قام العرب بصنع لعبة مماثلة في حق أصحاب العمائم، ماذا ستكون ردة فعلهم؟ ستكون بقتل المزيد من أطفال ونساء ورجال المسلمين في الوطن العربي. القتل والحقد صنعتهم».

وأضاف مغرّد: «العرب منهم آل البيت، ومن العرب شيعة وسنة، وإيران تدعو لشتم وضرب العرب بغض النظر عن رموزهم التاريخية ومذاهبهم، فالمسألة القومية في إيران يعرفها الشيعيّ الذي يزورها قبل السنيّ، وباعتقادي أن الخطاب الإيراني سيتطرف أكثر في قوميته وتعصبه بعد الاتفاق النوويّ؛ إذ يشعر الإيرانيون أنهم حققوا الجزء الأهم من مشروعهم التاريخيّ».

وكتب مُعلِّق: «متى يستفيق الشيعة العرب ويدركون أنهم لعبة في يد إيران؟»، واعترض مغرِّد آخر: «العنصرية هي تفضيل دِين على دِين، وعِرْق على عِرْق، وجنس على جنس، ليس الإيرانيون وحدهم عنصريين».



الكمبيوتر واتسون

يكشف شخصية أشهر الكتاب

ابتكرت شركة IBM جهاز كمبيوتر يدعى (واتسون) استطاع أن ينتصر على البشر في مسابقة (جيوباردي) الشهيرة، وبرهن أن في وسعه أن يكشف شخصية الكُتّاب، من خلال أيّ نصّ لهم.

حاولت مجلة (لو نوفيل اوبسرفاتور) الفرنسية التأكّد من الأمر، فاختارت مجموعةً من الأدباء، وأخضعت تجاربهم لامتحان التقويم.

على هذا النحو، تبيّن أن الكاتب الفرنسي ألبير كامو، واستناداً إلى حسابات الجهاز، وبعدما أدخل إليه الفصل الأول من روايته المحورية (الغريب)، هو شخص عاطفيّ يصعب إحراجه، ويتراءى غير مبالٍ بالاستقلالية وبالنجاح.

وتقترب طباع (كامو) بعض الشيء من (غوستاف فلوبير) الذي يظهر من خلال (مدام بوفاري) سخيّا وقادراً على التعبير، وفي وسعه منح ثقته الآخرين، وذلك من دون عناء، لكن هذه الصفات تدل على سذاجة، ولا تقترب البتّة من واقعية أسلوبه الكتابيّ.

أما (بيار كورناي) فينمّ من طريق عمله المسرحيّ الكلاسيكي (السيّد)، عن شخصيّة اجتماعية، على الرغم من الخيارات التي حتمتها رغبته في البروز الاجتماعي.

أما شخصيّة (موليير)، فجرَت دراستها بوساطة المشهد الأول في مسرحيّته (البورجوازي النبيل)، الذي يفصح عن شخص يتمتّع بثقة عالية، وعن طباعه الاجتماعية، وهذا ما يبرّر -وَفْقَ الجهاز- ميله إلى الكوميديا.

وجرى التمعُّن في (فولتير) بطباعه من خلال مطلع (كانديد)، والنصُّ يُظهره بوصفه شخصاً هادئاً وصادقاً وواثقاً في نفسه، ويستطيع مواجهة الحوادث غير المتوقّعة على نحو متأنٍ وفعّال!

ويظهر الكومبيوتر (جول فيرن) من خلال مُؤلّفه (عشرون ألف عقدة تحت البحار) مُشككاً، وفيلسوفاً، وصاحب خيال خصب.

ويبدو (ستاندال) كاتباً مُتدنّي الإحساس، ومُشككاً من خلال روايته (الأحمر والأسود)، أما (جان بول سارتر) فيبدو شخصاً صادقاً ومرتاباً، إضافةً إلى كونه فيلسوفاً منفتحاً على الأفكار الجديدة.

أكثـر الكتـب رواجـاً فـي مايـو ويونيـو ٢٠١٥م

ببلشـرز ويكلي
PUBLISHERS WEEKLY

الكتاب: بلاط الأشواك والورد
المؤلف: سارا ج. ماس
الناشر: بلومزبري

A Court of Thorns and Roses
Sarah J. mass
Bloomsbury

تدور وقائع هذه الرواية في غابة خيالية تقع في تخوم عالم الإنس وعالم الجن.

الكتاب: رجل الذاكرة
المؤلف: ديفيد بلداشي
الناشر: جراند سنترال

Memory Man
David Baldacci
Grand Central

قصة بوليسية رائعة لرجل تكمن كل الخصائص الفريدة في ذاكرته القوية على الرغم من إصابته بشلل كامل في سائر أجزاء جسده!

الكتاب: بقايا البراءة
المؤلف: ج. أ. جانس
الناشر: مورو

Remains of Innocence
J.A. Jance
Morrow

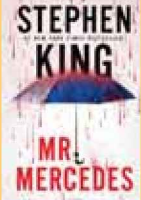
صارت التركة التي آلت ملكيتها للسيدة ليزا محلّ جرائم ومؤامرات كثيرة بقرية صغيرة في أريزونا.

الكتاب: الموت في قناع جميل
المؤلف: ماري هجنز
الناشر: سيمون وكستر

Death Wears a Beauty Mask
Mary Higgins
Simon and Schuster

مجموعة قصصية، أهمها قصة الموت في قناع جميل، التي تحكي اختفاء عارضة أزياء مشهورة.

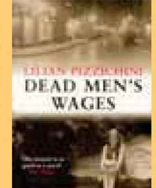
صنداي تايمز
THE SUNDAY TIMES



الكتاب: السيد مرسيدس
المؤلف: إستيفن كنج
الناشر: هودر

Mr Mercedes
Stephen King
Hodder

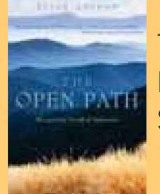
قاتل يرتكب سلسلة جرائم معلنة، ويتحدى إيقافه قبل ارتكاب الجريمة الآتية فيما يشبه لعبة القط والفأر.



الكتاب: رواتب الأموات
المؤلف: ليليان بيزشيني
الناشر: بيكادور

Dead Men's Wages
Lilian Pizzichini
Pecador

الرواية مسرحها عالم الجريمة بلندن، في سبعينيات القرن الماضي، بعدسة فتاة صغيرة.



الكتاب: الدرب المفتوح
المؤلف: إلياس أميدون
الناشر: سنتيانت

The Open Path
ELias Amidon
Sentient

تجربة أميدون مع التصوف الإسلاميّ والبوذيّ في مسيرة امتدت نحو أربعين عاماً.

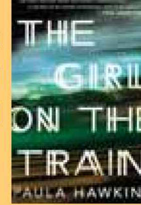


الكتاب: قوة إكس
المؤلف: جوي ياب
الناشر: جي واي بوكس

The Power of X
Joey Yap
J Y Books

كتاب يعالج من النواحي الدينية والفلسفية والنفسية ارتباط مصاير الناس وأقدارهم بقوى غير مرئية.

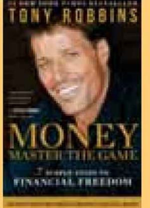
ليبراري جورنال
LIBRARYJOURNAL



The Girl on the Train
Paula Hawkins
Riverhead

الكتاب: فتاة القطار
المؤلف: بولا هوكنز
الناشر: ريفرهيد

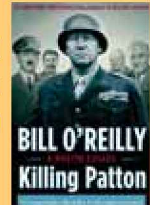
ثمة فراغات هائلة في حياة كل فتاة ينبغي تجاوزها بكل الوسائل وإلا صاحبتها إلى الأبد.



Money: Master the Game
Tony Robbins
S and S

الكتاب: تجويد لعبة المال
المؤلف: توني روبنز
الناشر: إس وإس

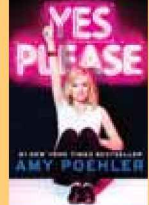
هذا الكتاب مبني على تجارب عدد من المليونيرات والحائزين جائزة نوبل في الاقتصاد، ويذكر سبع خطوات؛ لتحقيق النجاح والاستقرار الماليين للأفراد والمؤسسات.



Killing Patton
Bill O'Reilly
Holt

الكتاب: قتل باتون
المؤلف: بيل أوريلي
الناشر: هولت

يُكمل أوريلي رباعيته عن مقتل المسيح ولنكولن وكيندي بهذا الفرض الأخاذ بمقتل الجنرال جورج باتون في الحرب العالمية العظمى.

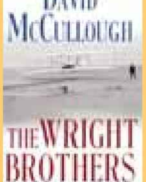


Yes Please
Amy Poehler
Dey Street

الكتاب: من فضلك
المؤلف: آمي بولر
الناشر: دي إستريت

مجموعة من الحكايات والأشعار والصور المتنوعة ذات الطابع الفكاهي التي توجه نقداً لاذعاً لبعض جوانب الحياة التي نمارسها من دون فحص أو مراجعة.

نيويورك تايمز
The New York Times



The Wright Brothers
David Mc Cullough
Simon and Schuster

الكتاب: الأخوان رايت
المؤلف: ديفيد ماكولو
الناشر: سيمون وكستر

قصة (ميكانيكي) درجات من ولاية أوهايو وبداية عصر الطيران.



The Good News Is
Dana Perino
Twelve

الكتاب: أما الخبر الطيب فهو
المؤلف: دانا برينو
الناشر: تويلف

قصة الحياة المهنية للناطقة الرسمية باسم الرئيس الأمريكي بوش، وملامح من حياتها الشخصية.



It's A Long Story
Willie Nelson
Little & Brown

الكتاب: قصة طويلة
المؤلف: ويلي نلسون
الناشر: ليتل وبراون

يروي المؤلف مسيرته الطويلة منذ كان بائعاً للموسوعات والكتب المستعملة، إلى أن صار مؤلفاً موسيقياً مشهوراً للتراتيل والأغاني الشعبية.



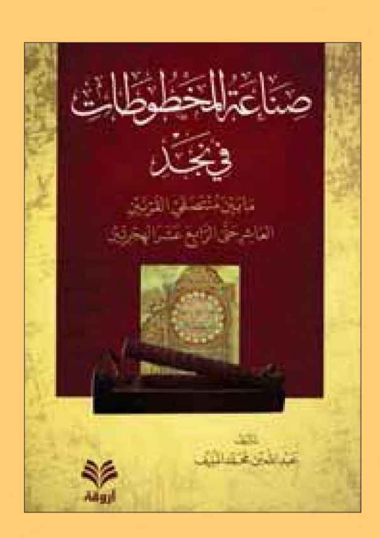
The Book of Joan
Melissa Rivers
Crown Arch

الكتاب: سيرة جوان
المؤلف: مليسا ريفرز
الناشر: كروان آرك

مذكرات مليسا ريفرز عن زوجها الممثل الكوميدي الأمريكيّ المشهور جوان ريفرز، وجوانب من حياته المفعمة بالصخب والعنف.

عروض كتب

الكتاب: صناعة المخطوطات في نجد
المؤلف: عبدالله بن محمد المنيف
الناشر: أروقة للدراسات والنشر، عمان، ١٤٣٥هـ /٢٠١٤م



هذا الكتاب عن التراث المخطوط في إقليم نجد، من القرن العاشر إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجريين.

فنجد مكان له خصوصيته من حيثُ الموقعُ، فهو إقليم صحراويّ بعيد من المؤثرات الحضارية التي توفّرت للشام والعراق ومصر واليمن؛ لذلك فهي بعيدة من المصادر الثقافية العربية والإسلامية خصوصاً قبل القرن الثاني عشر الهجريّ. ولم تحتلّ نجد موقعها المعروف حالياً إلا بعد قيام الدولة السعودية الأولى. وانطلاقاً من هذا التمهيد يؤسِّس المؤلِّف دراسته على أربعة فصول رئيسة؛ إذ خصَّص الفصل الأول منها لعرض التطوّرات الاجتماعية والسياسية في الإقليم خارج الإطار الزمنيّ لدراسته وداخله، إضافةً إلى واقع الحركة العِلْمية، وعرض مُفصَّل لأنواع المخطوطات النجدية ووظائفها، وطرائق تداولها. ويقدِّم الفصل الثاني مسحاً وافياً للموادّ والأدوات المستخدمة في صناعة المخطوطة النجدية، ووسائط الكتابة القديمة والمستحدثة، وأنواع الورق ومصادره ومقاساته وألوانه، والأحبار، وموادّ التجليد المستخدمة في تلك الحقبة.

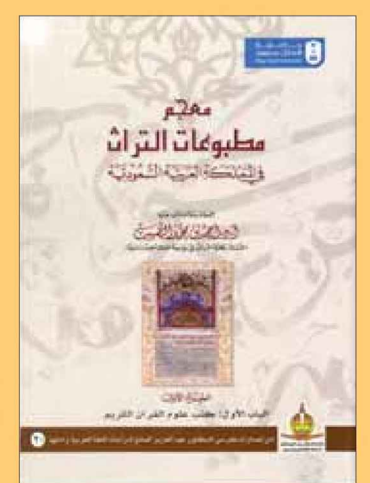
وتناولت الدراسة في الفصل الثالث فئات العاملين في صناعة المخطوطات النجدية، وقسَّمتهم إلى: نُسَّاخ، وعلماء، وقضاة، ومحترفين، وطلبة عِلم، ومُزوِّقِين، ومجلِّدين.

وحلَّلت الدراسةُ محتويات المخطوطات؛ من حيثُ الشكلُ، وتوزيعُ العناوين، والدِّيباجة، والعناوين الفرعية، والهوامش، والمسطرة، والخاتمة، والترقيم، والخطوط، والزخارف.

والدراسة، كما هو واضح من عنوانها، وما أنجزه المؤلِّف فعلياً، تُعَدّ الأولى من نوعها؛ من حيث الشكلُ، والمحتوى، وجِدَّة الموضوع وهو صناعة المخطوطات في نجد من منتصف القرن العاشر إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجريين، إضافةً إلى دور علماء نجد في تنمية هذه الصناعة، والتعريف بدور المكتبات الأسرية في ازدهار الحياة العِلْمية في تلك الحقبة. وقد توصَّلت الدراسة إلى نتيجة عامة مضمونها أن نجداً حتى وقت ظهور الدعوة الإصلاحية وقيام الدولة السعودية الأولى لم تكن بؤرة جهل وظلام ثقافيين، وإن بدت كذلك؛ بسبب غياب المصدر الذي يبرز الحياة الثقافية والعلمية؛ لأسباب ترجع إلى طبيعة الإقليم القاسية، وعزلته، وغياب السلطة المركزية. وأوصت الدراسة بضرورة دراسة موضوع المخطوطة النجدية وتوسيعه وتوثيقه بدراسات أخرى مستقبلية، إضافة إلى وضع فهارس شاملة للمخطوطات النجدية، ومعرفة مآلها ومصدرها.

● ● ●

الكتاب: معجم مطبوعات التراث في المملكة العربية السعودية
جمعه ورتّبه وعلّق عليه: أحمد بن محمد الضُّبيب
الناشر: جامعة الملك سعود، كرسي الدكتور عبدالعزيز المانع، الرياض، ١٤٣٦هـ

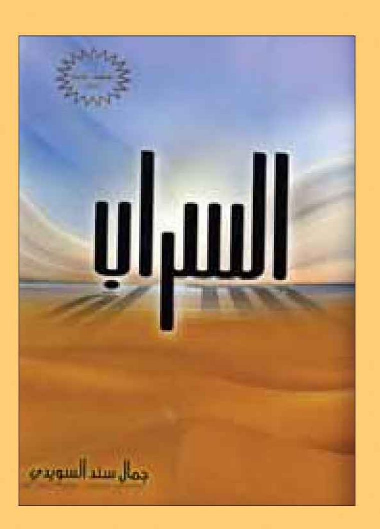


هذا عمل ضخم، موسوعيّ الهوى، علميّ المنهج، الأول من نوعه في باب الفهارس والمعاجم التي ترصد النتاج العربي الإسلامي في المملكة العربية السعودية؛ ذلك أن علم توثيق المطبوعات العربية والإسلامية في العالم العربيّ اتّجه في معظمه حتى وقت قريب إلى ما يصدر من مصر ودمشق وبغداد؛ أي: دول المركز، اعتمادًا على الفكرة السائدة باستبعاد الأطراف، ومنها الجزيرة العربية من قائمة البحث العلميّ، والتقدّم الفكريّ، وببليوجرافيا التراث العربي المطبوع بعد نشأة هذا العلم وازدهاره في القرن الماضي، ونلمس الازدهار المذكور في سعي بعض الدول العربية لإصدار قوائم المطبوعات الصادرة عنها في شكل أدلّة عقب إنشاء المكتبات الوطنية، وإصدار قوانين الإيداع، وظهور الببليوجرافيا العربية الوطنية إلى جانب المبادرات الأولى لفهرسة كتب التراث العربي المطبوع.

وقد اقتصرت الحركة في هذا المجال على المؤسسات الرسمية في دول المركز من دون الإشارة إلى ما يدور في سواها؛ مثل: الكويت، والسعودية، والمغرب، وتونس حتى كاد يستقر في الذهن العام أن مراكز نشر التراث تكاد لا تتعدى مصر والشام والعراق، لكن حركة التاريخ؛ كما يقول الدكتور الضبيب في مقدمة معجمه: لا تستقرّ على حالٍ، فما لبث أن انتشرت المطابع في البلدان العربية الأخرى.

وتوسّـعت العمليـة التعليميـة، وفُتِحت الجامعـات، ونُظمت المكتبات، واشـتعل أُوَار الدراسـات، فوجدنـا المملكـة العربيـة السـعودية مثـلاً تحتـلّ المرتبـة الثانيـة مـن حيـثُ عـددُ المطبوعات المتخصصة في نشر التراث حسَب التقرير الصادر عن مؤسسة الفكر العربيّ عام ٢٠٠٨م.
ويأتي هذا المعجم بوصفه مبادرة أولى؛ لرصد جانب من ازدهار حركة إحياء التراث في المملكة العربيـة السـعودية، وتحويلهـا إلى عمـل ببليوجرافي هو حصيلـة نحو أربعين عامـاً من البحث والجمع والدراسـة، ومن أهم الخيارات المنهجية التي اتبعها المؤلِّف ذِكْر ما نُشر في المملكة العربية السـعودية من تراث، سـواء أَحَقَّقه سـعوديون أم غير سـعوديين، إضافةً إلى ما نشره السـعوديون خارج المملكة بُغية إطلاع الباحثين على الجهود العِلمية بالمملكة، وسـدّ الفجوة العِلميّة بين الباحثين في البلدان العربية المختلفة.
ومن قواعد المنهج الذي اتَّبعه المؤلِّف إعادة تنسـيق الموادّ الأوليّة وتنميطها، وهي الموادّ التي بُنيت عليها الدراسـة في أربعين عاماً من البحث، وترتيبها في عشـرة أبواب حسـب العلوم التي تنتمي إليها المؤلفات على النحو الآتي:
كتـب علـوم القـرآن، وكتب علـوم الحديث، وكتـب العقيـدة، وكتب الفقـه وأصوله، وكتـب اللغة والنحـو والعَـروض، وكتـب الأدب، وكتب البلاغـة والنقد الأدبي، وكتـب التاريخ والسِّـيَر والتراجم، وكتـب الجغرافيـة والرحلات، وعلوم متفرّقة. ويضـم كلُّ باب فصولاً ومداخل بأسـماء المؤلفين، وتاريخ وفاتهم، ومعلومات النشـر كاملة (ما أمكن)، وعدد النسـخ المعتمدة، وطبيعتها، وسجلاً للسـوابق واللواحق، إلى جانب ملحوظات عن طبيعـة النصوص، ومن تكفّل بطبعها على نفقته، والمراجعات التي كتبت عنها أو الإلمامات التي أضافها المؤلِّف عن بعض المحقِّقين والناشرين.

الكتاب: السراب
المؤلف: جمال سند السويدي
الناشـر: مركـز الإمـارات للدراسـات والبحوث، أبو ظبي، ٢٠١٥م



رائعة السـويدي تتقصّى ضمن أمور أخرى ظاهرة الإسـلام السياسـيّ التي تشـبه السـراب بكل دلالاتـه؛ لأننـا عندما نقارب هذه الظاهرة بمباضع النقد الـكاوي يتجلّى لنا أنه محض وهم بصريّ وذهنيّ تماماً كالسراب بوصفه ظاهرة طبيعية. وفي ذلك يقول الكاتب: هذه الجماعات... تتبنّى خطاباً زئبقياً، وترفع شعارات مراوغة، وبرامج متهافتة، لا يستطيع أيّ باحث موضوعيّ إخضاعها للتدقيق والقياس المنهجييْنِ، فهي في ذلك شأنها شأن السراب «الطبيعيّ» لا تلبث أن تبتعد وتنحسـر كلما اقتربت منها، ويحدِّد الباحث الأرضية التي انطلقت منها ظاهرة الإسلام السياسيّ في استغلاله الأوضاع المعيشية القاسية، والهُوَّة القائمة بين أنظمة الحكم والشعوب، وحالة التديُّـن الفطريّ لدى الشـعوب العربية والإسلامية، وميلها إلى البديل الدينـيّ وقت الأزمات، إضافةً إلى توفُّر الظروف التي أسهمت في انتشار الأفكار المتشددة.
ويقارن الكاتب بين حال أوربا في القرن الخامس عشـر الهجريّ، وما آلت إليه النهضة الإسـلامية المرجوَّة. وفي هذا السياق يعرض انتشار الفكر التجريبيّ في أوربا، ودخوله في معركة شرسة مـع الكنيسـة؛ انتهت بإبعادها من المجال السياسـيّ بعد معارك فكرية وفلسـفية وسياسـية، تمثَّلـت في انتفاضات وثَوْرات كبرى؛ مثل: الثورة الفرنسـية عام ١٧٨٩م التي أقْصَت الدِّين تماماً عـن السياسـة، ودشـنت عصر بناء الدولـة القومية Nation-State التي تسـم الحضـارة الأوربية المعاصرة.
ويؤكّد الكاتب أن المطلوب هو تدمير الجذور الفكرية التي تقوم عليها حركات الإسلام السياسيّ بوساطة تنمية الفكر النقديّ الحرّ، وخلق مناخ ملائم لتبادل الآراء والمعارف والعلوم وتصارعها؛ لأن المعارف عندما تنحصر في منبع واحد -حسب رأي الكاتب- تصبح لعبةً في يد رجال الدِّين، لكن عندما تكون هناك منابع متعددة للمعرفة، فإن الأمر سيتغير.

دينا أديب الشهوان السعودية

كما الدُّمى

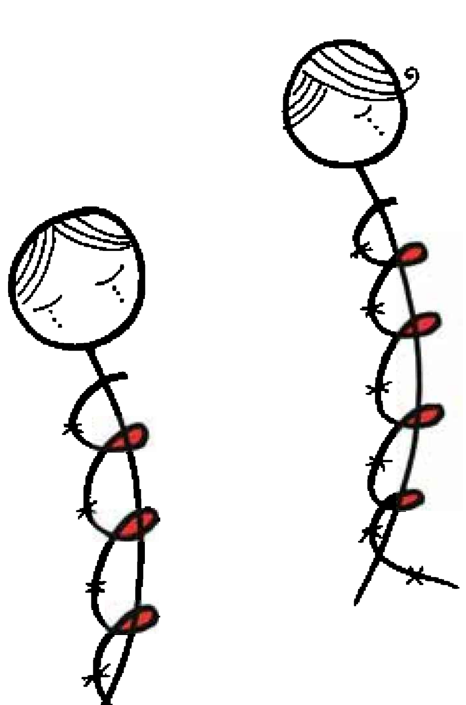
وصلتْ صناديق الطفولة
نعوشاً تهزُّ نعوشاً
يبتسمون لآخرِ لَقْطةٍ للحياة
لآخر قطرة ماء.

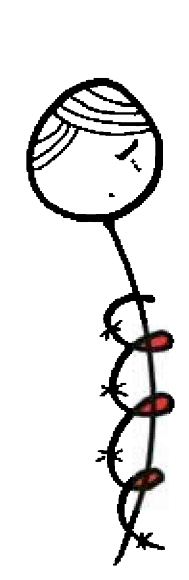
محتبسةٌ أنفاسُهم
كموت الشجرْ
كالشهقة الأولى
كتوقف الزمن.

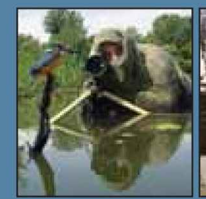
بشرٌ تشرق مساكنهم بالحياة
وتطويهم ساعة الغروب.

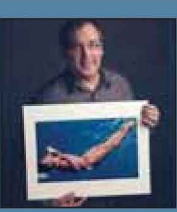
لم نعد نفرقُ بين الدُّمَى والصِّغار
باتوا يتشابهون
لا حراكَ
لا صوتَ
لا رُوحَ
لا دمَ في الدّمِ.

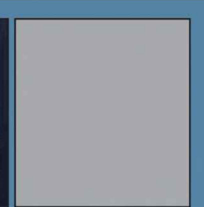
أما النساءُ اللواتي بكين الحياة
تعبْنَ في ولادتها
وعشْنَ أيامَهن من أجلها..
يَمُتنَ وعلى رؤوسهن البياض
كأنهن يترقبن لحظة موت
وأطفالهن ما زالوا يشكلون الغيم
بأجساد من هواء.











مالكولم براون

مالكولـم براون Malcolm Browne مصوّر أمريكيّ، كان يعمل في فيتنام لحسـاب وكالـة أسوشـيتدبرس، تلقى هو وغيره من ممثلي وسـائل الإعـلام دعوة حضور عشية ١٠ يونيو عام ١٩٦٣م في مكان محدد؛ لأنه سيكون هناك حدث كبير يستحقّ التغطيـة. تجاهـل كثير من الإعلاميين الدعـوة، وعدّوها خدعة، لكـن مالكولم حضر الموعد؛ ليرتبط اسمه -بعد ذلك- بهذا الحدث.

تجمـع رهبان وراهبات بوذيون في أحد شـوارع سـايجون، وجلس راهب عجوز يدعى تيش كوانج دوك Thich Quang Duc بهدوء كهيئة زهرة اللوتس، وجاء راهبان شابان غمرا جسـده بسائل، والمشاهدون -ومن بينهم مالكولم- يتابعون الموقف بفضول شـديد، ليتحول المشـهد بعد لحظات إلى رعب صامت؛ إذ أشـعل دوك الكبريت، الذي وقع في حضنه، ليشـب الحريق في ذلك الجسـد النحيل. كان هذا الحدث إشـارةً إلى موقف شعبيّ ضدّ النظام القائم في فيتنام الجنوبية، وفي تغير الموقف الأمريكي.



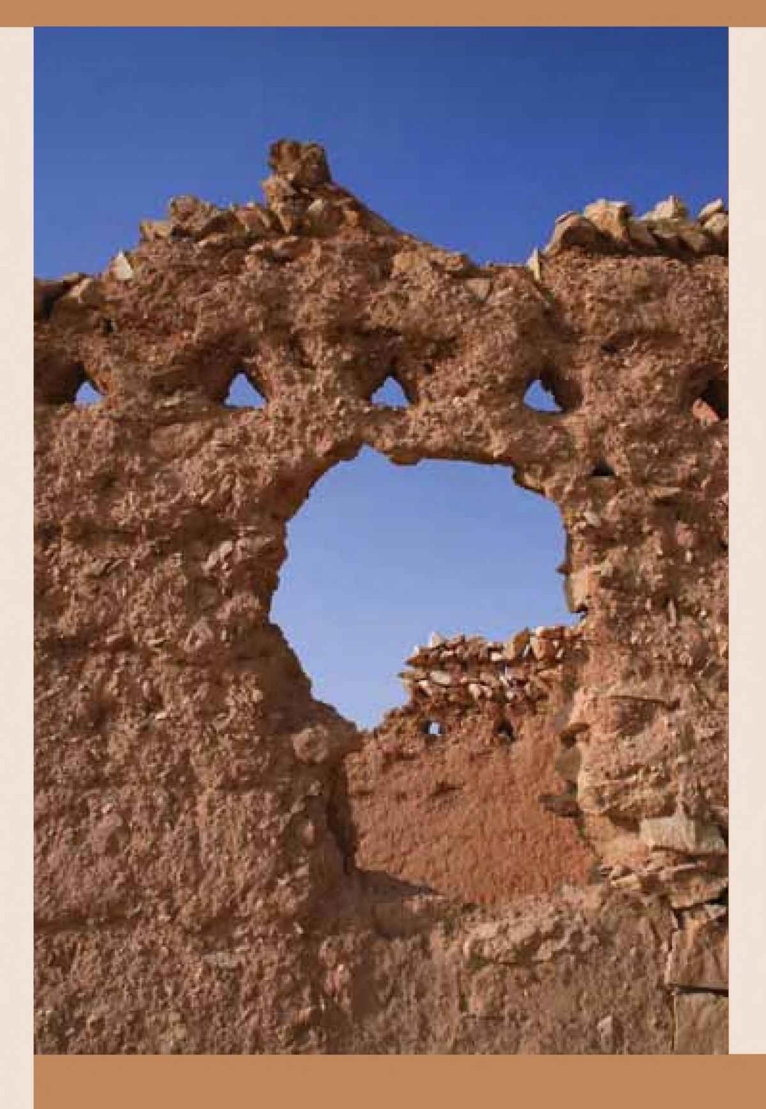
Malcolm Browne



حي الطريف في الدرعية

اعتراف عالمي بعمارة الطين

أدرجت لجنةُ التراث العالميّ التابعة لليونسـكو، حيَّ الطريف بمنطقة الدرعية التاريخية، شـمال غرب الرياض عاصمة المملكـة العربيـة السـعودية، ضمنَ قائمة التـراث العالميِّ في اجتماعهـا الرابع والثلاثيـن بالبرازيل؛ مما يعـزِّز القيمة التاريخية للجزيرة العربية بوصفها موطن الحضارات البشـرية، التي قامت على (عمارة الطين)، وهي حضارة تمتدّ جذورها في المملكة العربية السـعودية والكويـت والعـراق واليمن وإيران ومصر، وراعى فيها المعماريُّ الإخلاصَ العمرانيَّ للأنماط التراثية المتوارثة، والظروف البيئية المتغيّرة، فكانت الطبيعة فيهـا هـي مصـدر الإلهام وإيقاظ الحسّ لدى الإنسـان، باسـتخدام موادّ مـن البيئة المحيطة، وعبّـرت بصدق عن العلاقة بين الإنسـان والبيئـة الطبيعية والمهـارة الحرفيّـة والأصالـة الفنيّـة، فأظهر فيها الفنـان المعماريّ العربيّ شـخصيته المتميزة من غيره في تشـكيل الغلاف للجسـد العمرانيِّ، وصارت العمارة في خدمة الإنسان وسلامته وراحته.



القيمة التاريخية

شرعت منظمة اليونسكو العالمية في إنقاذ هذا التراث الإنساني بقلب الجزيرة العربية، وعلى بعد ١٥ كم من العاصمة الرياض، وتحديداً في حيّ الطريف، المؤسس عام ١٤٤٦م على يد جد الأسرة السعودية: مانع المريدي، وقد ارتبط الحيّ بمؤسس الدولة السعودية الأولى: محمد بن سعود، ويضم الحيُّ قصور حكم الأئمة ومساجدهم ومدارسهم وقصور أمراء الدولة وأمراء الأسرة من القادة والزعماء، وفيما يتَّصل بالقيمة التاريخية لحيّ الطريف تقول منظمة اليونسكو: إن قصورها شواهد تاريخية لأئمة الدولة السعودية الأولى، إضافةً إلى كونها ذات تميُّز معماريّ تقليديّ لهُوِيَّة تراثٍ حضاريٍّ له بُعدٌ زمنيٌّ، وتمثِّل القصور أصالة الموقع وعمقه الزمنيّ الذي يمتدّ نحو مئة سنة (١١٣٩ - ١٢٣٣هـ)، وقد هجر السكانُ الحيَّ مدةً طويلة بلغت ١٢٧ سنةً من (١٢٣٣ - ١٣٦٠هـ)؛ إذ شُرع في عمارة الحيّ من جديد، لكن هذه العمارة ألحقت تلفاً كبيراً بعمارة الحيّ القديم.

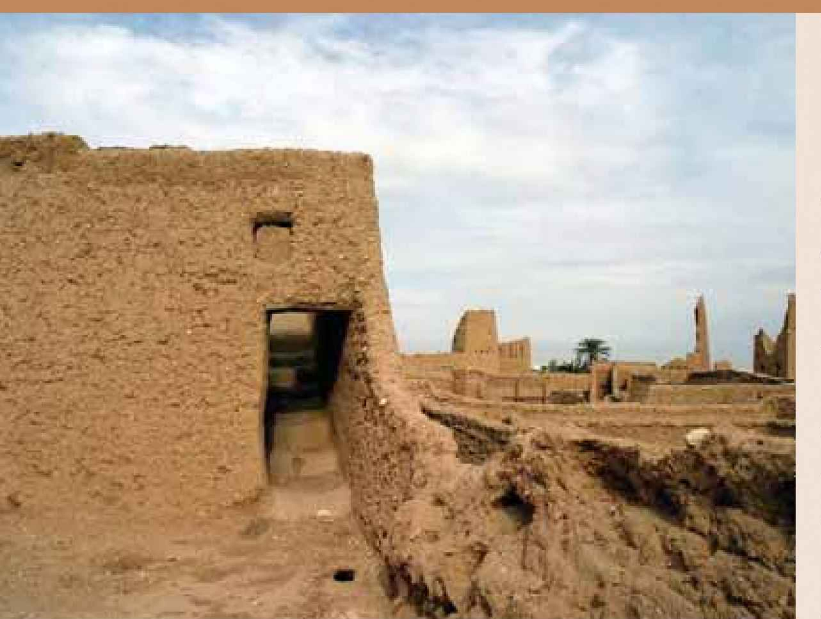
وفي اعتراف عالميٍّ بالمكانة التاريخية والتراثية لمدينة الدرعية التاريخية؛ أعلنت لجنة التراث العالميّ موافقتها على تسجيل حيّ الطريف بالدرعية التاريخية في قائمة التراث العالميّ التابعة لليونسكو، خلال اجتماع اللجنة في دورتها الرابعة والثلاثين التي عُقدت في شهر شعبان سنة ١٤٣١هـ بمدينة برازيليا بالبرازيل.

ويهدف تطوير الحيّ إلى إبرازه بوصفه موقعاً تاريخياً ومتحفاً أثرياً تتكامل فيه جوانب عرض الشواهد المعماريّة والبيئة الطبيعيّة للحيّ، إلى جانب العروض التفاعليّة والأنشطة الحيّة، ضمن منظومة تُعنَى بمفاهيم المحافظة والترميم، بوصف حي الطريف أهم معالم الدرعية التاريخيّة؛ لاحتوائه عدداً من المباني الأثرية والقصور والمعالم التاريخية في حقبة الدولة السعودية الأولى، فهي تمثل أصالة الموقع وعمقه الزمنيّ.

ستصبح مباني قصر سلوى متحفاً لتاريخ المملكة العربية السعودية، وستُقدَّم العروض المتحفية بأسلوبين: أحدهما مفتوح يتيح للزائرين إمكانية التجوّل بين أطلال القصر؛ والآخر مغلق يعرض تاريخ الدولة السعودية الأولى

أعلنت لجنة التراث العالميّ موافقتها على تسجيل حيّ الطريف بالدرعية التاريخية في قائمة التراث العالميّ التابعة لليونسكو، في شهر شعبان سنة ١٤٣١هـ

سيستخدم قصر عمر بوصفه متحفاً يوضّح أنماط الحياة بالمملكة في عصورها الأولى والعادات والتقاليد، وسيعاد استخدام قصر الثنيان بوصفه متحفاً حربياً



أطلال رائعة

في الشمال الشرقيّ لحيّ الطريف يقع قصر سلوى، وتحكي أطلاله قصته التي لم تشوّهها أيدي الزمن وضرباته، وتقف بكل شموخ لتؤكّد أن القصر كان قصر الحكم في ذلك الزمن، وسكنه الحاكم في حقبة الدولة السعودية الأولى، وهو يجسّد عمارة القرن الثامن عشر، ويتميز القصر بتعدّد طوابقه، ويقع بجواره مسجد الطريف، وفي الجوار يقع بيت المال، ومسجد، وسَبَّالة، وفي جنوب حي الطريف يقع حمام الطريف، بالقرب من بئر ماء وقصر للضيافة، وقد أنشئ الحمام ليكون في خدمة ضيوف الدولة، ويتميز بالزخارف الهندسيّة البارزة على إطارات الجص ذات الطابع النجديّ.

ومن آثار حي الطريف مسجد البريكة، وقصر ثنيان الذي يعدّ قلعةً من



هيئة السياحة ومشروعات حي الطريف

تتبنى الهيئة العامة للسياحة والآثار عدداً من المشروعات لتطوير حيّ الطريف؛ منها متحف الدرعية بقصر سلوى، ومتحف الحياة الاجتماعية، والمتحف الحربيّ، ومتحف الخيل العربية، ومتحف التجارة والمال، وعرض الصوت والضوء والوسائط المتعددة، إضافة إلى مشروعات أخرى تتمثل في الآتي، حسب موقع الهيئة:

التوثيق البصريّ والمساحيّ: ويشمل رفعاً مساحياً للمباني الأثرية، وإزالة الرديم من المباني، وتوثيقاً أثرياً للعناصر المعمارية، وما تحويه المباني من آثار.

التوثيق الأثريّ: ويتم بوساطة وسائل توثيق متعددة؛ مثل: الرسومات، والصور، والتصوير التلفزيوني.

الترميم الأثريّ: ويشمل ترميم جميع عناصر المباني الداخلية والخارجية، وتأهيل المباني للاستخدامات المتحفية والإدارية، وإبقاء عناصر المباني القائمة، وتدعيمها وحمايتها من التدهور، وترميم الواجهات المطلّة على الشوارع والممرات فقط.

تأهيل جامع الإمام محمد بن سعود: ويتضمن مشروع التأهيل التنقيب الأثريّ؛ لاستكشاف قواعد الجامع القديمة وحدوده، وترميم الجزء القائم من الجامع، وإعادة استخدامه مصلّى.

مركز استقبال الزائرين: يقدّم مركز استقبال الزائرين خدمة الإرشاد السياحيّ لزائري حيّ الطريف، وهو مبنى حديث، يقع قُبالة قصر سلوى، ويحتوي على التجهيزات الفنية لعرض الصوت والضوء.

مركز توثيق تاريخ الدرعية: يقع داخل قصر إبراهيم بن سعود، حيث يشكّل مرجعاً توثيقياً لتاريخ الدرعية وحيّ الطريف، ومقراً لمجموعة العمل التي تقوم بالبحث وأعمال التوثيق والدراسات.

مركز إدارة الطريف: وهو مقرّ إدارة حيّ الطريف، ويقع بقصر فهد بن سعود، ويدير المركز كل ما يتصل بالشؤون الإدارية لحي الطريف.

سوق الطريف: يعرض السوق المنتجات التقليدية، والمصنوعات الحرفية المحلية، ويقع ضمن مجموعة من المباني المُرمَّمة والمخصَّصة لهذه العروض بحي الطريف، إضافة إلى مجمع للمطاعم، وخدمات الزائرين.

مرافق الطريف وخدماته: ويشمل تطوير البنى التحتية، وشبكات الخدمات، والطرق، والشوارع الفرعية بالدرعية التاريخية.

قلاع الحماية، وقصر سعد بن سعود. وإذا كان هذا الوصف يمثل الصورة التي رصدتها هيئة اليونسكو للموقع التاريخيّ في قلب السعودية، فإن التساؤل المطروح: كيف تبدو تفاصيل المهمة الدولية التي تقوم بها اليونسكو لتحويل المنطقة إلى قطعة من التراث العالميّ؟

يقول صالح لمعي – رئيس مركز إحياء تراث العمارة الإسلامية: إن المركز بدأ بتكليف من اليونسكو بعمليات تطوير المنطقة، وتشمل التخطيط الشامل للمنطقة عمرانياً وثقافياً واقتصادياً وسياحياً، والتخطيط الحضريّ للمنطقة باستكمال البنية التحتية، وتوفير الساحات، والميادين، والحدائق. أما المحور الاجتماعي فيضم ترميم المباني التراثية، وإنشاء مؤسسات ثقافية ومتاحف، وتنظيم الأنشطة الثقافية.

قصر سلوى

يعدّ قصر سلوى أكبر قصور الحيّ؛ إذ إنه يتكون من سبع وحدات معمارية، إضافةً إلى قصر الإمام عبدالله بن سعود الذي وُثِّق أيضاً، ويضيف صالح لمعي: يتميز القصر بالتفاصيل والعناصر المعمارية الفريدة المشيّدة بالموادّ المحليّة؛ لذلك سوف يوظَّف القصر في عروض متحف الدرعية التاريخية للدولة السعودية الأولى، وتاريخ الدرعية موضحاً بالأفلام الوثائقية، والمجسات، والعروض بالصوت والضوء على أطلال القصر.

وستُوظَّف مباني قصر سلوى بوصفها متحفاً لتاريخ المملكة العربية السعودية، وستُقدَّم العروض المتحفية بأسلوبين: أحدهما مفتوح يتيح للزائرين إمكانية التجوّل بين أطلال القصر؛ وتعرّف القصر والأحداث التي جرت فيه، من خلال اللوحات التعريفية والوسائل المتعددة، والآخر مغلق يعرض تاريخ الدولة السعودية الأولى، ويعدّ منظومةً متكاملةً من

اللوحات والأفلام الوثائقية والمعروضات التراثية، إضافةً إلى القطع المتحفية والمجسات والرسوم التوضيحية.

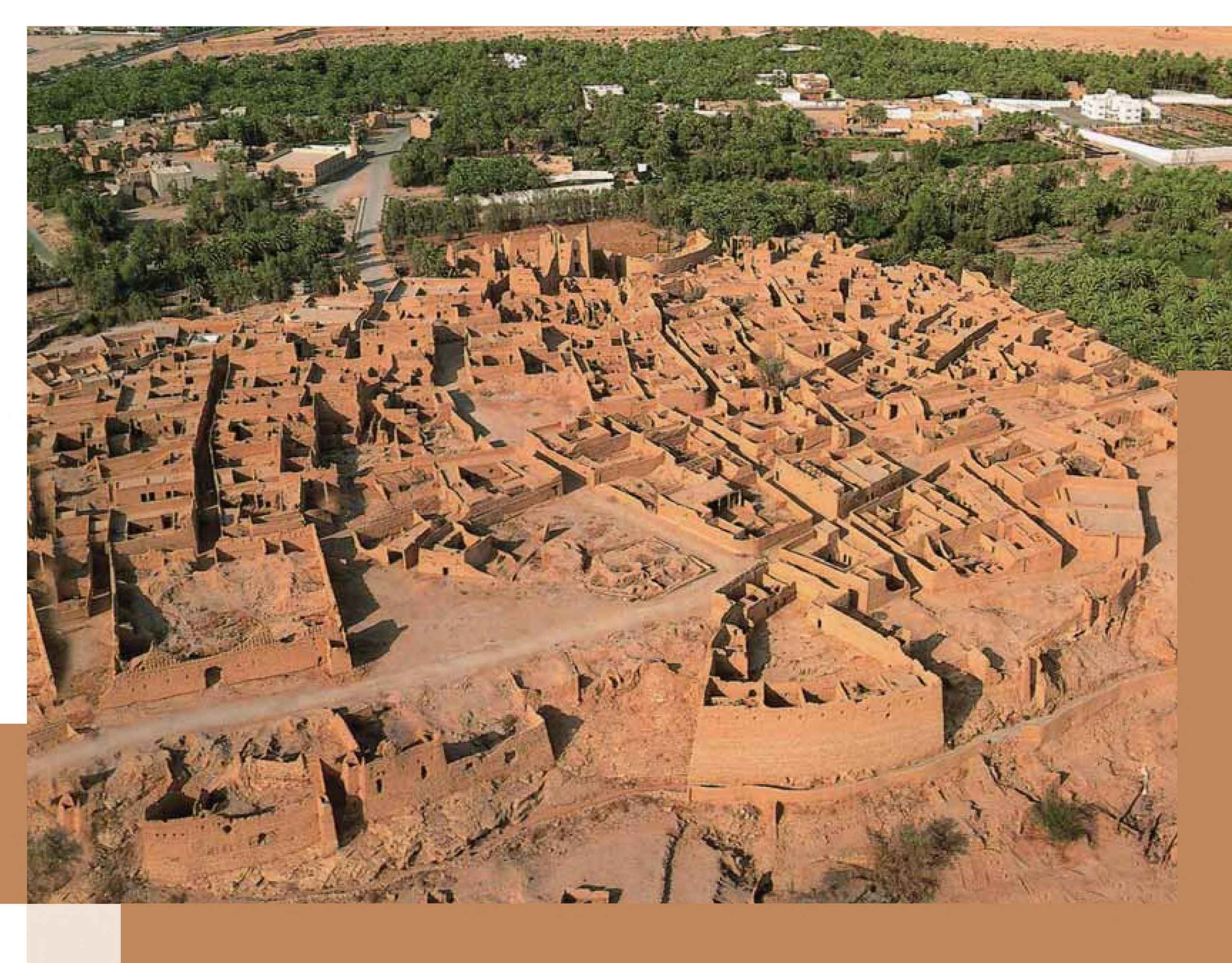
وسوف يستخدم قصر عمر بوصفه متحفاً يوضّح أنماط الحياة بالمملكة في عصورها الأولى والعادات والتقاليد، وسيعاد استخدام قصر الثنيان بوصفه متحفاً حربياً يسلّط من خلاله الضوء على جوانب مختلفة من المعارك في تاريخ الدرعية، إضافةً إلى عرض الأسلحة، والمعدات العسكرية المستخدمة في العصر السعودي الأول، وتوظيف مباني إصطبلات الإمام عبدالله بن سعود في العرض الحيّ المتّصل بأسس تربية الخيول العربية الأصيلة وتدريبها، إضافةً إلى إعادة استخدام مباني بيت المال والسبّالة متحفاً للتجارة والمال يعرض الازدهار الاقتصادي في العصر السعودي الأول. وأُعدّ متحف للحياة الاجتماعية يعرض جوانب الحياة اليومية والعادات والتقاليد في حقبة ازدهار الدولة السعودية بقصر عمر بن سعود، المزمع ترميمه.

الصوت والضوء

يتضمن التطوير عرضاً بالصوت والضوء لسرد قصة (الدرعية) التاريخية، والأطلال التي تجسّد إنجازاً حضارياً في تاريخ المملكة العربية السعودية الأولى. أما المنطقة المركزية فتشمل معظم الأجزاء المتبقية من الحيّ، ومن بين عناصرها الساحة الرئيسة، وهي ميدان يحتضن العروض الفلكلورية، والفعاليات الموسمية، والمحالّ التجارية، والمقاهي، والمطاعم، وأماكن للجلسات تطلّ على حيّ الطريف، ووادي ضبعة.



يتضمن التطوير عرضاً بالصوت والضوء لسرد قصة (الدرعية) التاريخية، والأطلال التي تجسّد إنجازاً حضارياً في تاريخ المملكة



حيا البجيري وسـمحان

يتمتّـع حـيّ البجيـري بأهميـة علمية؛ حيـث يُعدّ الجامعـة الأولى في نجـد التي خرّجت الأجيـال من علماء الدعوة السلفية، ويقع الحيّ على الضفّة الشرقية لوادي حنيفة، وبه مسجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهـو مـن أهم معالم الحـيّ، كما يتضمـن عدداً مـن المسـاجد والكتاتيب التي أسـهمت فـي الثراء العلمـيّ في الدرعيـة، ونجد، والجزيـرةالعربيـة.

ومن أهم معالم الحيّ: مؤسسـة الشـيخ محمد بن عبدالوهاب، والمنطقة المركزية، ومسـجد الظويهرة، الذي يرجع تاريخ إنشائه إلى أيام الدولة السـعودية الأولى (١١٥٧- ١٢٣٣هـ) ويعدّ أحد أقدم مسـاجد محافظة الدرعية.

ويتكـوّن حـيّ سـمحان من عدد مـن المباني الطينية المملوكة للدولـة، ويقدر عددها ٣٦ مبنى ذا طابق أو طابقيـن، وهو من المواقع التي تسـلّمتها الهيئة العامة للسـياحة والآثار؛ لتنفيذ مشـروع إعادة تأهيله وتحويله إلى فندق تراثيّ.

وتقوم الهيئة العامة للسـياحة والآثار بإعداد خطّة تشـغيلية؛ لاستغلال الموقع اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وتراثياً وسياحياً؛ لإحياء الموقع، وإحـداث التفاعـل الإيجابـيّ بين البيئة المحلية ومـا تمثّله من منتجـات محليـة وتراثيـة وحـرف يدويـة، والخطـة السـياحية التراثيـة للموقـع.

علي عفيفي علي غازي | مصر

العلاقات الاقتصادية

من التعاون إلى التكتل

العلاقـات الاقتصاديـة بين الدول إمـا أن تكون ثنائيةً، أو تكون متعددة الأطـراف، ويكون موضوعها في الأغلب هو التبادل التجاري، وما يتطلبه من تنسيق السياسات التجارية في مجال السلع والخدمات والمدفوعات، وقد يتعدّى هذا التنسـيق إلى مجـال عوامل الإنتاج؛ نحـو: العمالـة، ورأس المال، ويكون هدف هـذه العلاقات هو دعم اقتصاديـات الدول، وتحقيق نوع من التنسـيق السياسـيّ أو الوحدة السياسـية. وأياً كان الشـكل الذي تفرغ فيه هذه العلاقات، فإنه لا يخرج عن إحدى صور ثلاث رئيسـة، الفارق بينها هو فارق في الكم والكيف، فعلى حين تدخل السياسات التجارية، وأعمال التقليل والتميز في نطاق التعاون الاقتصاديّ، نجد أن إزالة العوائق التعريفيـة، وغيـر التعريفيـة تدخـل في نطاق التكامل الاقتصاديّ، أمـا التكتل الاقتصاديّ فهو يمثِّـل أعلى درجات التكامل، ومن ثَـمَّ يمكن القول: «إن التكامل الاقتصاديَّ أقوى مظهراً من التكتُّل الاقتصاديّ، ويؤدي إلى قيام سوق مشتركة بين الأعضاء، وينتهي بالوحدة السياسية»[1].

أولا: التعاون الاقتصاديّ

إن مصطلح التعاون الاقتصاديّ مصطلح عامّ واسع ربما يشمل أيّ نوع من أنواع العلاقات الاقتصاديّة الإيجابية بين الدول، وأوسع أشكاله هو تعاون الأسرة الدولية في تنظيم نواحي الحياة الاقتصادية التي تهمّها جميعًا، أو تهمّ الأغلبية العظمى منها، وهذا التعاون يأخذ شكل الاتفاق على مبادئ وقواعد تنظم بعض نواحي العلاقات الاقتصادية بين الدول؛ عندما لا يوجد اتفاق خاصّ لتنظيمها، أو يكون الأمر ذا أهمية لهذه الدول جميعاً على نحو يفرض عليها في سبيل مصلحتها ومصلحة التعامل الاقتصاديّ العالمي أن تنظم هذه النواحي[2]؛ لكي تحقق الاستقرار في الاقتصاد والسياسة على حدٍّ سواء.

ويمكن تقسيم مراحل التعاون إلى مرحلتين: الأولى هي التي يُشجَّع فيها حرية انتقال السلع والخدمات وعوامل الإنتاج بين الدول الأعضاء،





شـكلت منطقـة التجـارة الحـرّة نوعـاً مـن أنـواع التكامـل الاقتصـاديّ، إذ توافق الدول الأعضاء بعد إنشـاء المنطقة الحرة على التخلُّص كلّياً من العوائق التجارية

والثانية تتضمن -إضافة إلى التجارة الحرّة، وانتقال عوامل الإنتاج- زيادة التعاون في ميادين السياسة المالية والنقدية[٣]، ويندرج في نطاق هاتين المرحلتين اتفاقيات التعاون الثنائية أو المتعددة الأطراف، التي يكون الهدف منها خفض العوائق التجارية بين بعضهم وبعض، بينما تظل هذه العوائق قائمة على مستوى عالٍ مع الدول الأخرى غير الأعضاء، وكلّ ذلك يعدّ مرحلة أولى في مراحل التكتُّل الاقتصاديّ، الذي يبدأ غالباً بهذا التعاون، ويمرّ بمرحلة التكامل، لينتهي بتكتُّل اقتصاديّ تذوب داخله عوائق التجارة البينية كافة المتبادلة بين الدول الأعضاء.

ثانياً: التكامل الاقتصاديّ

هو اتجاه المشروعات نحو تكبير حجمها للاستفادة من مزايا الإنتاج الكبير، ومن ثم يعدّ ضرباً من التركيز الاقتصاديّ، ويكون ذلك بتوسيع المشروع الأصليّ من دون تغيير في نوع نشاطه الاقتصاديّ، بزيادة الكمية المنتجة، وتحسين أساليب الإنتاج، أو بإضافة عمليات أخرى تكمّل العمليات الأصلية التي يقوم بها، وقد يكون رأسياً في حال إضافة مرحلة إنتاجية أو أكثر إلى مرحلة الإنتاج القائمة بحيث يعدّ ناتج الواحدة منها مادةً أوليةً للأخرى، سواءً أكان هذا التكامل الرأسيّ إلى أسفل بالاتجاه نحو المستهلك، أم إلى أعلى بالقيام بعمليات سابقة على العملية التي يقوم بها، وقد يكون التكامل أفقياً بإضافة منتجات جديدة من المادة الأولية نفسها إلى ما كان ينتجه المشروع من قبل، وهو ما يؤدّي إلى توسيع أسواق منتجاته، ثم زيادة أرباحه[٤].

أما التكامل الاقتصادي بين الدول، فإنه يأخذ أشكالاً مختلفةً؛ منها ما يتضمن تحرير التجارة بين الدول الأعضاء، وتعدّ اتفاقيات التجارة التفضيلية أضيقها مجالاً، وفي هذه الاتفاقيات يقوم الموقعون عليها والأعضاء فيها بتخفيض العوائق التجارية بين بعضهم وبعض، على حين يحافظون على مستوى عالٍ من العوائق على السلع المستوردة من الدول غير الأعضاء فيها أو التي لم تقبل التوقيع عليها أو الانضمام إليها، وقد يكون التخفيض من جانب واحد، فتخفض مجموعة صغيرة من الدول الأعضاء في الاتفاق عوائقها التجارية على الواردات من الدول الأعضاء الأخرى، وقد لا تقوم الدول الأخرى بالمعاملة بالمثل فتخفض مستوى العوائق التي تفرضها على الدول الأعضاء، ومن أمثلة هذا النوع اتفاقيات المعاملة الجمركيّة المفضّلة التي تمنحها الدول الأوربية لوارداتها من الدول النامية.

وتشكل منطقة التجارة الحرّة نوعاً من أنواع التكامل الاقتصاديّ؛ إذ توافق الدول الأعضاء بعد إنشاء المنطقة الحرة على التخلُّص كلّياً من العوائق التجارية على المنتجات التجارية بين الأعضاء، على حين تحافظ كل دولة على عوائقها التجارية ضدّ السلع الواردة من الأمم غير الأعضاء، ويستثنى في التطبيق غالباً بعض المنتجات من إلغاء العوائق التجارية المتبادلة.

ويأتي الاتحاد الجمركيّ بوصفه مرحلةً ثالثةً من التكامل الاقتصاديّ، فيتضمّن درجةً أعلى من التعاون بين الدول الأعضاء، حيث يترتب عليه إلغاء مجموعة دول جميعَ العوائق التجارية على السلع المتبادلة بينها داخل الاتحاد، وبناء نظام عوائق تجارية موحّد يفرض على السلع المستوردة من الدول خارج الاتحاد، وتتضمن الترتيبات الخاصة بالاتحاد الجمركي حرية انتقال عناصر الإنتاج من العمالة ورأس المال بين الدول الأعضاء، وفي هذه الحال تكون هذه الدول قد أقامت المرحلة الرابعة من التكامل الاقتصاديّ وهي مرحلة السوق المشتركة[٥]، التي تتّحد فيها اقتصاديات الدول الأعضاء لتبدأ مرحلة جديدة من الاتحاد الاقتصاديّ التي تتوحّد فيها العملة في اتّحاد نقديّ واحد تستطيع من خلاله الدول الأعضاء منافسةَ الدول الاقتصادية العملاقة، وتدخل مرحلة التكتُّل الاقتصاديّ في أقوى مراحلها وهي المرحلة الاتحادية النقدية التي تقوى فيها على منافسة العمالقة في عصر العولمة الانفتاحية. وخير الأمثلة على ذلك اتحاد المجموعة الأوربية الذي بدأ بالتعاون، وانتهى بالاتحاد النقديّ.

إذا تأمّلنا مراحل التكامل الاقتصاديّ السالفة الذكر سنجد أنها تتضمن تخفيض القيود على انتقال السلع والخدمات وعوامل الإنتاج بين الدول الأعضاء، ويتمثل أكثرها تقدّماً في الاتحاد النقديّ والاقتصاديّ الذي تَمَّحي فيه حرية الدول المنفردة في اتباع سياسات اقتصادية كلية مستقلّة؛ إذ يتضمن شكله نقلَ مسؤولية السياسة الاقتصادية من الدول الأعضاء منفردة إلى هيئة فوق قومية لصناعة القرارات، تمثّل جميع

يختلف الاتحـاد النقديّ عن الاتحـاد الاقتصاديّ في أن الأول يمثّـل الانسـجام المحـض للسياسـات، أما الثانـي فإنـه يمثّل تنازل الدول الأعضاء عن حقها في تبني سياسـة اقتصادية محلية

دوافع التكتل الاقتصادي

يمكننا إجمال الدوافع السياسية للتكتل فيما يأتي:

١- مواجهـة التحديـات السياسـية التـي تواجهها الـدول الراغبة في إقامة التكتُّل على أساس المنفعة الاقتصادية.

٢- مواجهة الصراعات العسكرية التي قد تكون قائمةً بين دول أخرى غير المتكتلة.

٣- أسباب سياسية أخرى تتعلق بظروف كلّ دولة متعاقدة على حدة.

أما الدوافع الاقتصادية، فهي:

١- رغبة أطراف التكامل في تحقيق مستوى مرتفع من المعيشة.

٢- الرغبة في زيادة حجم السوق.

٣- الرغبة في إيجاد توازن خارجيّ، وتشجيع التجارة بين أطراف التكتُّل؛ لتصبح كل منها سوقاً للأخرى.

٤- الرغبة في الاسـتفادة من العلاقة بين التكتُّل والاسـتثمار؛ إذ يترتب على التكتلات زيادة حجم الاستثمار في الدول الأعضاء.

الدول الأعضاء، وتتضمن هذه الترتيبات إقامة نظام نقديّ ومصرفيّ موحّد، وسياسة نقدية ومالية موحّدة، وهيئة حكوميّة لوضع السياسة الاقتصادية وتنفيذها للاتحاد كله، والشكل الأقل تكاملاً من الاتحاد الاقتصاديّ هو الاتحاد النقديّ الذي يتضمّن إقامة سعر صرف ثابت بين الأمم، إضافة إلى انسجام السياسات النقدية والمالية بينها، ويختلف الاتحاد النقديّ عن الاتحاد الاقتصاديّ في أن الأول يمثّل الانسجام المحض للسياسات، أما الثاني فإنه يمثّل تنازل الدول الأعضاء عن حقها في تبني سياسة اقتصادية محلية(٦).

ثالثاً: التكتُّل الاقتصاديّ

يرى بعض المختصين أن التكتُّل الاقتصاديّ هو عملية وحالة؛ إذ إنه ينصرف إلى الإجراءات التي تستهدف إلغاء التمييز بين الوحدات الاقتصادية المنتمية إلى دول قومية مختلفة، وكذلك انتفاء (التعرفة) بين الاقتصاديات القومية، ويشيرون إلى أنه قد يكون محلياً على المستوى الداخليّ للدولة، أو إقليمياً على مستوى مجموعة من الدول المتجاورة، أو غير المتجاورة، أو عالمياً على نحو ما نراه في اتفاقية (الجات) ومنظمة التجارة الدولية(٧).

ويرى آخرون أن التكتُّل الاقتصاديّ يَعْني ربط اقتصاد بلدين أو أكثر تحيط بهما ظروف معينة بهدف تحقيق نفع أكبر لكل منهما، وأصل هذا الربط أن يتم بناءً على اتفاق بين الدول المتكاملة، ويشيرون إلى أن التكتُّل بين بلدين أو أكثر يقوم كثيراً على أساس الجوار، أو الاشتراك في الجنس والثقافة، أو على أساس الرغبة في التنمية الجماعية للموارد؛ نحو ما يجري بين الدول النامية(٨).

وإذا أمعنّا النظر في التعريفين فسنلحظ أن التكامل الاقتصاديّ يكاد يتطابق مع التكتُّل الاقتصاديّ، على الرغم من وجود فارق شاسع بينهما، وهو ما دفع بعض المختصين إلى القول: إن الضرورة الاقتصادية هي التي تكمن وراء فكرة التكامل، ثم تأتي من بعدها الضرورة السياسية، بينما تكمن وراءه الضرورة السياسية بالدرجة الأولى، ثم تأتي من بعدها الضرورة الاقتصادية؛ إذ يرون أن أيّ تعاون أو تبادل اقتصاديّ ذي منفعة يندرج تحت صورة التكامل الاقتصاديّ، فإذا أثبت نجاحه فإن هذه الدول ستسعى إلى تحقيق التكامل الاقتصادي الذي يكون له التأثير في الأوساط السياسية(٩).

وبعد هذا العرض لنماذج من تعريفات التكتُّل الاقتصادي ينبغي أن نشير إلى أن دوافع أيّ تكتل لا تخرج عن كونها دوافع سياسية، أو اقتصادية، لكن لا تؤدي الدوافع أدوارها في صورة منفصلة عن الأخرى؛ إذ إن كل نوع يكمّل الآخر ويخدمه.

أيّ تعـاون أو تبادل اقتصاديّ ذي منفعة يندرج تحت صورة التكامـل الاقتصاديّ، فإذا أثبت نجاحه فإن هذه الدول ستسعى إلى تحقيق التكامل الاقتصادي



صور التكتُّل الاقتصادي

يمكننا أن نفرّق بين عدّة درجات وأنواع من التكتلات الاقتصادية على النحو الآتي:

اتفاقيات التجارة التفضيلية: هي مرحلة تتضمن تحرير التجارة بين الدول الأعضاء، بوساطة خفض العوائق التجارية فيما بينها مع محافظتها على مستوى عالٍ من العوائق على السلع المستوردة من الدول غير الأعضاء، وقد يكون الخفض من جانب واحد، فتخفض مجموعة من الدول عوائقها التجارية على الواردات من دول أخرى مع أنه قد لا تعاملها تلك الدول بالمثل، فتقوم بتخفيض مستوى العوائق التي تفرضها، ومن أمثلة هذا النوع من التكتلات: اتفاقيات المعاملة الجمركيّة المفضلة التي تمنحها الدول الأوربية لوارداتها من عدد من الدول النامية.

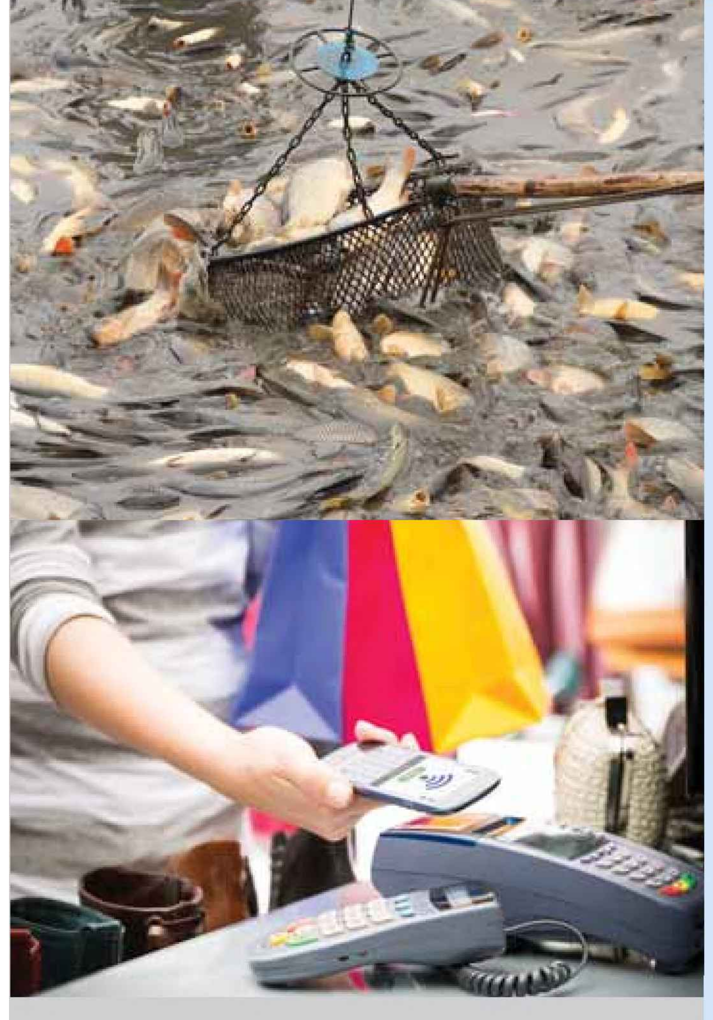
منطقة التجارة الحرة: تقوم الدول الأعضاء بتخفيض الرسوم الجمركية والقيود الكمية بالتدريج حتى تزول بشكل تامّ، وتُنقَل السلع بحُرِّيَّة، لكن منطقة التجارة الحرة هذه لا تتضمن بالضرورة حرية انتقال الأشخاص والأموال، ويحتفظ كل عضو من أعضائها بتعريفته الجمركية تجاه الآخرين غير الأعضاء، وقد تُستثنَى في تطبيق منطقة التجارة الحرة بعض الفئات من المنتجات، فتُلغى العوائق التجارية المتبادلة.

الاتحاد الجمركيّ: يمثل المرحلة الثالثة في التكتُّل الاقتصاديّ، ويتميز من غيره بإلغاء جميع المعاملات التفضيلية؛ مثل: الحواجز الجمركية أو التجارية فيما يتعلق بحركة البضائع داخل الاتحاد الجمركيّ، وتوحيد التعريفات الجمركية للدول الأعضاء تجاه العالم الخارجيّ، وهو ما يَعْني إقامة جدار جمركيّ بين دول الاتحاد وبين الدول غير الأعضاء، ولا يشترط الاتحاد الجمركيّ بالضرورة حرية انتقال الأموال والأشخاص.

السوق المشتركة: تتضمن إزالة الحواجز الجمركية بين الدول الأعضاء، وإقامة جدار جمركيّ موحّد تجاه الدول غير الأعضاء، وحرية انتقال الأموال والأشخاص وعناصر الإنتاج.

الاتحاد الاقتصاديّ: تنتفي فيه حرية الدول منفردةً في اتّباع سياسات اقتصادية مستقلّة، ويتضمن جميع نواحي السوق المشتركة، ويتميز من غيره بميزة نقل مسؤولية السياسة الاقتصادية من الدول الأعضاء منفردة إلى هيئة فوق قومية لصناعة القرارات تمثل جميع الدول الأعضاء، وتُنسَّق مجموعة من السياسات المتبعة بين الأعضاء؛ مثل: الأسعار، والأجور، ومعدّل الفائدة، وغيرها، ويتضمن إقامة نظام نقديّ ومصرفيّ موحّد، وسياسة نقدية ومالية موحّدة، وهيئة حكومية لوضع السياسات النقدية والمالية والاجتماعية وتنفيذها، وتنفيذ السياسة الاقتصادية للاتحاد كله.

الاتحاد النقديّ: يفترِض توحيد السياسات النقدية والمالية والاجتماعية، ويستوجب هذا النوع وجود سلطة عليا تتمتع بسلطة إصدار القرارات المُلزِمة لجميع البلدان الأعضاء، ويتضمن إقامة سعر صرف ثابت بين الدول، إضافة إلى انسجام السياسات النقدية والمالية، ومن ثم فإن الاتحاد النقديّ يمثّل تنازلاً من الدول الأعضاء عن حقّها في تبنّي سياسة اقتصادية ونقدية محلية من أجل سياسة اقتصادية ونقدية فوق القومية(١٠).



السوق المشتركة تضمن إزالة الحواجز الجمركية بين الدول الأعضاء، وإقامة جدار جمركيّ موحّد تجاه الدول غير الأعضاء، وحرية انتقال الأموال والأشخاص وعناصر الإنتاج

الهوامش والمراجع

(١) عبيد علي أحمد الحجازي: الاقتصاد الدولي، ج١، (التبادل التجاري – نظرية التجارة الخارجية في التكوين التقليدي والحديث – نظرية ميزان المدفوعات – التكتلات الاقتصادية). دبي، أكاديمية شرطة دبي، ٢٠٠٣م، ص٢٥١، ٢٥٢.

(٢) برهان الدجاني: الاقتصاد العربي بين الماضي والمستقبل، ج١، (الوحدة والعلاقات الاقتصادية العربية) بيروت: المؤلف، ١٩٨٨م، ص١٢٩.

(٣) جون هدسون، ومارك هرندر: العلاقات الاقتصادية الدولية، ترجمة: طه عبدالله منصور، ومحمد عبدالصبور محمد علي؛ مراجعة: محمد إبراهيم منصور؛ تقديم: سلطان محمد سلطان. الرياض، دار المريخ، د. ت، ص٥٧٠.

(٤) عبيد علي أحمد الحجازي: مرجع سابق، ص٢٥٣.

(٥) جون هدسون (وآخرون): مرجع سابق، ص٧٥٠.

(٦) المرجع السابق، ص٧٥١.

(٧) عبيد علي أحمد الحجازي: مرجع سابق، ص٢٥٤.

(٨) حسين خلاف: التكامل الاقتصادي، ص١١، ١٢؛ نقلاً عن: عبيد علي أحمد الحجازي: مرجع سابق، ص٢٥٤، ٢٥٥.

(٩) عبيد علي أحمد الحجازي: مرجع سابق، ص٢٥٧.

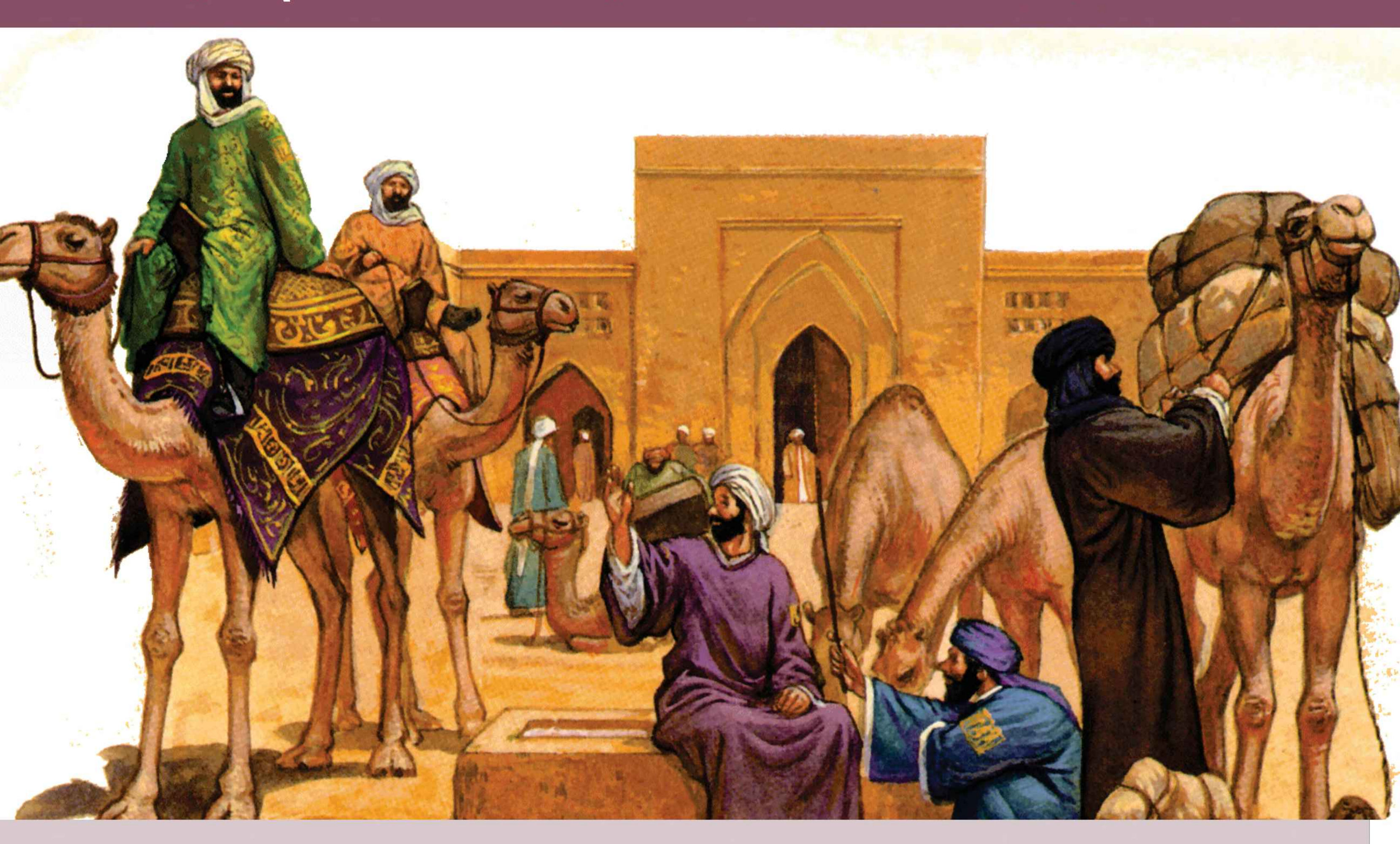
(١٠) محمد خالد الحريري: العلاقات الاقتصادية الدولية، دمشق، جامعة دمشق، د. ت، ص٢١٠ : ٢١٢.

حسين حسن حسين | هيئة التحرير

أبـو حَيَّـانَ التوحيديُّ أحد أعلام القرن الرابـع الهجريّ (٩٢٣–١٠٢٣م)، قضى معظم حياته في بغداد، التي وُلد فيها سنة ٣١٠هـ؛ وقيل: إنه تُوُفِّيَ في شـيراز سـنة ٤١٤هـ، وهذا تاريخ مختلف فيه. عاش التوحيدي بعـد وفـاة والده في كنف عمه، الذي كان يقسـو عليه، وقـد امتهن مبكراً حرفة الوِرَاقة؛ مما أتاح له ثقافة واسـعة، لكنها لم تُتح له ما يرضيه مادياً، فاتصل بكبار رجالات عصره من أمثال ابن العَمِيد، والصاحب بن عَبَّاد، والوزير المُهَلَّبيّ، فلم يجد شيئاً يرضيه؛ فازداد نقمه من عصره ومجتمعه.

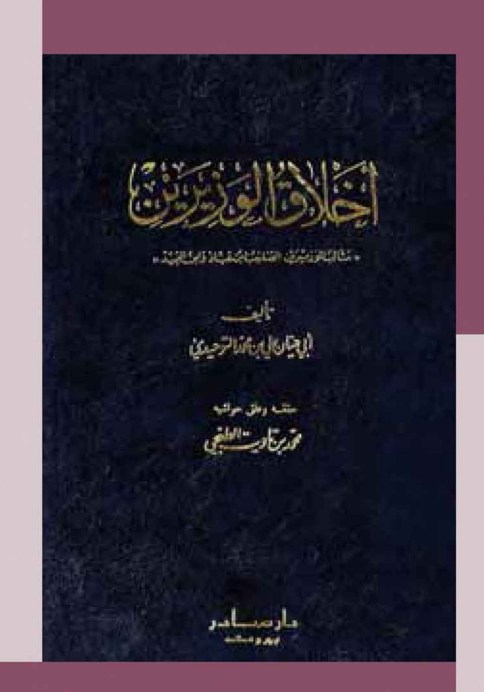
أبو حيان التوحيدي..

تجاهله العلماء حياً فشغلهم ميتاً



نَقَمَ مِن الحياة

يُرجِع بعض المؤرِّخين أسباب معاناة أبي حَيَّانَ إلى طباعه وسماته؛ إذ كان مع ذكائه وعلمه وفصاحته؛ واسعَ الطموح، شديدَ الاعتداد بالنفس، سوداويَّ النظرة، يرى أن الدنيا لم تُعطِه ما يريد، وكان كثير الشكوى، وعظيم الشعور بالوَحْدة وعدم التقدير، فهو يقول عن نفسه: «فقدتُ كلَّ مؤنس وصاحب، ومرافق ومشفق، ووالله لَرُبَّما صلَّيت في الجامع، فلا أرى جنبي من يصلِّي معي، فإن اتفق فبقال أو عصار، أو نداف، أو قصاب، ومن إذا وقف إلى جانبي أسدرني بصنانه، وأسكرني بنتنه، فقد أمسيت غريب الحال، غريب اللفظ، غريب النِّحْلة، غريب الخلق، مستأنساً بالوحشة، قانعاً بالوَحْدة، معتاداً للصمت، ملازماً للحيرة، محتملاً للأذى، يائساً من جميع من ترى».



وهو كتاب رفيع في الأدب.

وفي كتابه: (أخلاق الوزيرين) الذي يُعرَف أيضاً بمثالب الوزيرين، جمع أبو حيان مشاهداته ومسموعاته عن الوزيرين: ابن العَمِيد والصاحب بن عباد، اللذين اتصل بهما، ولم يجد لديهما ما كان يتوقعه من حظوة ومال.

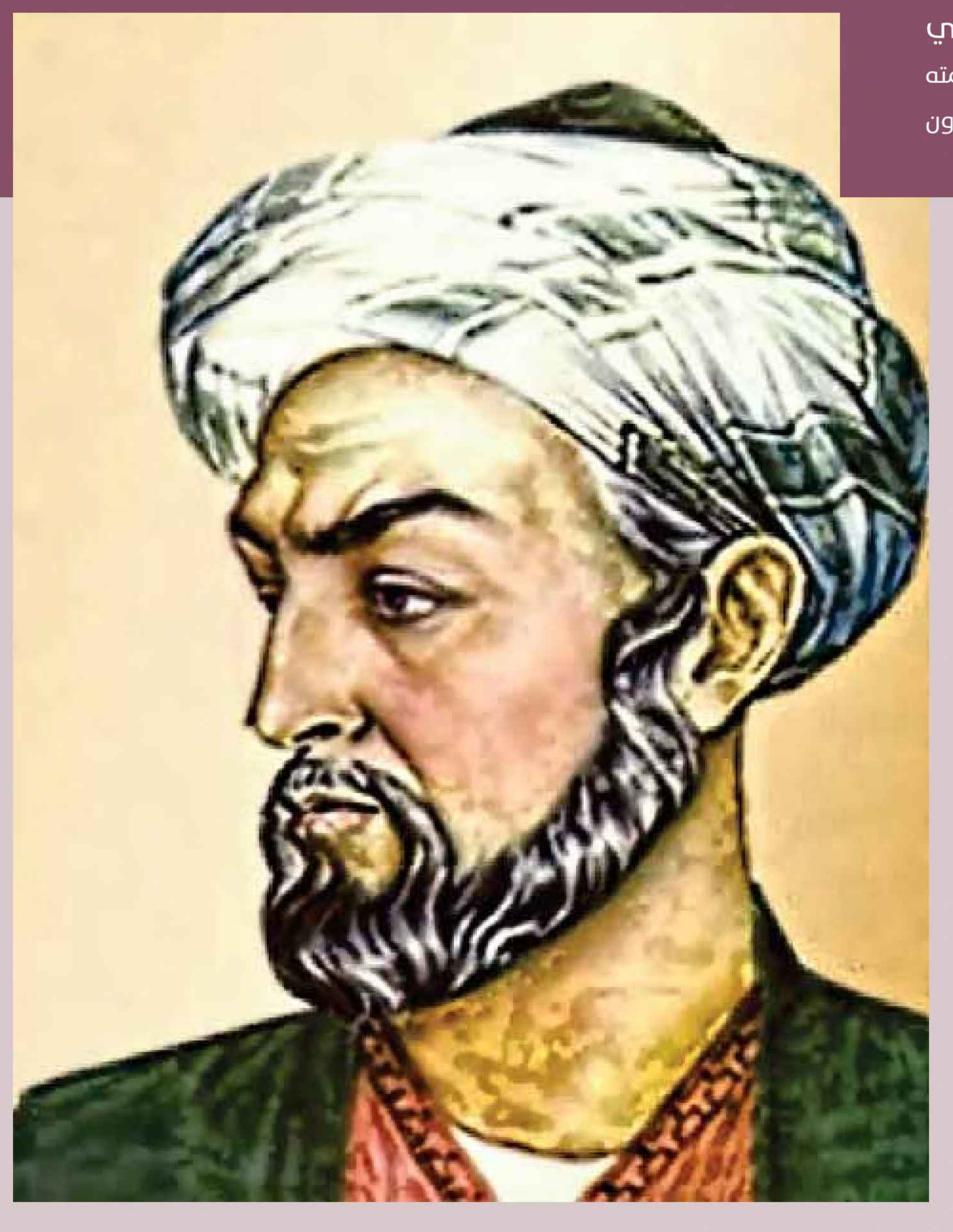
ويعدُّ كتاب: (الهوامل والشوامل) كتابين في كتاب واحد؛ فتمثّل الهوامل أسئلةً بعث بها التوحيديُّ إلى مسكوَيْهِ، أما الشواملُ فهي إجابات مسكويه عن أسئلة التوحيديّ.

ومن مؤلفاته: (تقريظ الجاحظ)، و(الإشارات الإلهية)، وغيرهما من الكتب والمؤلفات الأخرى.

شخصية مَحَلّ اختلاف

اختلف المؤرخون والمفكرون في شخصية أبي حيان التوحيدي اختلافاً كبيراً، فيرى بعض المهتمين أن السبب في أن المعلومات عنه شحيحة ومضطربة، هو تجاهل معاصريه إياه الذي كان سبب ضجره، وجعل شخصيته غامضة لدى كثيرين.

اختلف العلماء اختلافاً بيِّناً في تصنيف أبي حيان التوحيدي، فاتّهمته طائفة بالزندقة والإلحاد ووقف علماء آخرون مواقف مغايرة



أسلوبه وأهم مؤلفاته

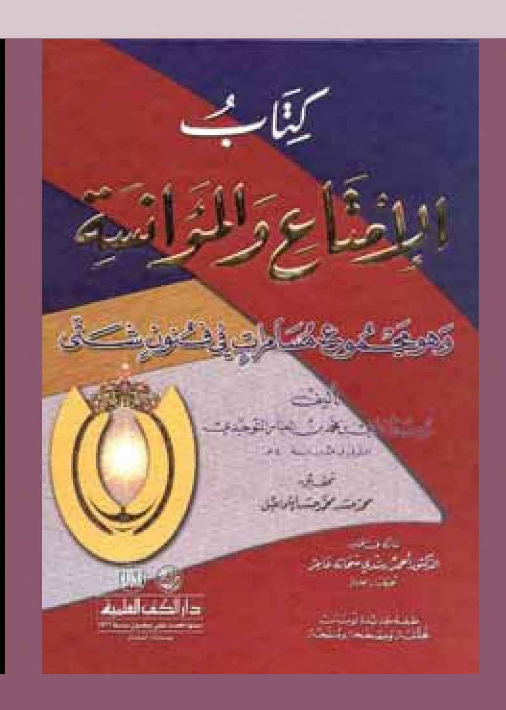
كان اهتمام أبي حيان بالمعنى كبيراً؛ لذا لم يلجأ إلى السجع وغيره من المُحسِّنات البديعية، وكان ميالاً إلى الإطناب والتعليل والتقسيم، مع الكتابة الساخرة، التي تعكس مراراته ونقمه من حظّه من الحياة.

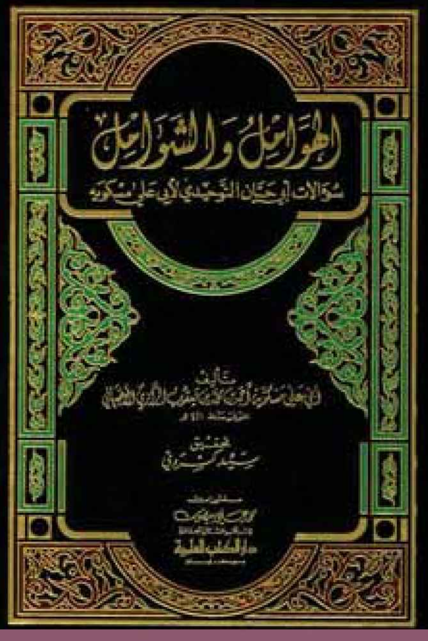
يتوزّع إرث أبي حيان التوحيديّ بين مجالات متعددة؛ منها: الأدب، والأخبار، والفلسفة، والتصوُّف، واللغويات.

ومن أبرز إنتاجه كتاب: (الإمتاع والمؤانسة)، وهو ثمرة مسامرات سبع وثلاثين ليلةً، نادَمَ فيها الوزيرَ أبا عبدالله العارض. ولهذا الكتاب قيمته الأدبية العالية، إضافةً إلى تصويره جوانب الحياة السياسية، والفكرية، والاجتماعية في ذلك الزمان.

أما كتابه: (البصائر والذخائر)، فيقع في عشرة أجزاء، تضم اختيارات أبي حيان من روائع ما حفظ وسمع وقرأ.

ويكشف كتاب: (الصداقة والصديق) موسوعيةَ أبي حيان، وعلمه الغزير، ومعرفته الواسعة،





رسالته بعد حرقه كتبه تُظهر نقمه من عدم تقدير الناس عِلمَه في حياته، وخوفه القدحَ وتتبع السقطات بعد مماته

واستغرب ياقوت الحمويّ هذا الموقف من معاصريه، واستند في تعريفه إلى إنتاجه، فضمَّن ترجمتَه ما أورده التوحيديُّ في كُتبه عن نفسه، وأطلق عليه لقب (شيخ الصوفية، وفيلسوف الأدباء).

ولحق الاختلافُ بأصله، فنسبه بعضهم إلى شيراز، وبعضهم الآخر إلى نيسابور، ويرجّح في الأغلب أنه عربيّ الأصل.

وكانت كنيته (التوحيدي) مَحَلَّ اختلاف أيضاً، فقيل في سببها أن أباه كان يبيع نوعاً من التمر العراقيّ ببغداد، يطلق عليه (التوحيد).

وأَرجَع بعض العلماء، ومنهم ابن حَجَر العسقلانيُّ، السبب في تلك الكنية إلى أنه كان معتزلياً، والمعتزلة يُلقّبون أنفسهم بـأهل العدل والتوحيد، على حين يُشكّك آخرون في أن يكون التوحيدي معتزلياً.

مواقف العلماء منه

اختلف العلماء اختلافاً بيّناً في تصنيف أبي حيان التوحيدي، فاتّهمته طائفة منهم بالضلال والزندقة والإلحاد، ومنهم الحافظُ الذهبيُّ؛ إذ يقول: «كان أبو حَيّانَ هذا كذّاباً، قليلَ الدِّين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان؛ تعرَّض لأمور جسام من القدح في الشريعة، والقول بالتعطيل». وقال أبو الفَرَج بن الجَوْزيّ: «زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراونديّ، وأبو حيان التوحيديّ، وأبو العلاء المعري، وأشدُّهم على الإسلام أبو حيان؛ لأنهما صرَّحا، وهو مَجْمَجَ ولم يُصرِّح»، وقال ابن حجر العسقلاني في كتابه (لسان الميزان): «بقي إلى حدود الأربع مئة ببلاد فارس، وكان صاحب زندقة وانحلال».

ووقف علماء آخرون مواقف مغايرة، فقال تاج الدين السُّبْكيّ في (طبقات الشافعية الكبرى): «شيخ الصوفية، وصاحب كتاب البصائر وغيره من المصنفات في علم التصوف»، وقد ذكره ابنُ خلّكان في آخر ترجمة أبي الفضل بن العَميد، فقال: «كان فاضلاً مصنِّفاً»، وقد ذكر ابنُ النَّجّار أبا حَيَّانَ، فقال: «له المصنَّفات الحَسَنة؛ مثل: البصائر وغيرها، وكان فقيراً صابراً متديناً... وكان صحيح العقيدة»، قال الذهبي: «بل كان عدواً لله خبيثاً»، وهذه مبالغة عظيمة من الذهبي.

إحراقه كتبه

ذكر الإمام جلال الدين السيوطي واقعة إحراق أبي حيان التوحيدي كتبه في كتابه: (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة): «أن أبا حيان لما انقلبت به الأيام رأى أن كتبه لم تنفعه، وضنَّ بها على من لا يعرف قدرها، فجمعها وأحرقها، فلم يسلم منها غير ما نقل قبل الإحراق».

وأورد ياقوت الحَمويّ في معجمه رسالةً طويلةً من أبي حيان إلى القاضي أبي سهل علي بن محمد الذي لامه على فعلته، فسوَّغ أبو حيان ما صنع قائلاً: «ثم اعلم علَّمك الله الخيرَ أن هذه الكُتب حَوَتْ من أصناف العلم سِرّه وعلانيته، فأما ما كان سراً فلم أجد له من يتحلّى بحقيقته راغباً، وأما ما كان علانية فلم أُصِب من يحرص عليه طالباً، على أني جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة منهم، ولعقد الرياسة بينهم، ولمدّ الجاه عندهم فحُرِمتُ ذلك كلَّه -ولا شك في حسن ما اختاره الله لي، وناطه بناصيتي، وربطه بأمري- وكرهت مع هذا وغيره أن تكون حُجَّة علَيَّ لا لي، ومما شحذ العزم على ذلك ورفع الحجاب عنه، أني فقدت ولداً نجيباً، وصديقاً حبيباً، وصاحباً قريباً، وتابعاً أديباً، ورئيساً منيباً، فشقّ علَيَّ أن أَدَعَها لقوم يتلاعبون بها، ويدنِّسون عرضي إذا نظروا فيها، ويشمتون بسهوي وغلطي إذا تصفَّحوها، ويتراءون نقضي وعيبي من أجلها، فإن قلتَ: ولِمَ تَسِمُهم بسوء الظنّ، وتقرع جماعتهم بهذا العيب؟ فجوابي لك أن عياني منهم في الحياة هو الذي يحقّق ظني بهم بعد الممات، وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنةً فما صحَّ لي من أحدهم وداد؟!».

وهذه الرسالة تظهر نقمه من عدم تقدير الناس علِمَه في حياته، وخوفه القدحَ وتتبع السقطات بعد مماته.

ومن العجب أن يحرق كتبه للتجاهل، فينشغل العلماء به وبتقويمه ميتاً؛ حتى تباينت الآراء حوله على نحو غير مسبوق.

اللفافة



تجـنـي عليـك وأنـتَ فيهـا مولـع
فـي كل يـوم أنـتَ تبصـر راحـلاً
تلـك اللفافـةُ عقـرب لدّاغـةٌ
يـا ليـت أنـك حيـن تنفـثُ سُـمّها
يـا ليـت أنـك حيـن تدفـع مهرهـا
كـم مـن فتًـى تركتْـه أصفـر ناحلاً
شَـلّت قـواه وراح يلهـث خلفهـا
فتكـتْ بـه ولهـا يُسـلّم أمـره
كم مـن فتـاةٍ حين تبصـر وجهها
قـد كان فـي تلـك الخـدود نضارةٌ
فسـطتْ عليهـا آفـةٌ قتّالـةٌ
وإذا سـمعتَ سـعالها ترثـي لهـا
كل الطـلاء وإن غلـتْ أثمانُـه
لا تخدعنْـكَ مـن اللفافـة (نكهـةٌ)
إن الإرادة أن تكـون مقـرراً

وتقـول: إنـك عاشـقٌ مسـتمتع
مـن سُـمّها ورحيلُهـم لا يقنـع!
والقـرب منهـا يـا صديقـيَ مفزع
تـدري بأنـك كأسَـه تتجـرّع!
تـدري بـأن رحيـق عمـرك تدفـع!
بالأمـس كان كـوردةٍ يتضوع
ويـذوبُ مشـتاقاً وفيهـا المصرع
عجبـاً أتمعـن فـي أذاه ويخضـع!
تأسـى لهـا وتقـول جـلّ المبـدع
قد كان ضوءُ الشـمس فيها يلمع
وإذا بأجمـل مـا أثـاركَ بلقـع!
فكأنمـا أحشـاؤها تتقطّـع
لا يُرجـعُ الألـقَ الـذي لا يَرجـع
هـي كذبـةٌ كبـرى وقـولٌ أقـرعُ
لطلاقهـا ولـك الوسـامُ الأرفـعُ



قارئ الأفكار

الرجل الذي يقف هناك على الطوار الآخر يرمي بنظراته نحوك، يحدق عينيك بقوة، يحاصرك ويسدّد رماح حدقتيه في اتجاه حدقتيك، يجبرك على مبادلته التحديق، يغادر عينيك فجأة، من دون سابق إنذار، ملقياً نظراته إلى العربات المارّة، يدقّق في حديدها بألوانه المتباينة، متنقلاً بنظراته ما بين الداخل والخارج مدققاً وفاحصاً، بعدها يرميها عنه متجهاً إلى البنايات حوله، مبحراً في فضاء الشرفات العالية والنوافذ تارة، ويعود إليك بنظرات متعبة تارة أخرى ملقياً على حدقتيك أنين نظراته، تعاود تركيز الانتباه فيه، ترى حركة يديه الدؤوبتين وهو يفركهما بقوة، وساقه اليمنى وهي تهتز بحركات ترددية لا تهدأ، وشفتاه وهما تلوكان حروفاً لا تسمعها من مكانك لبعد المسافة بينكما.

تركز تفكيرك فيه، سريعاً تقرأ أفكاره، تعرف أنه ينتظر صديقاً وعده أن يقرضه مبلغاً من المال يفك به ضائقته، أُمُّه في المستشفى الآن، أعطاهم كل ماله البارحة، ووعدهم بإحضار مبلغ آخر اليوم، صديقه تأخّر، كل عربات الكون مرَّت من دون أن تتوقف إحداها أمامه، الأبواب كلها فتحت لكل من سعى إليها من دون أن تلتفت إليه، الأعين جميعها تلاقت، تعارفت وتحادثت إلا عينيه؛ لم تتعرف أو تتحدث مع إنسان قط، الوقت يمر والمال لا يجيء وأُمُّه هناك لا تمتلك إلا سيلاً من الدعاء ينهمر عليه.

تعرف كل هذا فينتفض في قلبك العزم، وتتأجج الشفقة، تقترب منه عابراً الطريق المحشوة بالعربات المارقة، ترفع صراخها معترضة على عبورك العشوائي هذا، لا تأبه لها، تقترب أكثر منه، تقف قبالته، تمدّ يدك بالنقود إليه في صمت مكتفياً بحوار الحدقات؛ تتسع عيناه لموجة دهشة كبيرة تهزّ جنبات رُوحه، يتردد في بسط يده إليك وإن كان عمق نظراته يشي بأنك الكائن الوحيد الذي أحسّ بما يعانيه، وتجاوز كل ما في الكون من جحود وبخل وأَنانيَّة وجاء يمنحه فيضاً من فرح مع المال الذي أعطاه: اذهب إلى أمك، وكن بجوارها.

يلتهمك بنظراته محاولاً استيعاب اللحظة، تحمد المأزق الذي هو فيه الذي لولاه لفتح لك ديوان أسئلة كامل؛ ليعرف: مَنْ أنت؟ وكيف عرفت؟ ولماذا تدفع له. وهل هو هِبَة منك أم دَين عليه أن يقضيه؟ وغيرها من الأسئلة.

أخيراً تراه يكتفي ببسط يده، وأخذ المبلغ، والبكاء، واحتضانك، وتركك، والاستدارة إلى الخلف، كل هذا في وقت واحد، بينما أنت بذات الابتسامة على شفتيك تتابع أفكاره وهو يقول محدثاً نفسه عنك: حتى لو كان مجنوناً فهو جنون جميل لا يضرّ!!

تستدير عنه مكملاً السير وسط المارة والعربات، تتذكر أنك وببساطة مذهلة قد تنازلت عن كل ما معك من مال، وبدأت تواجه نفسَك اللوَّامةَ وهي تلقي إليك بالتعنيف على ما بدر منك، فأنت في كل مرة تتورط في حالة سخاء مفاجئة تحلّ بك، وبعدها تفيق لنفسك متسائلاً: كيف فعلت، ولم أتدبر الأمر؟.

تهز رأسك هامساً: إن الأمر هذه المرة كان يستحق، وتيمّم وجهَك ناحيةَ البحر هرباً من مأزق قد تحتاج فيه إلى المال، ترى البحر سابحاً في هدوئه الممزوج بحبات الضوء المنثورة على سطحه، مبدياً وقاراً يليق بعجوز عاصر دهوراً من شطحات بني البشر.

تقف أمام السور الحجريّ بعيداً من الرمال، ولمسات الماء المشاغبة، وهمساته المجنونة التي لا تعرف انتهاء.

على صدر الرمل ترى شبح امرأة شابة تقف على ما يبدو حافية القدمين، تعطي ظهرها للطريق، مكتفية بالغوص بنظراتها في عمق المدى ونقطة الأفق البعيدة حيث تلتقي السماء بالبحر في عناق أبدي للناظرين.

تلتقط رأسُك إشاراتِ خواطرها وأفكارها ودموعها التي تخشى أن تستدير فتطّلع عليها المارّة، كأنما تأتمن الموج والماء والأفق على سرّها، وتخشى أعين المتربصين تسمع خواطرها المغسولة بماء الدموع، والمندّاة برذاذ الموج وهي تعاتب الزوج الذي ركب البحر ولم يعد، تسأل النسائم القادمة عنه، وهل لامست وجنتيه، وتقسم على الموج المتدفّق أن يأتيها بخبر عنه. من أفكارها تحدس أنها شابة لا تزال تتمنى لها الراحة بعد العذاب.

وتمضي إلى طريق (الترام) قاصداً التوجه إلى معهد الأفكار الذي تدرس به.

ترصد عيناك عجوزاً شاب الدهر على تغضنات وجهها وهي تتخذ من إحدى الأرائك الرخامية الطويلة بإحدى المحطات مرقداً، تتغطى بغطاء ممزَّق الحوافّ يكاد لونه يصبح أثراً وهي تنظر إلى لا شيء، تتجمد رُوحك في صدرك، ويرتعد عقلك وأنت تتابع خواطرها عن ولدها الذي تركها هنا في المحطة ومضى عنها، العجوز تسأل الصمت الراكد والعتمة المقبضة: هل هو بخير؟ تقسم أن هناك ضرراً ما أصابه وإلا ما تأخّر عنها، تحادث السكون والليل حولها متسائلة: كيف تبحث عنه؟ وأين وحيدها المتزوج حديثاً؟ الذي رافقها إلى هنا؛ أين أخذه الليل؟ وكيف طواه المجهول؟ ولماذا لم يعد إلى الآن؟

المرأة العجوز يرتجف جسدها النحيل وهي تحدق بعينيها في لا شيء، تقترب منها باكياً رغماً عنك، تسألها متناسياً حالتك المالية:

تريدين نقوداً؟

تحدق في وجهك طويلاً، تقول في هدوء شارد: لا.

تعاود سؤالها: تريدين طعاماً؟

تغمض عينيها: لا.

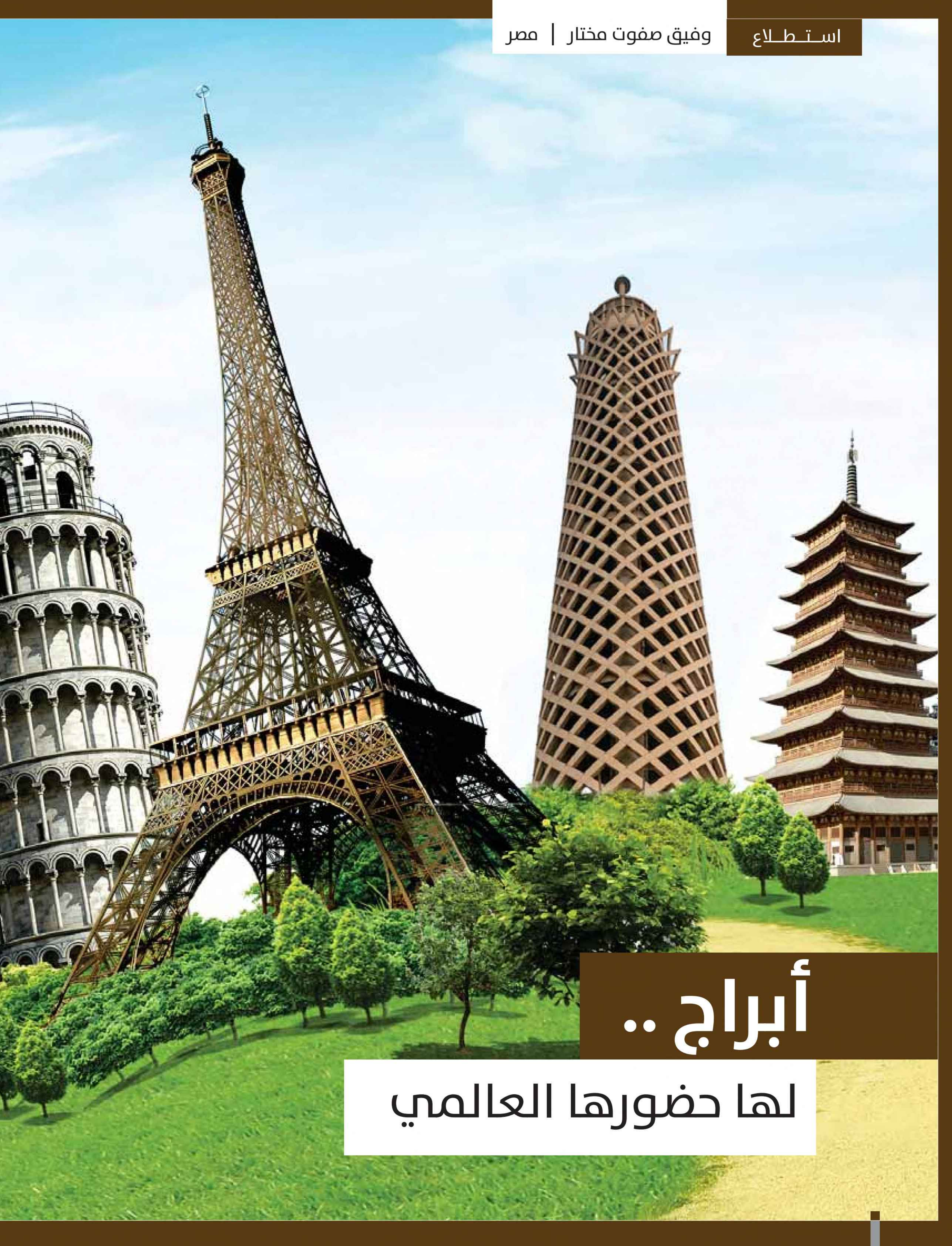
هل أنت عطشى؟

تغطي وجهها بما تبقى من الغطاء: لا؛ قاصدةً ألّا ترهقها بالسؤال من جديد، وخواطرها تشكو منك، ومن أسئلتك التي تشغلها عن انتظار ولدها الذي لا بد أنه سيجيء.

تواجه عيناك الليل والظلمة شاعراً بوحشة تجتاح صدرك، وتتغلغل في أعماق روحك، تتجه إلى معهد الأفكار وقد قررت أمراً، هذا المعهد فتح أبوابه لتعليم المقدرة على التخاطب وقراءة الأفكار عن بعد، ونشر هذه الموهبة لتخدم المجتمع، خصوصاً الجرائم الغامضة، واكتشاف الجناة وعقابهم، والمشاكل الاجتماعية المختلفة، وتقريب وجهات النظر التي ربما يخجل البعض من إعلانها، فيحدث بسببها كثير من المشاكل وأمور أخرى كثيرة.

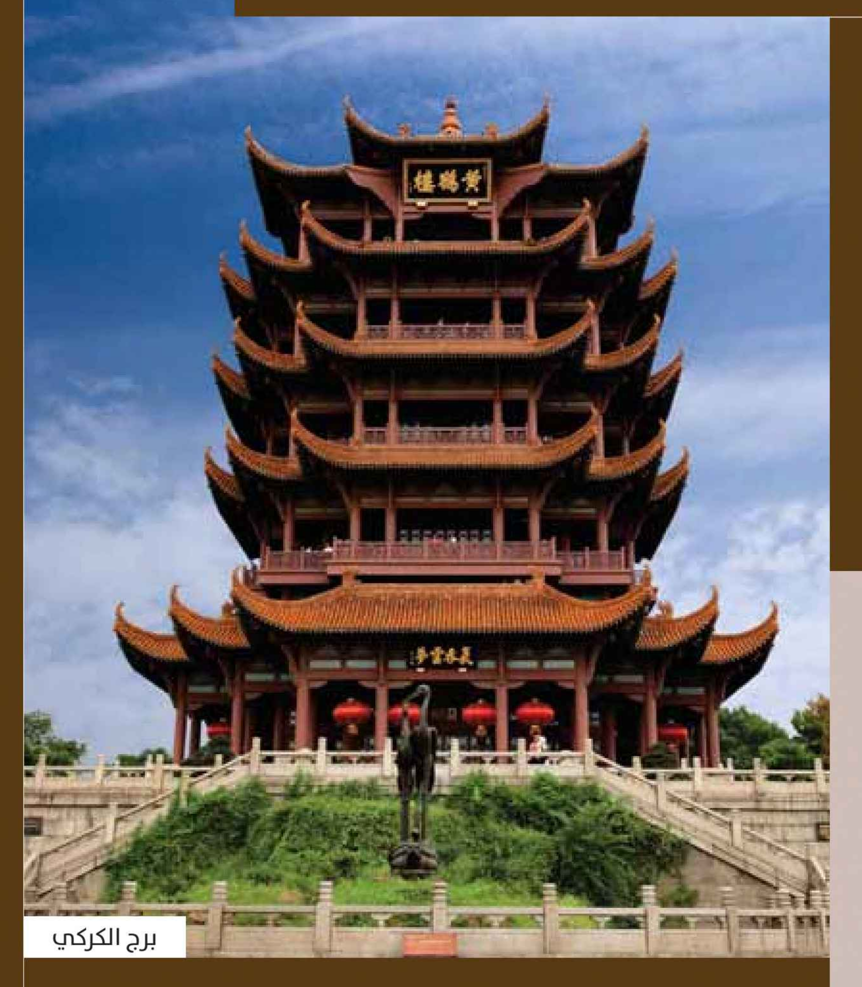
تتجه مباشرة إلى مدير المعهد هامساً إلى نفسك: إن الجنون عينه أن تكمل التعلم والتدريب، مؤكداً أن الجهل في بعض الأحيان يكون له فوائده التي لا يشعر بها إلا الجهلاء، مقدّماً في الوقت ذاته استقالتك من استكمال الدرس، لكنه يواجهك ببسمة واثقة بعد أن قرأ أفكارك، يتحدث إليك عن شروق العلماء في ظلمة هذا الكون!!

وفيق صفوت مختار | مصر



أبراج ..
لها حضورها العالمي

تمثِّل الأبراج المنتشرة حول العالم قيمةً تاريخيةً وأثريةً، تفخر بها الإنسانيَّة، وتضعها في مقدمـة الأعمال الابتكارية والإبداعية التي أنجزتها العقول البشـريَّة، بسـواعد لا تعرف الـكَلّ أو الملل، وبإصرار على التفرُّد والتميُّز.



برج الكركي

نكبات برج الكركي

مرّ البرج بعدّة نكباتٍ؛ ففي المدة (١٣٦٨ - ١٩١١م) تحطم البرج سبع مرَّات، وأُعيد بناؤه، ولم يبق من البرج الذي شُيد أول مرَّة سـوى جرس يبلغ ارتفاعه ٣,٤ أمتار، وعـرض قاعدته متر و٠,٨، ويبلغ سمكه ٤ سم.

ويـرى الزائـر عندما يبلغ قمة البرج نهر اليانجسـتي الممتـدّ في أحضان المدينة وسـط الأشجار والبنايات، والسائحون ينتشـرون في المكان كلٌّ يقف في زاوية بعينها؛ ليلتقط صوراً خاصة.

برج طائر الكركي الأصفر

يسمّى برج طائر الكركي الأصفر yellow برج خوانغ خي لو، وهو البرج الذي ألهم الشعراء الصينيين لقرونٍ عدة، كتبوا في أثنائها مئات القصائد. أُنشئ البرج عام ٢٢٣م، وكان السبب في إنشائه هو حاجة مدينة ووهان إلى برج مراقبة عسكريّ، يتميّز من غيره بموقعه النموذجيّ الذي يقع قرب نهر اليانجستي، ثم تحوَّل تدريجياً إلى مكان استراحة يقصده الشعراء، وصار في المدة (٦١٨ – ٩٠٧م) مُلتقًى أدبياً، وبدأ سِحر المكان يظهر في قصائد الشعراء، فذاع صيت هذا البرج، وعُدَّ رمز مدينة ووهان. هذه الشهرة أكسبته مسحةً وطنيةً، فزائر البرج يجد في الطريق إليه تمثالاً نصفياً للزعيم الصينيّ ماوتسي تونج.

يبلغ ارتفاع البرج ٥٢ متراً، وعرضه ٣٠ متراً، وفي الجهة الغربية منه تمثال برونزيّ، يُجسِّد طائرَيْ كركي، يقفان على ظهر سلحفاة، الْتفَّت حولها أفعى في حركة انسيابية، ويرمز طائر الكركي لدى سكان مدينة ووهان إلى السلام؛ مثل الحمام وغصن الزيتون اللذين يرمزان إلى السلام في أنحاءٍ كثيرة من العالم، وفي الجانب الشرقي من الطريق إلى البرج يوجد تمثال الفارس يوفي (١١٠٣– ١١٤١م) الذي كتب أشهر قصائده في مديح البرج.

رمـز طائر الكركي لدى سـكان مدينـة ووهان إلى السلام؛ مثل الحمام وغصن الزيتون اللذين يرمزان إلى السلام في أنحاءٍ كثيرة من العالم

ويُشاهد الزائر في الطابق الأول جداريةً كبيرةً من الخزف، تصوِّر كاهناً يمتطي طائراً وسط الغيوم والراقصات والعازفون ينظرون إلى السماء، ورُسمت الجدارية بالبلاط المصنوع من الزجاج الذي غطَّى سقف الطابق بمئة ألف بلاطة صفراء حتى يكاد هذا اللون يُهيمن على سائر الألوان في هذا المكان إشارةً إلى طائر الكركي.



برج لندن

بــرج لنــدن

يسمّى برج لندن Tower of london البرج الأبيض، أو البرج الدامي، ويرتاده سنوياً نحو مليوني زائر، ومع أنَّ البرج أنشأه وليم الأول (وليم الفاتح) عام ١٠٧٨م ليكون قلعةً وقصراً في آنٍ واحدٍ، فإن الملوك المتعاقبين أضافوا له أبراجاً وقلاعاً وقصوراً وخنادق وبوابات؛ إلى أن أصبح أكبر حصن في أوربا كلِّها، فبلغت مساحته أربعة آلاف كيلو متر مربع، واستغرق العمل في بنائه ١١ سنةً.

بعد أن اعتلى وليم الفاتح العرش خشي من وقوع انقلاب ضدّه، فأمر ببناء برج من الحجر الصَّلد؛ ليكون قصراً وحصناً له، وبلغ سُمك جدران البرج ١٢ - ١٥ قدماً، وبلغ الارتفاع ٩٠ - ١١٨ قدماً، وبلغ العرض ١٠٧ أقدام، وقد طُلي كلّه باللون الأبيض.

واستخدم البرج على مرّ الزمن في مجالاتٍ مُتعدّدة؛ منها: سكّ العملة، فقد ظلّت عملة البلاد تُضرب في البرج مدة ٥٠٠ عام، ابتداءً من أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، كما استخدم سجناً منيعاً، فسُجن في

حراس من ذهب وغربان مكسورة الجناح

حراس برج لندن من ضباط الصفّ، الحاصلين على نوط السلوك، يرتدون نهاراً الملابس القرمزية والقبعات المرتفعة المصنوعة من جلد الدبّ، ويمشون في سكينة ووقار، وفي المساء يمرّون في شكل دورياتٍ، وهم مزوّدون ببنادق أوتوماتيكية، وفي الاحتفالات المهيبة يستخدمون الحَرْبَة ببراعة، واضعين السيوف على أحد الجانبين؛ إشارةً إلى الدفاع عن العرش الذي طُرِّزت حروفه الأولى بالذهب على الزيّ الذي يرتديه الحارس ويزن ١٥ رطلاً.

ويعيش في البرج عددٌ كثير من الغربان، فهناك أسطورة قديمة تقول: إن الغربان إذا تركت البرج الأبيض، فإنَّ هذا يعني تهدُّم البرج وسقوط العرش؛ لذلك يقوم حارس مُخصَّص بقصّ أجنحة الغربان كي لا تفرّ، ويُقال: إنَّ هذا العمل لا يُسبِّب أيّ ألم للغربان؛ لأن قص الريش يقع في جناحٍ واحدٍ فقط، لذلك فإنَّ أقصى ما في استطاعة الغربان فعله هو التحليق بين أقواس النصر!!

لا يزال في العمر ٢٠٠ عام

أُغلق برج بيزا عام ١٩٩٠م؛ لأنَّه أوشك أن ينهار، لكن بعد إجـراء أعمال صيانـة بلغت قيمتها ٢٥ مليـون دولار صار بإمكان السـائحين أن يرتادوا البرج مرَّة أُخرى، ودقّت أجراس مدينة بيزا إيذاناً بإعادة افتتاح البرج. وقد حفر المهندسـون أسفل الجزء المُتحرِّك من الأساس، ووضعوا قواعد وأسساً لموازنة قاعدة البرج، ورأوا أن البرج سـيبقى سـليماً مئتي عام أخرى على الأقل، ويدخل البرج حالياً ٣٠ سائحاً فقط كل مدة زمنية مُحدَّدة، وينبغي أن يقوموا بالحجز مُقدماً؛ كي يسـتطيعوا زيارة البرج، والوصول إلى قمته، والتمتع بمشاهدة بيزا الجميلة، وما يحيطها من حدائق خلابة.



برج بيزا المائل

يُعـدّ برج بيزا مـن عجائب الدنيا السـبع، ويرتبـط بالعَالِم الإيطاليّ الشهير جاليليو جاليلي الذي قام بإجراء بعض تجاربه من فوق قمة البرج

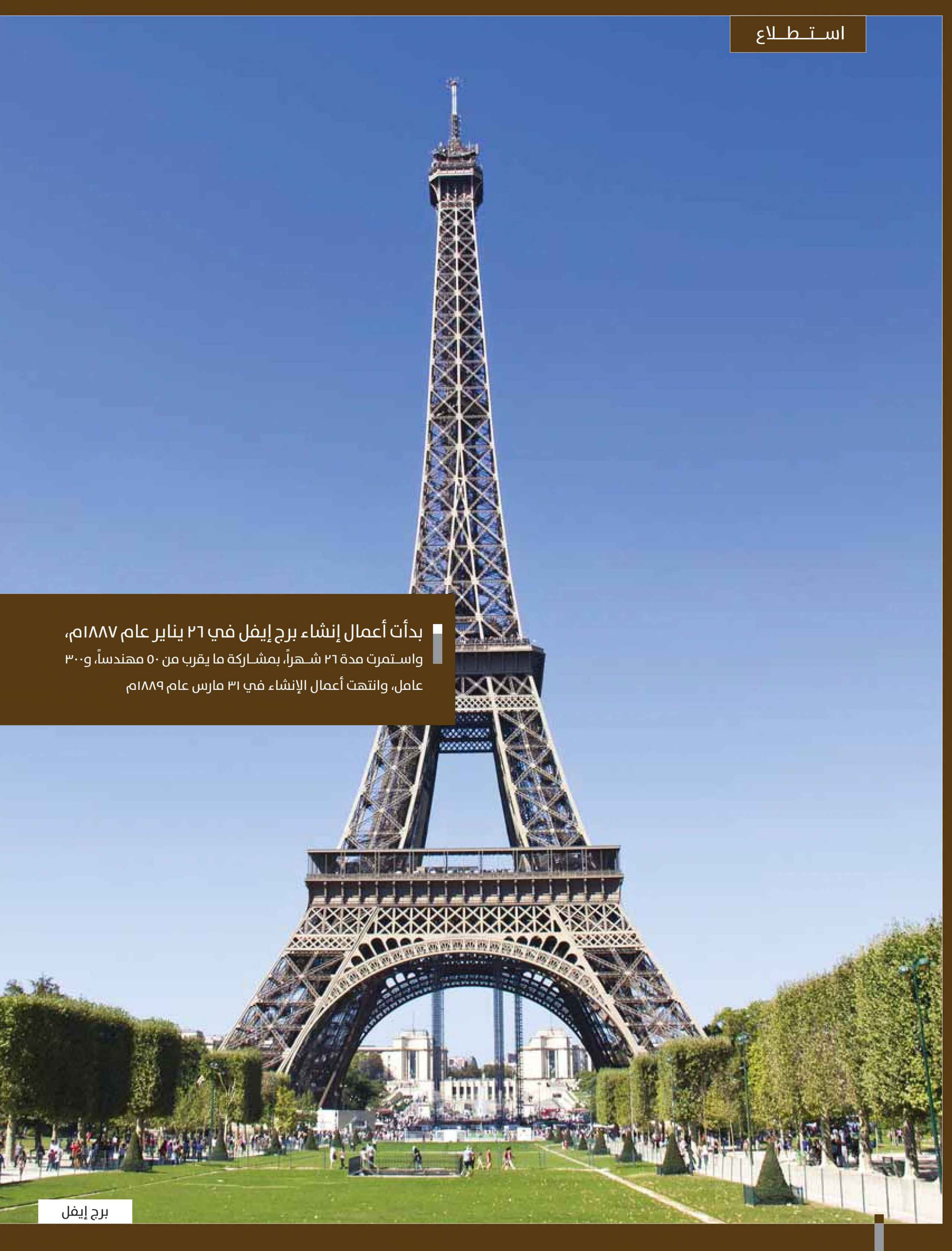
سراديبه نحو ١٧٠٠ سجين، ونُفِّذَ حكم الإعدام في كثير منهم، ومن هؤلاء أسماء لامعة؛ مثل: توماس مور، والسير والتر رالف، وكان الملك هنري الثامن (١٥٠٩– ١٥٤٧م) مسؤولاً عن كثير من حوادث سفك الدماء داخل البرج، فقد أصدر حكماً بإعدام زوجته الملكة آن بولين بعد مرور ثلاث سنوات على تتويجها، وكانت التهمة هي الزنى، أمَّا الحقيقة فهي فشلها في إنجاب ابن له! واستُخدم البرج حديقةً للحيوان، فكان الملك هنري الثالث يحرص على مشاهدة عروض النمور والدببة القطبية، كما كانت هواية الملك جيمس الأول في القرن ١٧ الميلادي مشاهدة الأسود تتصارع مع الكلاب، وفي عام ١٨٣٥م انتقلت جميع حيوانات البرج إلى حديقة حيوان بلندن.

وتعدّ جواهر التاج الملكيّ عامل الجذب الرئيس إلى البرج، وأكثر القطع المعروضة أهميةً هو تاج الدولة الإمبراطوريّ، المُرصّع بالألماسة الضخمة المعروفة باسم نجمة إفريقية، والتاج الإمبراطوريّ للهند، وكلاهما مرصّع بآلاف الألماسات.

برج بيـزا المائـل

يقع برج بيزا pisa Tower في إيطاليا بولاية توسكانا، وهو برج جرس كاتدرائية مدينة بيزا، وكان من المخطّط له أن يكون عامودياً، لكنه أخذ في الميلان بعد الشروع في بنائه في أغسطس عام ١٧٧٣م بمدة وجيزة، واستغرق بناء البرج ١٧٤ عاماً، وهو يتكوَّن من ثمانية طوابق مبنية من الرخام الأبيض وفق الطراز الرومانيّ بارتفاع ٥٥ متراً عن سطح الأرض، وبه سُلَّم مبنيّ داخل الجدران يتألَّف من ٢٩٤ درجةً (مُجهز حالياً بمصعد كهربائيّ). وميل البرج واضح للعيان، ويبلغ نحو ١٨ قدماً (الميل أكثر من خمس درجات)، ويُقال: إنَّ سبب هذا الميلان هو رخاوة التربة التي أُسِّس عليها البرج وهبوطها. وفي عام ١٢٧٥م عندما كان المعماريون يبنون الطابقين الرابع والخامس من البرج حاولوا تحريك مركز ثقل البرج لتجنُّب الميلان؛ لكنهم لم يفلحوا في ذلك.

ويُعدّ البرج من عجائب الدنيا السبع، ويرتبط بالعَالِم الإيطاليّ الشهير جاليليو جاليلي الذي قام بإجراء بعض تجاربه من فوق قمة البرج.



بدأت أعمال إنشاء برج إيفل في ٢٦ يناير عام ١٨٨٧م، واسـتمرت مدة ٢٦ شـهراً، بمشـاركة ما يقرب من ٥٠ مهندساً، و٣٠٠ عامل، وانتهت أعمال الإنشاء في ٣١ مارس عام ١٨٨٩م

برج إيفل



بـــرج إيفـل

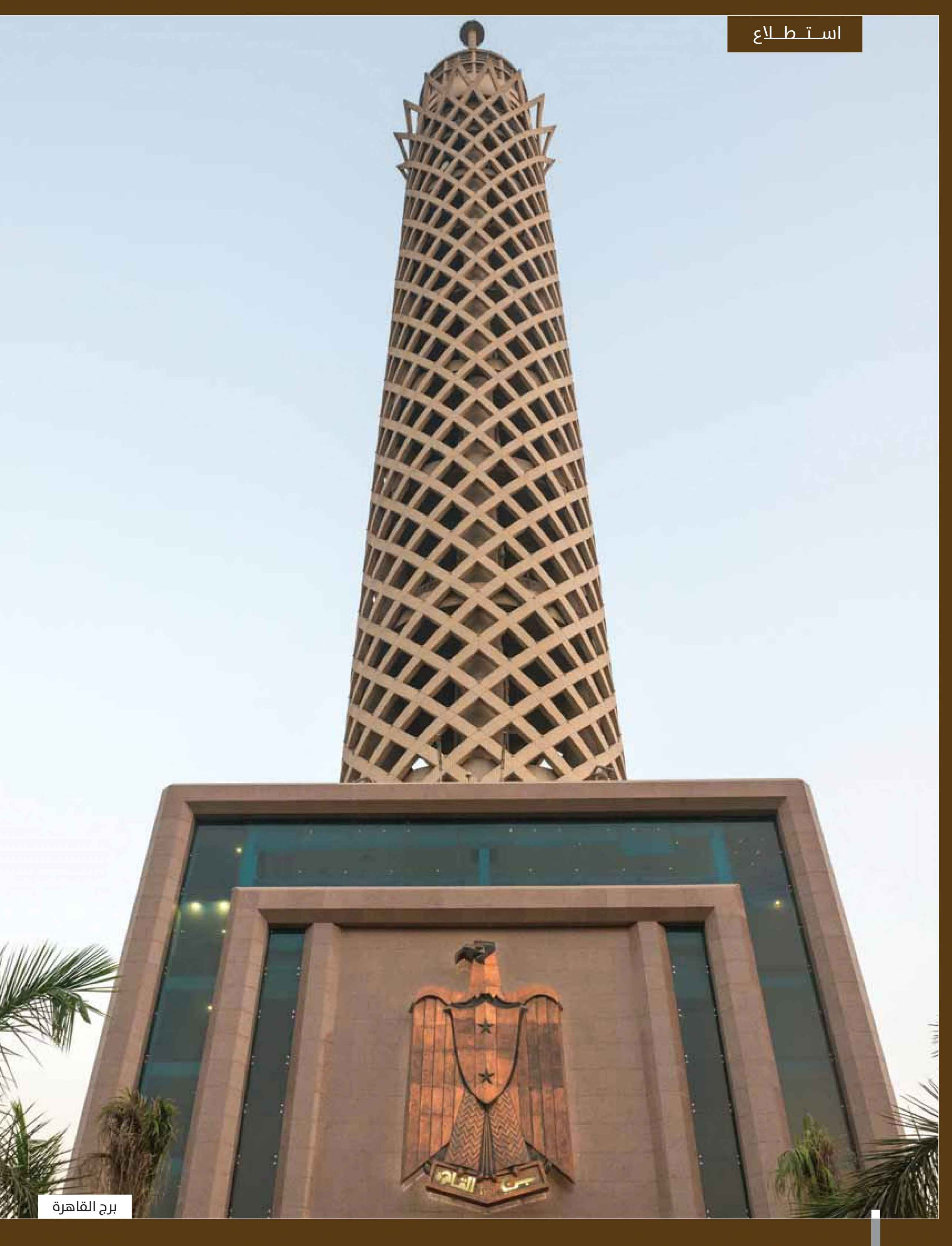
برج إيفل Eiffel tower هو برج حديديّ يقع قريباً من نهر السين، ويحمل اسم مُصمِّمه: غوستاف إيفل، ويعدّ من أشهر المزارات في أوربا؛ لتجاوز عدد زائريه حاجز ٦ ملايين زائر عام ٢٠٠٥م، وفي عام ١٩٦٤م سُجِّل برج إيفل ضمن لائحة الآثار التاريخية لمدينة باريس.

بدأت أعمال إنشاء البرج في ٢٦ يناير عام ١٨٨٧م، واستمرت مدة ٢٦ شهراً، بمشاركة ما يقرب من ٥٠ مهندساً، و٣٠٠ عامل، وانتهت أعمال الإنشاء في ٣١ مارس عام ١٨٨٩م، وقد افتتح رسمياً في ٦ مايو من العام نفسه وبلغت قيمة أعمال البناء نحو ٧٨٠٠٠٠٠ فرنك ذهبي فرنسي.

يتكوَّن البرج من ١٨٠٣٨ قطعة حديد، ومليوني مسمار ونصف المليون، ويبلغ وزنه الإجماليّ نحو١٠١٠٠ طن، ويرتكز في أربعة أعمدة مُكَوِّنة فيما بينها قاعدةً تبلغ مساحتها ١٥٦٢٥ متراً مربعاً، ويحتوي سُلَّم البرج على ١٦٦٥ درجةً، ويُسمَح باستخدامها إلى الطابق الثاني، أما بلوغ القمة فيكون بوساطة أحد المصعدين الكهربائيين الموجودين في هذا الطابق، ويقوم هذان المصعدان بمئة رحلة يومياً إلى القمة، بمُعدل رحلة كلّ ٨ دقائق تقريباً.

بلغ ارتفاع البرج وقت الإنشاء ٣٠٠ متر، ثم أُضيف إليه في العام نفسه الراية، فوصل ارتفاعه إلى ٣١٢ متراً، لكن بعد إضافة الهوائيّ المتعلق بالبثّ إلى قمته أصبح ارتفاع البرج الكليّ ٣٢٤ متراً.

وضع غوستاف إيفل في حسبانه من البداية استخدام الإضاءة الاصطناعية لإنارة البرج؛ إذ رُكِّب أول نظام إضاءة بمناسبة المعرض الدوليّ عام ١٨٩٩م، واستُخدمت جميع أنواع الإضاءة على مرّ تاريخه، وبحلول عام ٢٠٠٠م رُكِّب نظام متكامل من الإضاءة، يحتوي على ٢٠ ألف مصباح إضاءة، و٤٠ كم من الأقطاب الكهربائية، و١٠ آلاف متر مربع من شبكات الأمان الكهربائية، و١٢٠ كيلو وات من الطاقة. ولحماية البرج من الصدأ، فإنَّه يخضع لعمليات صيانة وإعادة طلاء منتظمة كل سبع سنوات، تستغرق ١٥ شهراً حتى تكتمل تماماً، ويستهلك في أثنائها ٥٠ طناً من الطلاء، ومن إنشائه إلى عام ٢٠٠٣م مرّ البرج بـ ١٨ عملية طلاء.



برج القاهرة

برج إيفل بين مؤيد ومعارض

تباينت ردود الأفعال تجاه برج إيفل، فقال الروائي جي. دي. موباسان، الذي كان من أهم المعترضين على بناء البرج، عندما سُئل: لماذا تواظب على وجبة الغداء في مطعم البرج؟ مجيباً: «إنَّه المكان الوحيد الذي لا يمكن رؤية هذا البرج منه!!».

أمَّا في عام ١٨٨٩م، فقد زار توماس إديسون البرج، ووقَّع في دفتر الزائرين: «إلى مهندس البرج إيفل.. أهنِّئك على شجاعتك الكبيرة في بناء هذا الصرح الجميل، وهذه المعجزة الهندسية، لقد تفوَّقتَ ونلت احترام جميع مهندسي العالم».

بــرج القاهــرة

برج القاهرة، أو برج الجزيرة، بُني بين عامي (١٩٥٦ - ١٩٦١م)، من الخرسانة المسلحة، كهيئة زهرة اللوتس الفرعونية، من تصميم المهندس اللبناني نعوم شبيب، وشارك في بنائه نحو ٥٠٠ عامل.

يقع البرج في قلب القاهرة على جزيرة الزمالك بنهر النيل، ويصل ارتفاعه إلى ١٨٧ متراً، وهو بذلك يكون أعلى من الهرم الأكبر (خوفو) بنحو ٤٣ متراً، ويتكوَّن البرج من ١٦ طابقاً، وهو قائم على قاعدة من أحجار الجرانيت الأسواني، وتستغرق الرحلة داخل مصعد البرج للوصول إلى قمته ٤٥ ثانية. يوجد على قمة البرج مطعم سياحيّ فوق منصَّة دوَّارة تدور بروَّاد المطعم؛ ليروا معالم مدينة القاهرة من كل جانب، كما توفِّر إدارة البرج خدمة التلسكوب (المنظار المُقرّب)؛ لمشاهدة معالم القاهرة.

بلغت تكاليف بنائه ٦ ملايين جنيه مصريّ، وكان لبناء البرج قصة مُثيرة؛ إذ أعطت الولاياتُ المتحدة الأمريكية مصرَ في عهد الرئيس الراحل جمال عبدالناصر هذا المبلغَ؛ للتأثير على موقف مصر المؤيد للقضية الجزائرية ضدّ الاحتلال الفرنسيّ، فيقول المؤرخ العسكريّ جمال حماد: إنَّ الملايين الستة لم تخدع عيون عبدالناصر؛ لتغيير موقفه تجاه القضايا العربية، فرفض أن يُخصِّصه للإنفاق على البنية الأساسية بمصر على الرغم من احتياج البلاد وقتها إلى هذا المبلغ، فأراد الرجل أن يبني بناءً يظل عَلماً بارزاً مع الزمن يُعلِّم المصريين الكرامة، وإن كانوا في أشدّ الاحتياج.

صيانة وتقنية وأفلام

أجريت عمليات تجديد برج القاهرة وإصلاحه وصيانته في المدة (٢٠٠٦-٢٠٠٨م)، بلغت قيمتها نحو ١٥ مليون جنيه، ويستخدم البرج تقنية الصمام الثنائيّ المشعّ للضوء LED في إنارة البرج؛ إذ إنها توفّر الطاقة بشكلٍ كبيرٍ، مع إمكانية التحكُّم في ألوان الإضاءة التي تظهر بوضوح من خلال البرج، وشهد البرج تصوير أفلام سينمائية كثيرة؛ منها: فلم (موعد في البرج)؛ بطولة سعاد حسني، وفؤاد المهندس، وفلم (آخر الرجال المحترمين)؛ بطولة بوسي، ونور الشريف.

المراجع

- وفيق صفوت مختار، بستان المعرفة، القاهرة، موناليزا للكتاب، ٢٠٠٧م.
- نجلاء حسن حامد، برج لندن، مجلة الفيصل، السعودية، دار الفيصل، أكتوبر-نوفمبر ١٩٩٤م، العدد ٢١٥.
- عبدالرزاق الربيعي، برج طائر الكركي، مجلة دبي الثقافية، دولة الإمارات، دار الصدى، مايو ٢٠١٣م، العدد ٩٦.
- موسوعة ويكيبيديا الحرة.

-National Geographic vol 189,no,4,October 1993.

-http: //www.hayat.ofra.com.

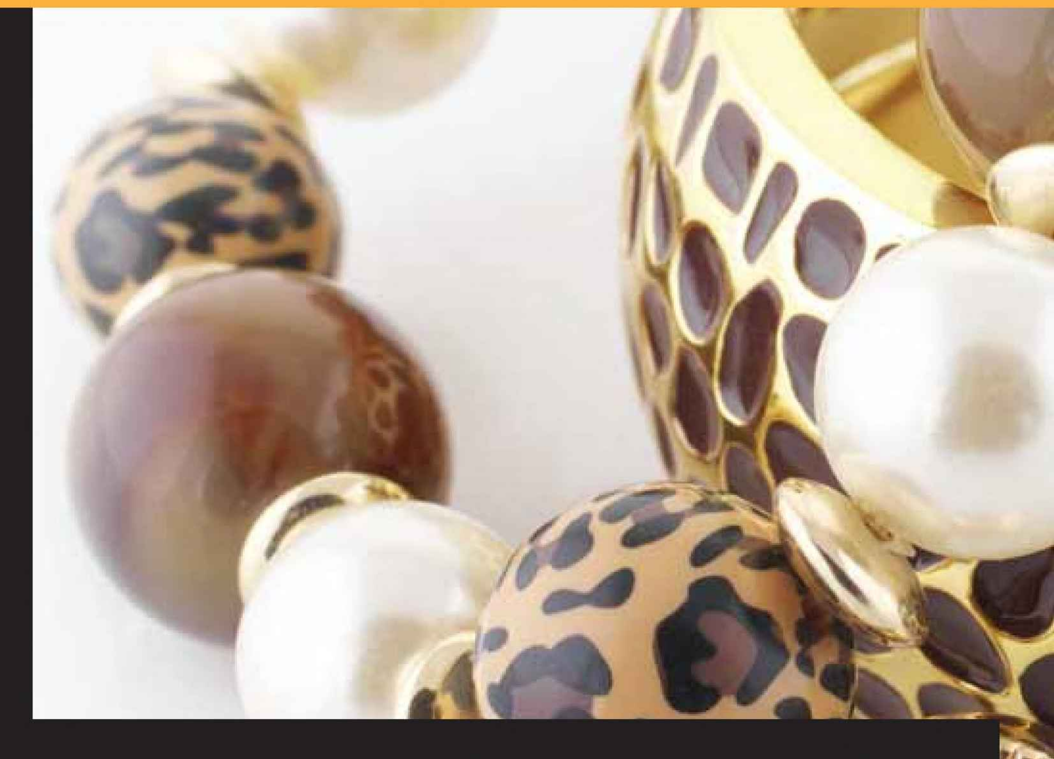




أحجار الزينة

بين الحضارات القديمة والتراث العربي

صارت عادة التزيّن بالأحجار البرّاقة، والقطع الصغيرة اللامعة من المجوهرات مظهراً اجتماعياً وجمالياً وذوقياً، وأصبحت ذات قيمة مرتفعة في التبادل الاقتصادي، ووجدت النساء في ألوان المجوهرات وسيلةً لإبراز جمالهن، وحفظ لنا التاريخ أسماء ملكات اشتهرن بمجموعاتهن النادرة من الأحجار والمجوهرات القيمة؛ مثل: بلقيس، وزنوبيا. وأصبح لمعادن الزينة وأحجارها، التي اصطلح على تسميتها بالكريمة أو النفيسة أو الجواهر، علم مقنّن هو علم المعادن Mineralogy، يدرس الآن في فروع علمية متنوعة، يجمعها أصل كبير هو علم الأرض Geology. ومعادن الزينة ليست وافداً جديداً إلى هذه الأرض في حضارتها الآنية، إنما عرفها الإنسان قديماً، وربما استخدمها كما هي؛ لما امتازت به من لون أو شكل، ففي تماثيل الفراعنة مثلاً نجد الفيروز مكان العيون.

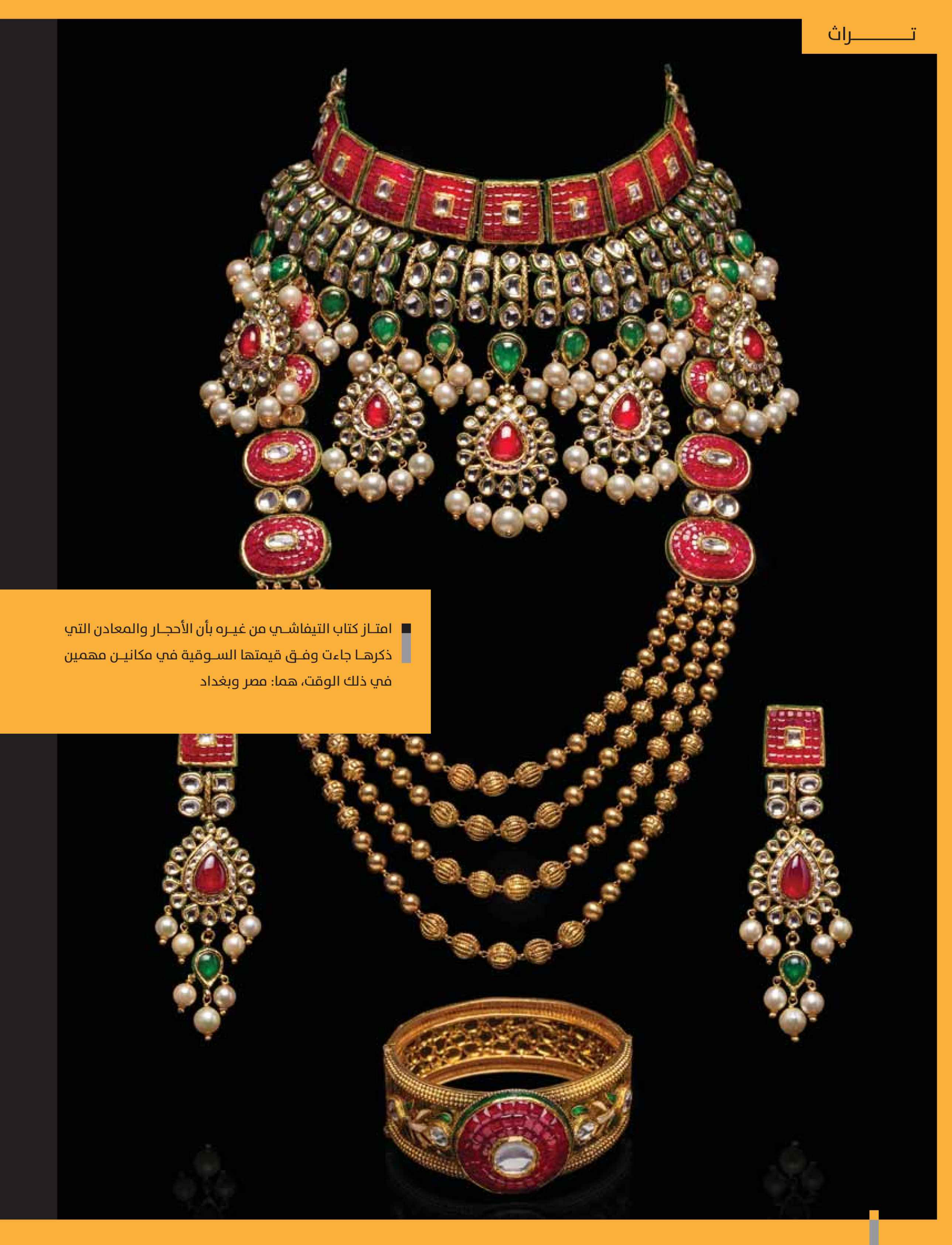


وفاق العرب والمسلمون الأوائل أقرانهم في العلوم الطبيعية والتجريبية، خصوصاً علوم الجيولوجيا، والمعادن، والأحجار، والبلّورات، وصنّفوا مؤلّفات علميةً خلّدها التاريخ العلميّ للإنسانية، وعلى رأس هذه المؤلّفات كتاب (الجماهر في معرفة الجواهر)، لأبي الريحان البيروني[1]؛ إذ وصف فيه كثيراً من المعادن والأحجار والجواهر؛ مثل: الياقوت، والألماس، واللؤلؤ، والزمرّد، والبلّور، وتناول خواصّها الفيزيقية، وهي الخواصّ التي تميّز معدناً من معدن أو حجر كريم، وهي وليدة التركيب الكيميائي؛ مثل: الصلابة، واللون، والشكل البلّوري، والتوصيل الحراري، ومعامل الانكسار، وغير ذلك من الخواصّ الفيزيقية.

واستخدم البيروني في توصيفه الخواصّ مصطلحات علميةً، لا تزال تستخدم في العلم الحديث، ويورد في أثناء ذلك أماكن وجود هذه المعادن، وطرائق استخراجها وتعدينها، والقيمة الاقتصادية لكل معدن أو جوهر، ويذكر أوزانها النوعيّة بدقّة علميّة فائقة؛ وهذا العمل يجعله رائداً من روّاد علم المعادن.

ويأتي التيفاشي بمؤلفاته في علم المعادن والأحجار الكريمة لينافس البيروني في مؤلفاته، وتكاد تتفوّق مؤلّفات التيفاشي على مؤلفات البيروني؛ لاستفادته -بلا شك- من مؤلفات السابقين عليه؛ أمثال: الكنديّ، وابن سينا، والبيرونيّ، وإخوان الصفا، إضافةً إلى تجاربه الشخصية، وخبرته العلميّة،



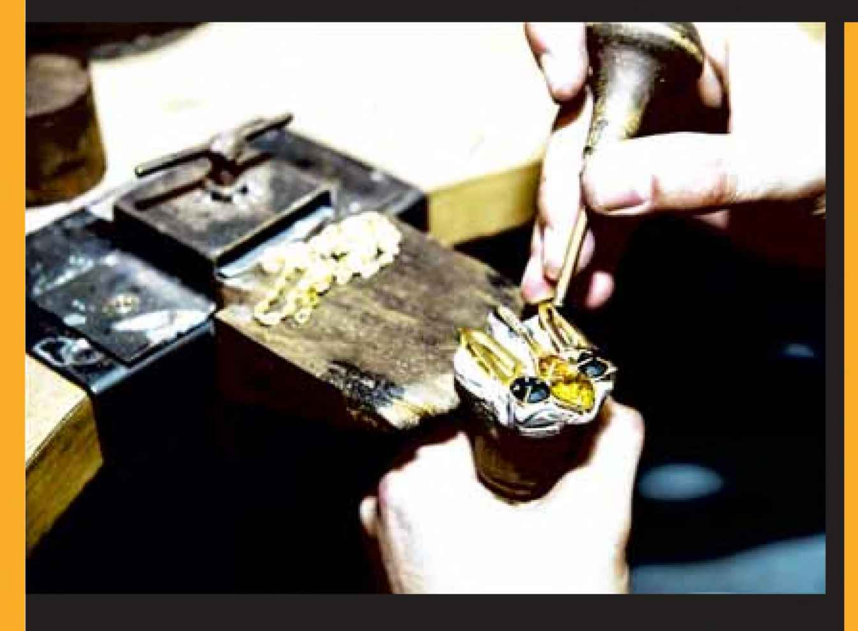


امتـاز كتاب التيفاشـي من غيـره بأن الأحجـار والمعادن التي ذكرهـا جاءت وفـق قيمتها السـوقية في مكانيـن مهمين في ذلك الوقت، هما: مصر وبغداد

جهد لا ينكر

ظلّت معادن الزينة تتداول في أيدي البشر حتى عصر الحضارة العربية الإسلامية؛ إذ قدّم العلماء العرب في مجال دراستها جهداً لا ينكره أحد، ولا غرو في ذلك فالبلاد العربية فسيحة ومتّسعة الأرجاء، ويحتوي ترابها كثيراً من تلك النوعيّات الصالحة للزينة، إضافةً إلى ما أوجده نشاطهم التجاريّ، وما استجلبه من الشرق الأقصى والهند وسيلان وغيرها، واستطاع المستشرق ماكس مايرهوف أن يحصي نحو خمسين خبيراً من خبراء جواهر العرب، الذين وردت أسماؤهم في الكتب التي صنَّفها بعضهم.

ويعدّ من أقدم الخبراء العرب في هذا المجال الصَّبَّاح جدّ يعقوب بن إسحاق الكندي (٨٠١ - ٨٧٣م) المعروف باسم فيلسوف العرب؛ إذ نقل تابعوه من العلماء العرب عن كتابه في الأحجار الكريمة؛ أمثال: البيروني، والتيفاشي، وابن الأكفاني، ممن وصلت إلينا أسفارهم القيمة التي تعدّ دليلاً على علوّ شأنهم في هذا المجال.



فاق العرب والمسلمون الأوائل أقرانهم في العلوم الطبيعية والتجريبية، خصوصاً علوم الجيولوجيا، والمعادن، والأحجار، والبلّورات

وممارساته التطبيقية في هذا المجال، وظهر هذا واضحاً في موسوعته العلمية (أزهار الأفكار في جواهر الأحجار) التي أدرك الغربيون أهميتها، فقاموا بترجمتها إلى كثير من اللغات الأوربية[٢].

وامتاز كتاب التيفاشي من غيره بأن الأحجار والمعادن التي ذكرها جاءت وفق قيمتها السوقية في مكانين مهمين في ذلك الوقت، هما: مصر وبغداد. وهناك كتاب آخر له أهميته في مجال المعادن والأحجار الكريمة، هو كتاب (نخب الذخائر في أحوال الجواهر) الذي صنَّفه العالم العربيّ محمد بن إبراهيم بن ساعد السنجاريّ، المعروف بابن الأكفاني.

الأحجار والجواهر ونقشهما

قام الإنسان بقطع الجواهر، ثم نقشها، وهذا العمل زادها قيمةً ماديّةً، وجعلها عملاً فنياً يدلّ على ذوقه وثقافته ودقّته ومهارته، وعلى الرغم من بساطة أدوات ذلك الإنسان القديم، فإنه ترك روائع فنية ذات قيمة تاريخية ووثائقية وجمالية. ويعتقد روستو فتزف أن الشرق لا يزال يقوم بدور رئيس في حياة الصناعة، خصوصاً الجواهر المنقوشة، ومن أهم الأعمال التي وصلتنا منقوشةً على الأحجار الكريمة هي: الأعمال الميثولوجية، وصور الملوك والقادة، وصور الحيوانات والنباتات، وهذه النقوش إمّا أن تكون غائرةً، واستخدمت أختاماً، ورصّعت بها الخواتم، وإما أن تكون ناتئةً بالتجويف أو بالبروز[٣].

إنها الجواهر التي تستخدم في الزينة الشخصية، وقديماً كانت -لصفاتها المميزة من غيرها من المعادن- تتّخذ منها الأحجبة، والطلاسم، والتعاويذ؛ لمعالجة الأمراض، والتحصين من الأرواح الشريرة، وإبعادها من الإنسان. وورد في كتاب التيفاشي -العالم العربي- ذكر معالجة بعض الأمراض بوساطة تلك الجواهر، وبعيداً من الخرافات، فقد كانت تلك المعادن النفيسة في الغالب رمزاً إلى السيادة، وسموّ المكانة في المجتمع.

وتنقسم معادن الزينة من حيث المصدر إلى: عضويّة المصدر؛ أي: من المملكة النباتية أو الحيوانية، وغير عضويّة المصدر؛ أي: من مملكة الثروات المعدنية، وهي في الأصل طبيعية، لكن الإنسان استطاع أن يتوصّل إلى صناعة بعضها في المعامل، وصار لها الخصائص الكيميائية والطبيعية والضوئية نفسها التي للمعادن والأحجار الكريمة الطبيعية، وعُرفت بالجواهر الصناعية تمييزاً لها من الجواهر الطبيعية.

ونجح المستشرق الألماني شتراوس في تقليد الأحجار الكريمة؛ مثل: اللعل والسفير، وقام فريمي وفرنوي ومواسان بتقليد الياقوت عام ١٨٩٢م، وأتاح هذا الأمر للطبقات الشعبية إمكانية التزيّن بها بأسعار منخفضة، ويحتفظ المتحف البريطاني بـ(فلذ أو شذرات) من ماسات صنعها أحد الكيميائيين عام ١٨٨٠م في مدينة غلاسكو بأسكتلندا.

وعندما نتكلم عن الصفات والخصائص فإنما نعني بالصفات ثلاثاً، إن لم تتوفر فلا يصلح المعدن للزينة، ولا يصير حجراً كريماً أو نفيساً، وهذه الصفات الثلاث هي: الجمال، والمتانة، والندرة، ومن دون تلك الصفات



فهي معادن تشارك غيرها من المعادن صفاتها وخصائصها. وإذا أخذنا صفة الجمال وما تؤديه من فائدة لوجدنا في المقدمة اللون، فاللون الأخّاذ المبهر يلفت الانتباه ويجذب الإنسان إليه، وما فائدة الزينة إن لم تؤدِّ تلك الفائدة؟!

وقليل جداً من الجواهر له لون واحد يميّزه ويلازمه؛ أي أن الأمر يتّصل بالتركيب الكيميائيّ للجوهر، فالفيروز Turquois قاعدته فوسفات



قام الإنسان بقطع الجواهر، ثم نقشها، وهذا العمل زادها قيمةً ماديةً، وجعلها عملاً فنياً يدلّ على ذوقه وثقافته ودقّته ومهارته

تستخدم الجواهر والأحجار في ترصيع الحليّ، والتحف، والأسلحة، وتدخل في صناعة الساعات والأجهزة الدقيقة؛ مثل: الموازين، والكشط، والحكّ، والثقب

الأحجار شبه الكريمة

يدخل الألماس والياقوت الأزرق والزمرد Emerald وأحياناً الزبرجد جميعها في نطاق الأحجار الكريمة، ويطلق على غيرها أحجار شبه كريمة، ويدلّ هذا التمييز عادةً على القيمة النسبيّة لتلك الأحجار. وهناك اختلاف كبير في نوع المعدن أو الحجر الكريم الواحد، ويتفاوت هذا الاختلاف حسب درجات الصفاء والنقاء والبريق، وأسلوب الشقّ الذي استخدم في تشكيله، وهناك أنواع لا بأس بها من المعادن شبه النفيسة باهظة الثمن؛ مثل: الجمشت Amethgst، وعين الهر Opal، والياقوت الأصفر Topaz، والزرقون Zircon، وهذه الأنواع تعادل قيمتُها الأحجارَ النفيسة التي لها الوزن نفسه.



النحاس، ووجود شوائب الألمنيوم يكسبه اللون الأزرق، ومن الصفات الجمالية للجواهر الشكل البلّوريّ، وهو إما أن يكون منتظماً طبيعياً، وإما أن يُصنَع ذلك الانتظام بوساطة خبرة الجوهريّ ودقّته في القطع والصقل والتلميع، وإن الأحجار الكريمة -معادن الزينة اللافلزّية- تتميّز من بعضها البعض في حالاتها الطبيعية قبل القطع والصقل والتلميع بعدة خواصّ؛ منها: أشكال بلوراتها Crystal Form، وصلابتها Hardness، وطريقة شقّها Cleavage، ومكسرها Fracture، ثم باختبارها كيميائياً Chemical Test، وثقلها النوعيّ، ولونها، وغير ذلك[٤].

وتستخدم الجواهر والأحجار في ترصيع الحليّ، والتحف، والأسلحة، وتدخل في صناعة الساعات والأجهزة الدقيقة؛ مثل: الموازين، والكشط، والحكّ، والثقب، ويبلغ وزن الألماس المستخدم في الصناعة أكثر من ٨٠٪ من إجمالي الوزن بالقراريط للألماس المبيع كل سنة، وتُنتَقى مرتبته وتُحدَّد قبل استخدامه في عمليات الطحن والثقب والصقل، وبفضل استخدام الألماس في الصناعة أنتجت أسلاك يصل سمكها إلى خُمس شعرة الإنسان، لكنّ كثيراً من الألماس الأقل مرتبةً لا يصلح إلا لسحقه.

ويذكر المؤرّخون أن التجّار القدماء كانوا يحصلون على كثير من الجواهر من شبه الجزيرة العربية، واليشب واللؤلؤ من سيلان، والجمشت والعقيق من مصر، والزبرجد من شواطئ البحر الأحمر، والبجادي من آسيا الصغرى، وهذا يؤكد ما ذهب إليه روستو فتزف من أن أكثر الجواهر روعةً كانت من أصل شرقيّ.

وكانت تجارة القوافل المتّجهة إلى البلاد المنتجة عاملاً من عوامل ازدهارها، لكنها كانت -أحياناً- سبباً حقيقياً في السيطرة عليها واستعمارها؛ لذلك لم تكن الجواهر والأحجار الكريمة موضوعاً للتفاخر والزينة، وباعث إعجاب ودهشة، وعنصر زينة فحسب، بل كانت -أيضاً- بمنزلة ثروة متاحة، ورصيد ثابت، وتزيّنت بها الحسان والغواني، وجمعها الملوك والقادة والأمراء والأغنياء، فكانت لهم بمنزلة أرصدة أنفقوا منها على الحروب، واستخدموها في المحن والأوقات العصيبة[٥]؛ لذلك لم يكن غريباً أن يُمَدّ الباحثون والمختّصون بأسماء الملوك والأمراء والقادة والأغنياء والفنانين، وصورهم، ومعتقداتهم، بحيث صارت وثائق تاريخيةً يُعتدّ بها.

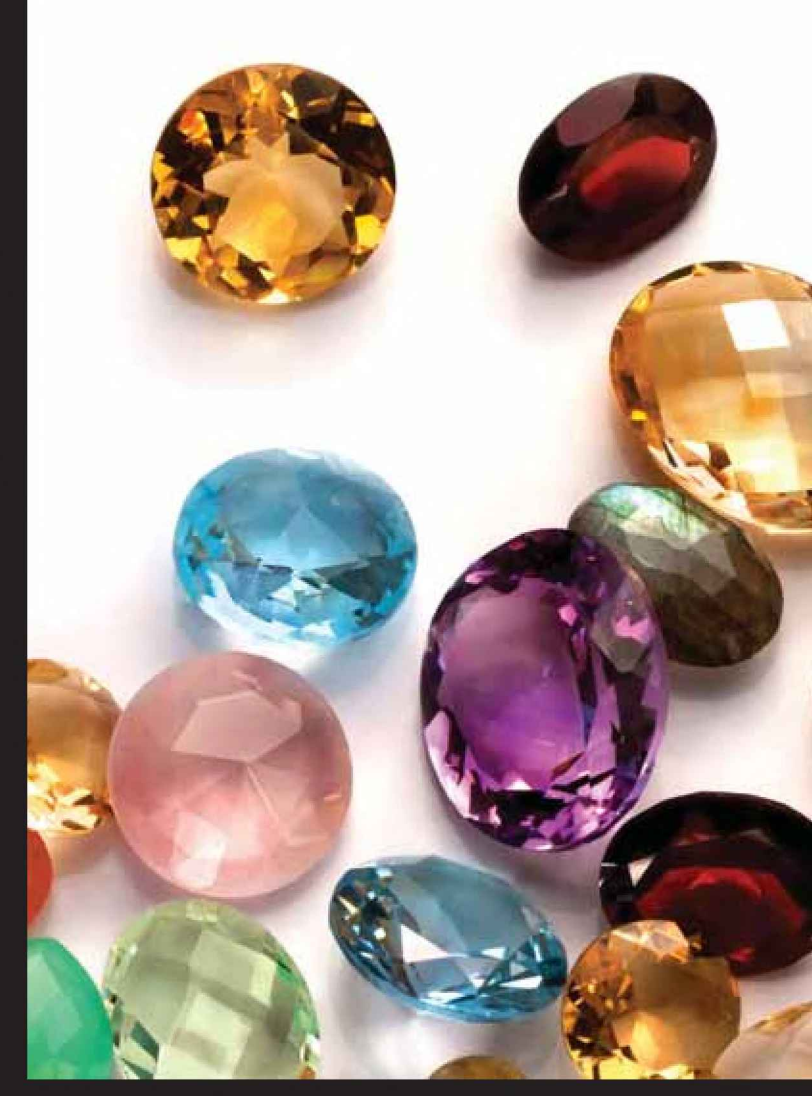
الجواهر في الحضارات القديمة

تشهد التحف الذهبية التي وصلت إلينا من مصر الفرعونية على حذق الصائغ المصريّ ومهارته الفائقة، فقد نجح هذا الصائغ في طرق الذهب إلى أن صيّره أوراقاً رقيقةً جداً، واستعملها في تزيين الأثاث المصنوع من الخشب، أو في طلاء التحف النحاسيّة والفضيّة، وفي السنوات الأخيرة اكتشف بعض القطع من الحليّ الثمينة، التي تعود إلى العصر البيزنطيّ، منها: عقود رائعة من الذهب تتوسّطها أنواط تحمل صور الأباطرة، وخواتم وأساور وخلاخيل تدلّ على مهارة الصائغين، وذوقهم الرفيع.

وكانت الإسكندرية في مقدمة المراكز الهامّة في صناعة أنواع الحليّ والجواهر الكريمة، وأنتج الصنّاع في البهنسا، والشيخ عبادة، ومدينة قفط بصعيد مصر أنواع الحليّ من العقود والخواتم والأقراط الذهبية، التي حفظت في المتحف القبطيّ بمصر وغيره من المتاحف، واستمر الصنّاع الأقباط في عصر الولاة في صناعة الحليّ والجواهر الكريمة، وتزيّنت المرأة بتعليق القرط الدائريّ الواسع، أو الأقراط في شكل عنقود العنب، في أذنيها، وزيّنت معصمها بأساور سميكة تنتهي برأس حيّة من الطرفين، وبعضها كان مبروماً ينتهي برأس حية من طرف، وذيلها من الطرف الآخر، وكان بعض حليّها الذهبية مرصّعاً بالجواهر الكريمة، وكانت تصنع عقداً ذهبياً أشبه (باللبة) المعروفة الآن في مصر[٦].

ومن عوامل تقدّم صناعة الحليّ وأدوات الزينة وفرة الذهب المستخرج من منطقة العلاقي، ونشاط المصريين في البحث عن الكنوز الذهبية في مقابر الفراعنة، وأصبحت بغداد مركزاً لتبادل المعادن النفيسة في العصر الإسلاميّ، حيث منطقة الفضة في الشرق الإسلامي، ومنطقة الذهب في الغرب.

ويذكر المؤرخون أن البداريين في حقبة ما قبل الأسرات استخدموا في حليّهم حبّات الفيروز والعقيق والكوارتز، وتمكّن المصريون القدماء في





لـم تكـن الجواهـر والأحجـار الكريمـة موضوعـاً للتفاخر والزينة، وباعث إعجاب ودهشـة، وعنصر زينة فحسب، بل كانت -أيضاً- بمنزلة ثروة متاحة، ورصيد ثابت

عهد السلالة الأولى من فتح جزيرة سيناء، وكان هذا الفتح بمنزلة فجر لاكتشافات جديدة، وبداية لحملات كثيرة تهدف إلى الحصول على الزمرّد وحجر المليخيت، وبرع صنّاع مصر في قطع الأحجار الكريمة، والترصيع بها، ويدلّ على ذلك مشهد على جدران أحد الأهرامات، يبدو فيه الصنّاع يقطعون حجر الفيروز قطعاً صغيرةً للترصيع بها.

ويصف المستشرق هنري بريستد عملهم في النحت والترصيع بأنه دقيق ومتقن جداً، وفي عهد الأسرة الثانية عشر ظهر الميل إلى ملء فجوات الحليّ الذهبية بالأحجار الثمينة؛ مثل: العقيق، والفيروز، واللازورد، وكانت التوابيت تطلى بالذهب وترصّع بالمجوهرات، وذكرت إحدى الباحثات استعمال الجمشت والعقيق في العقود في شكل حيات مع حبات الذهب.

وزخرت طيبة عاصمة مصر القديمة بالصائغين المختصّين في نقش الأحجار الكريمة وصقل الجواهر، وفي عهد الأسرة الثامنة عشر ظهرت فكرة ترصيع المقصورة الملكية بالأحجار الكريمة؛ كي تتلألأ بتأثير أشعة الشمس، ومن كنوز توت عنخ آمون العلب المتضّمنة أنفس الجواهر، وتابوته الذهبيّ المزيّن بأنفس الأحجار وأروعها، واشتهرت الإسكندرية بوصفها مركزاً مهماً للجواهر والأحجار الكريمة، واكتشفت في بلاد ما بين النهرين الأختام الأسطوانيّة التي تدلّ على أنه كان لكلّ شخص خاتم خاصّ به من العقيق أو اليشب أو اللازورد أو غيرها، وأن نقوشها تدلّ على موهبة الفنان ودقّته ومهارته[٧].

وكان الساميّون يتزيّنون بالعقود والخواتم المرصّعة بالكوارتز والعقيق، وكانت الأحجار الكريمة من البضائع التي كان يحرص عليها الآراميّون الذين وصلت تجارتهم إلى الخليج العربيّ. وكان ملوك الإخمينيين (الفرس)، يفرطون في استخدامها حتى إنهم كانوا ينتعلون أحذيةً تتناثر عليها الأحجار الكريمة، واستولى الإسكندر المقدوني على كنوز داريوس الثالث بعد انتصاره عليه قرب أربيل، واشتهرت شبه الجزيرة العربية بالجواهر النفيسة؛ مثل: الجمشت، والبلّور، والعقيق الأحمر والأصفر، والجزع، وغيرها، واشتهرت البحرين باللؤلؤ.

ثقة كبيرة

الإقبال على اقتناء الذهب والفضة سبيكةً وحليةً عادةٌ قديمة ناجمة عن الثقة الكبيرة في هذه المعادن عبر العصور؛ لأنها لا تتأثر بالعوامل الطبيعية، ولا ضريبة عليها، وهي من أفضل ما يورث للأبناء والأحفاد، ويمكن تحويله إلى نقود سائلة في أي وقت من الأوقات، ولا يزال بعض الأثرياء يضعون جزءاً من أموالهم في المصارف، ويشترون بالجزء الآخر المعادن النفيسة والأحجار الكريمة؛ لموازنة ثروتهم أو تغييرها واستبدالها بشكل فجائي.

إذا كان الحكّام والأثرياء يفضلون حيازة الأحجار الكريمة والثمينة انطلاقاً من مبدأ معرفتهم قيمتها وتقديرهم جمالها وندرتها، فإن عامّة الناس تفضّل ما تعرفه وتثق به وهو المعادن النفيسة، التي تحمل دمغةً يتعذّر غشّها وتزويرها، إذ يظهر من تجربة محدودي الدخل ومتوسطيه في اقتناء الأحجار بأسعار عالية، أنهم لم يستطيعوا في أوقات الشدّة بيعها بنفس أسعار شرائها؛ إذ يتلاعب التجّار والمغرضون بأسعار بعض الأحجار الكريمة؛ مثل: الماس، فيبثّون لها الدعاية الزائفة، ويقيمون المزادات لعرضها، وتشجيع الاستثمار فيها، وبمجرّد أن يستثمر الأهالي أموالهم بشرائها يُعلَن عن تدنّي أسعارها، إضافةً إلى إغراق الأسواق بالماس الصناعيّ، والأحجار الزائفة، وعرضها بوصفها أحجاراً حقيقيةً.

زخرت طيبة عاصمة مصر القديمة بالصائغين المختصّين في نقش الأحجار الكريمة وصقل الجواهر



وحظيت اليمن بموقع جغرافيّ جعلها ملتقى تجّار العالم، وكان تجّار الهند وإفريقية ينقلون بضائعهم إلى اليمن؛ لتنقل براً إلى مختلف أنحاء العالم، وكان اليمنيّون عريقي الحضارة، وبلغ غناهم وتذوّقهم الجمال حداً جعلهم يعلّقون على أفاريز منازلهم وأبوابها صحائف ذهبيةً مرصّعةً بالجواهر، وظلّت الملكة بلقيس في جمالها، وتذوّقها روعة المجوهرات، وجمعها إيّاها، وتزيّنها بها مصدر وحي الفنانين، وموضوع قصائد الشعراء على مرّ الزمان.

وانتقل الدور إلى روما التي صارت سوقاً لمنتجات العالم القديم، وقد وصفها أيليوس أرستيدوس Aelius Aristids بقوله: «من شاء أن يرى طيبات العالم فعليه أن يطوف العالم كلّه، أو يقيم في روما فيرى حليّ صقلية ومصر، ولؤلؤ إفريقية، وذهب إسبانيا، وزمرّد اليونان، والأحجار الكريمة الواردة من بلاد العرب»، وصارت الأحجار الكريمة عنصراً مهماً في جهاز المرأة، فقد ارتدت ليولا بولينا ثوباً مغطّى من رأسها إلى قدميها بالزمرّد واللؤلؤ، وكان نونيوس أحد أعضاء مجلس الشيوخ الرومانيّ يزيّن إصبعه بخاتم مرصّع بحجر عين الهر، وهو حجر في حجم البندقة وباهظ الثمن، ولم يستطع الرومان أن يضعوا حداً لولعهم بالأحجار الكريمة حتى إن أحد أحذية النساء كانت تزركش أحياناً بالذهب، وتحلّى بالجواهر(٨).

العرب وجواهر الزينة

قدّر العرب قيمة الذهب والفضة، وقال الجاحظ في الذهب: «لا يدحضه خبث الكير، ولا يفسده مرّ الدهور، ويستحسن منه السبيكة وغير السبيكة»، ومن المعروف أن الجواهر الثمينة إنما يرغب في اقتنائها الخلفاء والملوك والأمراء؛ لعظم ثمنها والتباهي بها عند العامة، وكانت مدينة الإسكندرية من أهم مراكز صناعة الحليّ والجواهر في مصر الإسلامية، وبقيت زمناً طويلاً إلى ما بعد الفتح الإسلاميّ تحافظ على صناعة الذهب وتطعيم المعدن، وازدهرت سائر الصناعات بها طوال العصور الوسطى، وتشير المصادر إلى وجود طائفة من صائغي الذهب وصانعي الحليّ من الفضة بها منذ فجر الإسلام، وكان يستخرج بالقرب من شواطئها أنواع كثيرة من الجواهر، وذكر المسعوديّ أنه كان حول منارة الإسكندرية في البحر مغاص يستخرج منه قطع من الجواهر، وتتخذ منه فصوص للخواتم يشبه أنواعاً من الجوهر.

وكان صائغو المجوهرات يركّبون فصوص الفيروز وغيرها في أنواع الخواتم؛ إذ أكثر عامة الناس من استعمالها في ذلك الوقت. ومما لا شك فيه أن وفرة أنواع الأحجار الكريمة من الزمرد والزبرجد واللؤلؤ، وما كان يستخرج منه من صعيد مصر وساحل البحر الحمر بالقرب من عيذاب؛ كان من أسباب تقدّم صناعة الأحجار والمجوهرات في مصر الإسلامية(٩).

وقد أمكن الحصول على أنواع أخرى من الأحجار الكريمة؛ مثل: أنواع المرجان من بلاد المغرب، والطلق من جزيرة قبرص، والألماس من بلاد الهند، وتشير المصادر إلى استخراج الفيروز المصري من مناطق المغارة، وسيرابيت الخادم، وأم بجمة، وغيرها من مناطق سيناء، وكان

يستورد الجزع والعقيق من اليمن، وبه كان صنّاع الجواهر يحلّون أصناف اليواقيت التي أمكن الحصول عليها بالقرب من الفسطاط بموضع يُسمى طُرا، ويذكر التيفاشي أنه رأى من الياقوت الأحمر فصوصاً حمراً صغاراً في حجم الخردل وأكبر قليلاً[١٠].

ومن الجدير بالذكر أن التيفاشي المتوفى سنة ٦٥١هـ كان خبيراً في أنواع الأحجار الكريمة، ومجيداً صناعة الجواهر، فهو يتحدّث عن اللازورد ويقول: «وقد يصنع اللازورد بالكيفية التي أنا واصفها»؛ مما يدلّ على مهارته الفنيّة، والقدرة على صناعة نوع من اللازورد مثل الموجود في معدنه الأصليّ[١١].

وكان لصائغي الجواهر أسواق خاصّة، وأحياء يعملون بها في الفسطاط والإسكندرية وتنيس وغيرها من المدن المصرية، وكان لصناعة الحليّ وأدوات الزينة أسواق في سائر المدن يمارسون بها مهنتهم.

وفى العصر الطولوني تمتّعت مصر بمكانة مرموقة بين الدويلات الإسلامية التي كانت خاضعةً للخلافة العباسيّة، وتوضّح لنا المصادر اهتمام الطولونيين بأنواع الحليّ وأدوات الترف والزينة، واقتنائهم إيّاها، ويعدّ جهاز قطر الندى ابنة خمارويه خير شاهد على ذلك، فقد تفنّن صنّاع الحليّ والجواهر في إبداع الأشكال الرائعة من التحف الذهبية وغيرها، ويذكر المسعوديّ أن ابن الجصّاص[١٢] الذي تولّى أمر صنع جهازها، حمل معها جوهراً لم يجتمع مثله عند خليفة قطّ، ومن هذا الجهاز دكّة من أربع قطع من الذهب عليها قبّة من ذهب مشبّك، في كل عين من التشبيك قرط فيه حبّة من الجوهر لا يعرف لها قيمة، وصناديق مملوءة بالشمعدانات وأواني الذهب والفضة، منها مئة هاون من الذهب، وبلغت نفقات قطر الندى عند زواجها من المعتضد سنة ٢٨١هـ عشرين ألف دينار في حين كان صداقها مليون درهم.

ويصف المقريزي جهاز قطر الندى، فيقول: «أنه لم يبق خطيرة ولا طرفة من كل لون وجنس إلا حمله معها»، ومما لا شك فيه أن ما حفلت به المصادر التاريخية في هذا الصدد يعكس بجلاء ووضوح مدى تقدّم الصنّاع ومهاراتهم الفائقة في صناعة أنواع الحليّ والجواهر في عهد الطولونيين، على الرغم من القول: إن الخليفة العباسيّ المعتضد إنما أراد بزواجه من ابنة خمارويه العمل على استنزاف موارد الدولة الطولونية وإفقارها[١٣].

كان الساميّون يتزيّنون بالعقود والخواتم المرصّعة بالكوارتز والعقيق، وكانت الأحجار الكريمة من البضائع التي كان يحرص عليها الآراميّون





كان اليمنيّون عريقي الحضارة، وبلغ غناهم وتذوّقهم الجمال حداً جعلهم يعلّقون على أفاريز منازلهم وأبوابها صحائف ذهبيةً مرصّعةً بالجواهر

وانتشرت صناعة الأقراط والخواتم والسوارات والدمالج، وأنواع القلادات والخلاخيل وغيرها من أنواع الحليّ، وكان الصائغ إذا أراد صناعة شيء من الحليّ لأحد من الناس لا يقوم بسبكه في الكور أو في الروباص إلا بحضرة صاحبه بعد تحقيق وزنه، فإذا فرغ من سبكه أعاد الوزن، وإن احتاج إلى لحام فإنه يزنه قبل إدخاله فيه، ولا يركّب شيئاً من الفصوص والجواهر على الخواتم والحليّ إلا بعد وزنها بحضرة صاحبها[١٤].

وتذكر كتب التاريخ أن حفلة زفاف الخليفة العباسيّ المأمون من بوران ابنة وزيره عام ٨٢٥م، جلس العروسان وبسط لهما فرش من الحصير المنسوج بالذهب والمكلّل بالدرّ والياقوت، وقد نثرت على بوران ألف درّة كانت في صينية ذهبية، حتى قيل: إنه لا شيء يحجب مطر اللؤلؤ الذي غمر بوران بنت الحسن يوم زفافها إلى المأمون، وكانت لأم المستعين سجادة صنعت خصّيصى لها بلغت قيمتها ثلاثين ومئة مليون درهم، جعلت عليها صور مختلفة من الطيور الذهبية ذوات العيون الياقوتية.

ولم يكن الميل إلى الجواهر والأحجار الكريمة عند الفاطميين وأمويّي الأندلس أقلّ منه عند العباسيين، فيقول ابن خلدون في مقدمته الشهيرة: «ثم صاروا في دول المغرب يعدّون من علامات الملك وشاراته الخاتم للإصبع، فيستجيدون صوغه من الذهب، ويرصّعونه بالفصوص من الياقوت والفيروزج والزمرّد، ويلبسه السلطان شارة في عرفهم، كما كانت البردة والقضيب في الدولة العباسية، والمظلّة في الدولة العبيدية، والله مصرّف الأمور بحكمه».

ومما يدلّ على ازدهار صناعة الحليّ في عهد الإخشيديين تلك المظاهر التي جاءت في وصف الاحتفال بليلة الغطاس بمصر؛ إذ خرج مئات الألوف من المسلمين والنصارى يشاركهم الإخشيد، وعليهم من الملابس وآلات الذهب والفضة والجوهر ما يفوق الوصف، وفي العصر الفاطمي لم تقتصر صناعة الحليّ على أنواع الزينة وأدواتها الخاصة بالنساء، إنما كانت أدوات كثيرة تصنع من الذهب وتحلّى بمختلف أنواع الجواهر واليواقيت والزمرّد، وهي مما لا شك فيه توضّح لنا مدى استخدام الذهب والفضة ومظاهر الترف عند الفاطميين، وحرصهم على اقتناء التحف الثمينة من جهة، وتكشف لنا من جهة أخرى عن المهارة الفائقة التي بلغها صنّاع الحليّ والجواهر في ذلك العصر.

وأول ما يطالعنا من استخدامات الذهب والجواهر في قصور الفاطميين تلك المسمّيات التي أطلقوها على مجالس حكمهم، ومنها قاعة الذهب بالقصر الشرقيّ الذي بناه القائد جوهر لمولاه المعزّ، وقصر الذهب الذي شيّد في عهد العزيز بالله، وهذا يدلّ بوضوح على تشجيع صناعة الحليّ والجوهر، فقد استخدم الصنّاع مقادير هائلةً في صناعة التحف الثمينة من الذهب والفضّة على أشكال مختلفة زيّنوا بها مجالس الحكم، وذكر في كتاب (الذخائر والتحف) أن وزن ما استعمل من الذهب الإبريز الخالص في سرير الملك كان مئةً وعشرة آلاف مثقال، كما نسج الصنّاع الستائر من خيوط الذهب لتزيين القاعات، إضافةً إلى التماثيل والتحف الذهبية التي وضعوها في صدر القاعات، على شكل حيوانات وطيور، منها طاوس من ذهب، مرصّع بالجواهر، عيناه من ياقوت أحمر، وريشه من الزجاج المموه بالمينا المجرى بالذهب على ألوان ريش الطاوس.

وأفاض المؤرخون في ذكر التحف الفاطمية النفيسة، والآلات الملكيّة المصنوعة من الذهب والفضة التي كانت تستخدم في مواكب الملوك، كما استخدموا الذهب والفضة في تحلية السروج والسيوف، وبلغ من ترفهم ومظاهر النعيم أن صنعوا الآلات الموسيقية: الأبواق، والنقارات، والطبول، وغيرها من الذهب والفضة، وكانوا يستعملونها في مواكبهم، وأطنب المقريزي وغيره من المؤرخين في حديثهم عن خزائن الفاطميين، وما كانوا يحتفظون به من سائر الأواني، والتحف الذهبيّة، والأواني الفضيّة، والأحجار الكريمة والحليّ.

ويذكر أن الحاكم بأمر الله في بداية عهده كان يلبس على صدره العسجدة، وهي درقة من ذهب مكلّلة بجوهر ثمين يضيء ما حولها، إذا وقعت عليها الشمس لا تطيق العيون النظر إليها، ويذكر أن من جملة ما خلّفه وصيّه برجوان حين أمر الحاكم بقتله سنة ٣٩٠هـ من الحليّ والطيب والمصوغات من الذهب والفضة ما لا يحصى كثرةً، وذكر المقريزي أن هدية ست الملك إلى أخيها الحاكم بأمر الله كان من بينها تاج مرصّع بنفيس الجوهر وبديعه، وشاشية مطعّمة، وبستان من الفضة مزروع بشتى أنواع الشجر، وهذا فاق صنعه ما كان معمولاً في قصر المقتدر الخليفة العباسيّ[١٥].

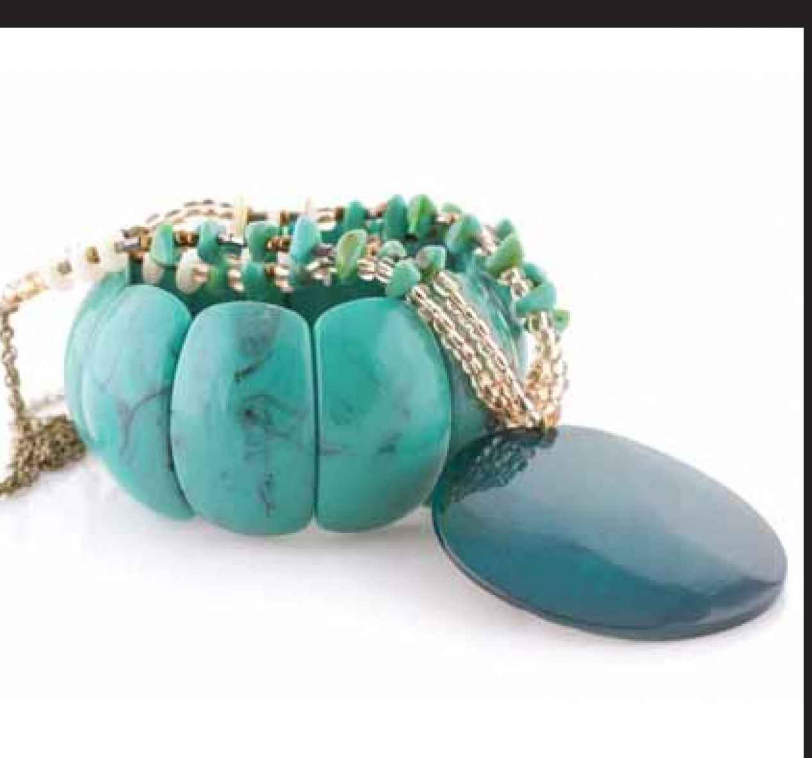
وخلّفت الأميرة عبدة بنت المعز لدين الله بعد وفاتها سنة ٤٤٢هـ ثروةً طائلةً وتحفاً لا تحصى؛ منها: نحو أربع مئة سيف محلّى بالذهب، ونحو إردبّ من الزمرّد، وغير ذلك من الجواهر والأقمشة النفيسة، والأباريق والطسوت من البلّور الصافي. وهكذا توضّح لنا الأدلّة التاريخيّة أن الفاطميين بزّوا منافسيهم العباسيين في بلاطهم، وفي حوزتهم المجوهرات والكنوز التي حفلت بها خزائن ملكهم، وعثر في حفائر الفسطاط على أساور وخواتم وأقراط من الذهب والفضة، عليها زخارف نباتية دقيقة، ومن المرجّح أنها ترجع إلى العصر الفاطميّ، وأنها صنعت في دار الجواهر[١٦].

ومن الجدير بالذكر أن صناعة الحليّ والجواهر والاتّجار بها كانت من الحرف الرائجة، وكان يعيش أصحابها في حالة من الأمن والاطمئنان إضافةً إلى ثرائهم، فقد ذكر ناصر خسرو أن تجّار الجواهر كانوا لا يغلقون أبواب دكاكينهم، بل يسدلون عليها الستائر، وإن ما يضمّه متحف الفنّ الإسلاميّ من مجموعة الخواتم الذهبية، وغيره من المتاحف في الخارج؛ يكشف لنا عما بلغه صنّاع الحليّ والجوهريين من دقّة وإتقان في صنعتهم زمن الفاطميين.

مخازن قيّمة

إن التزيّن والتجمّل هو الأساس المبدئيّ لاقتناء الحليّ والمصوغات، وإن ميل الإنسان يخضع لعوامل كثيرة؛ منها الحاجة إلى تأمين الاستقرار النفسيّ وضمان المستقبل، وتشعر المرأة خاصّة بالأمان بما تقتنيه من مصوغات، فهي ترى أن صروف الدهر متقلّبة، وغوائل الزمن غدارة، والرجل من وجهة نظرها مخلوق لا أمان له، أما الأولاد فإنهم سيتفرّقون كلّ في دربه، وتظلّ المرأة في خوف أزليّ من الترمّل في حالة موت زوجها، أو هجرها، أو اقترانه بأخرى فتبقى وحيدةً مع أطفالها؛ إضافةً إلى تجنّب مخاطر الإبقاء على العملة الورقية المخزونة في المساكن والمصارف، فهي معرّضة لانخفاض قيمتها، وعليه فالمعادن النفيسة والأحجار الثمينة تصير غطاءً مادياً مضموناً، وأن الذهب والفضة مقياس مهمّ للثروة وموازنة البضاعة، وقاعدة متينة للحياة الاقتصادية منذ عصور ما قبل التاريخ.

وكان لادّخار المصوغات دور مهمّ في حفظ نماذجها عبر التاريخ الإسلاميّ، سواء أكانت مسكوكات يعثر على كنوزها المطمورة أم على شكل حليّ وموادّ زينة؛ إذ إن إنقاذ الثروات وإخفاءها عادة عرفتها الحضارات منذ أقدم العصور، فأوّل ما ينقذه الناس في أوقات الشدة والخطر هو ما خفّ وزنه وغلا ثمنه، وسهل نقله من نقود وحليّ، ويحترز الموسرون والأثرياء من سرقة ممتلكاتهم من مصوغات ومصنوعات ونقود من الذهب والفضة بحفظها في صناديق خاصة، أو وضعها في مخابئ مستترة داخل البيت لا يعرفها إلا صاحبها، فبعضهم يخفيها تحت رأسه كل ليلة، وآخر يصنع لثروته صندوقاً متيناً ذا نظام أقفال معقّد، ويخزنها فيه، ويستخدم ما يحتاجه من وقت إلى آخر، وآخرون يدفنون ثرواتهم في جِرار تحت الأرض بعيداً من الأنظار، ولا يزال ذوو الحظوظ من عامّة الناس ومنقّبي الآثار يعثرون على بعضها من وقت إلى آخر.



كان نونيـوس أحـد أعضـاء مجلس الشـيوخ الرومانيّ يزيّـن إصبعه بخاتم مرصّع بحجر عيـن الهر، وهو حجر في حجم البندقة وباهظ الثمن

وحين يتعاظم شعور الناس بضعف الأمن، وتتوارد حوادث السرقة، يلجأ كثير من الناس إلى تخزين مصوغاتهم في صناديق البنوك، ونتيجة ضعف أنظمة الضمان الاجتماعي أو انعدامها في العالم الإسلاميّ تحلّ المعادن النفيسة في العالم الإسلامي بأشكال كثيرة: ففي البلدان التي تمثّل الطبقة الوسطى فئةً مهمةً في المجتمع يتطلع سكانها إلى اقتناء السيارات والأدوات الكهربائية والأثاث والتمتّع بحياة جيّدة، فإنهم يبيعون مقتنياتهم من الذهب والفضة لشراء احتياجاتهم، أما البلدان ذوات الحكم الدكتاتوريّ فإن أفضل ما يفعله الناس هو شراء المعادن النفيسة وأخفاؤها؛ لعدم ثقتهم في سياسة الدولة النقدية التي ربما تستبدل في يوم واحد كلّ العملات أو تسيطر عليها، وفي بعض بلدان البترول الغنيّة يقتني الناس المعادن النفيسة، ويلجأ الموظّفون في نهاية كلّ شهر إلى صرف جزء كبير من مرتباتهم لاقتناء الذهب، ويمثل المصاغ في المجتمعات الريفيّة بنك العائلة، وثروتها، وصندوق توفيرها.

ويعتمد رواج المصاغ من المعادن النفيسة على مستوى المعيشة، ودرجة تحضّر الشعوب، وقيمها، وتقاليدها، فكلما ازدهر اقتصاد الدولة وكثر أغنياؤها شاع استعمال الموادّ النادرة، والسلع النفيسة، ومنها الحليّ

تفوق عربي

يذكر الباحث محمد قطب أن العرب احتفظوا بحقّ حصرهم التجارة في الخليج العربيّ وباب المندب، وكانت الجزيرة العربية وتجّارها يمدّان العالم القديم بمختلف أنواع الجواهر والأحجار الكريمة، وفي الوقت الذي كان فيه العرب يتزيّنون بلآلئ البحرين كان الإغريق يجهلون -طوال القرون التي سبقت فتوحات الإسكندر- هذه الجواهر والأحجار، وبعد أن اطّلع الإغريق على حضارات الشرق وفنونه وتعلّموا منهما لم يلبثوا أن برعوا في قطع الأحجار المعروفة، وتفنّنوا في نقشها، وتقدّموا في هذا الفنّ تقدماً كبيراً من حيث الأسلوب الفنيّ واختيارُ الموضوع، وإن ما تركوه من الأحجار ذات الصور الغائرة والبارزة، لا يزال موضع إعجاب وتقدير.



كانت مدينة الإسكندرية من أهم مراكز صناعة الحليّ والجواهر في مصر الإسلامية، وبقيت زمناً طويلاً إلى ما بعد الفتح الإسلاميّ تحافظ على صناعة الذهب وتطعيم المعدن



الذهبيّة. وعندما تتدهور الأحوال الاقتصادية، التي تصحبها تغيّرات مهمّة في المجتمع، فإنه يتبعها استخدام موادّ أرخص ومنها الفضة، ويلاحظ بشكل عامّ أن متوسّطي الدخل في الأقاليم الإسلامية هم أكثر فئات المجتمع الذين يتزيّنون بالحليّ من الذهب أولاً والفضة ثانياً.

وفى بعض المجتمعات الإفريقية الرعويّة تقاس الثروة الحيوانية بالماشية، والزراعية بالأرض، فالبقرة أو الحصان يساوي كلّ منهما عدداً محدّداً من الأطواق النحاسية أو الفضية أو الذهبية التي تعلّق في عنق المرأة، أو في ذراعها، أو تغطي بها ساقيها، ومن الأعراف القبليّة لدى العرب هو افتداء القتيل بالمال، أو المصوغات من المعادن النفيسة[١٧].

أهم أنواع الأحجار والجواهر

الأحجار الكريمة هي موادّ معدنيّة، أو عناصر ذات أصل عضويّ؛ مثل: اللؤلؤ، والمرجان، وتختلف المجوهرات حسب ندرتها وخواصّها الطبيعيّة؛ مثل: الصلابة، والشفافية، واللمعان، وعدم التغيّر، ومعظم هذه الأحجار يتكون من السيلكا؛ أي: من مركبات السيلكوم silicium والأكسيجين مع معدن آخر أو أكثر، ما عدا الألماس الذي يتكوّن من الكربون النقيّ المتبلوّر.

كان لصائغي الجواهر أسواق خاصّة، وأحياء يعملون بها في الفسطاط والإسكندرية وتنيس وغيرها من المدن المصرية

صناعة الحليّ والجواهر والاتّجار بها كانت من الحرف الرائجة، وكان يعيش أصحابها في حالة من الأمن والاطمئنان إضافةً إلى ثرائهم

ومن أهم الأحجار الكريمة

الألماس Diamond، واشتق اسمه من اللاتينية Adamas بمعنى: لا يُغلب، وهو الحجر الكريم الوحيد الذي يتكون من عنصر واحد هو الكربون، وقد تكوَّن في الأزمنة السحيقة عن طريق تبلوّر الكربون المختلط بالمجما التي قذفتها البراكين، وهو أكثر الموادّ المعروفة في الطبيعة من حيث الصلابة، وقد أدرك البيروني منذ وقت مبكر في كتابه (الجماهر في معرفة الجواهر) صفة الصلادة Solidity لمعدن الألماس، فقال: «إن منزلته بالنسبة لسائر الجواهر كمنزلة السيد المطاع للسفلة والرعاع»، وذكر أنه أصلب الجواهر: «إن الألماس ينكأ في كل واحد من المطرقة والسندان، إذا طرق بينهما، ويفسد وجههما»[١٨]، ويقول: «إن حجر الماس يغلب جميع الأحجار، بمعنى أنه يخدشها، ولا ينخدش بها»؛ بسبب درجة صلادته، والألماس شديد اللمعان، شفّاف، عديم اللون، أو لونه أزرق، أو أصفر، أو أخضر، أو أحمر، أو بنيّ، أو أسود. ويعدّ الألماس اللالوني والألماس الأزرق أنفس أنواع الألماس لجمالهما وندرتهما، ومنهما تصنّع المجوهرات القيّمة، أما الأسود والمشتمل على شوائب فإنهما يستخدمان في قطع الزجاج، وتفتيت الصخور.

ويقول التيفاشي في باب الماس:« إذا انكسر لا ينكسر إلا مثلثاً، ولو كان على أقلّ الأجزاء»، وفي هذا إشارة واضحة إلى خاصّية التشقّق الكامل الموازي الأوجه البلّورية المثلّثة في الشكل البلّوريّ ثماني الأوجه Oatahedron، وهي أسطح انقسام تمثّل مستوى الضعف في التركيب الذريّ للمعدن؛ لذلك ينكسر دائماً موازياً هذه المستويات، ولو كان على أقلّ الأجزاء، أما خاصيّة التبلور Crystals التي هي نتيجة تنظيم خاصّ لذرّات المادّة داخل البلّورة، وهو تنظيم يختلف باختلاف المعدن، فقد كشف عنه التيفاشي حين وصف أشكال الماس، التي تتبلور غالباً في شكل ثمانية أوجه من نظام المكعّب، وتحدّث عن معامل انكسارها العالي، الذي يسبّب انعكاس الضوء، وقال -أيضاً- في باب الماس: «إن من الماس نوعاً له شعاع عظيم، إذا ظهر ألقى شعاعه على ما ظهر منه بالقرب من ثوب أو حائط أو وجه إنسان أو غير ذلك، بنور مختلف أشبه بنور قوس قزح»، وتسمّى هذه الظاهرة بالتحليل الطيفيّ للضوء إلى مكوناته السبعة، ويعزى ذلك إلى قدرة الألماس على تشتيت الضوء وتحليله؛ بسبب الارتفاع الكبير في قيمة معامل انكساره.

الياقوت Roby

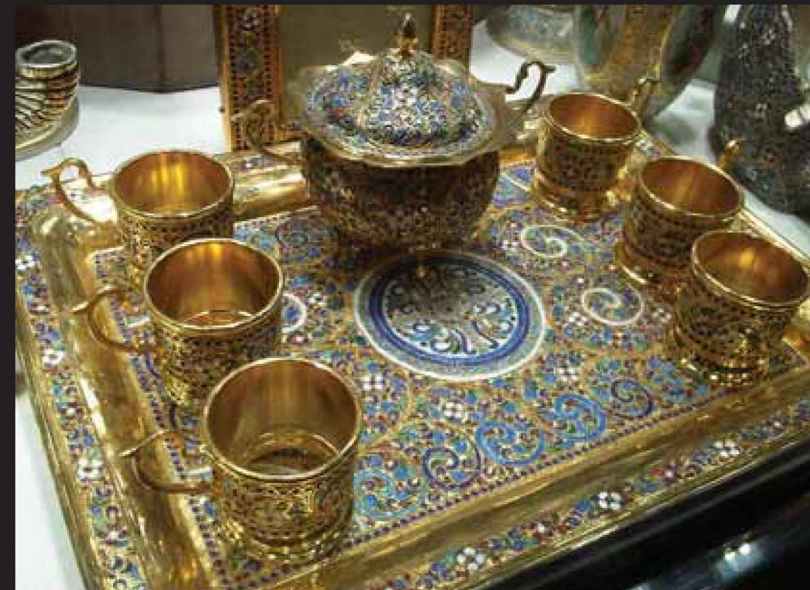
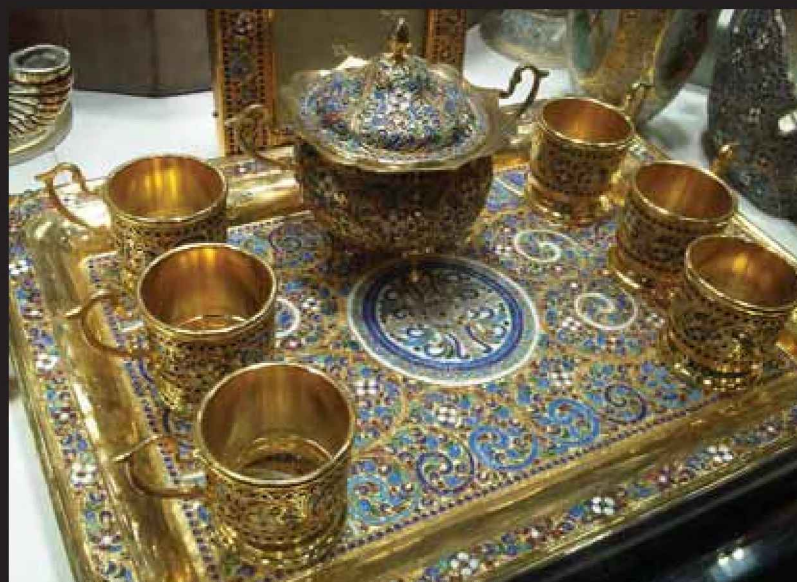
يعدّ من أهم الأحجار الكريمة وأكثرها صلابةً، وأجملها بريقاً، وأشدّها تألقاً، ومنه الأحمر والأزرق والأصفر، ولا يزال من أكثر الأحجار الكريمة إقبالاً عليه وولعاً به؛ لما يتميّز به من شفافيّة ومائيّة، ولشعاعه في الليل ضوء الشمع الأحمر، والياقوت الأحمر من أنفس أنواع الياقوت، ويقول عنه التيفاشي في باب الياقوت: «من خواصّه الثقل فإنه أثقل الأحجار المساوية له في العظم»، وفي ذلك تحديد للكثافة بأنها وزن محدّد الحجم معلوم، وقد ثبت فعلاً أن الياقوت يعدّ من أكبر المعادن كثافةً، فلا يفوقه فيها إلا معدن آخر، هو معدن الزرقون Zircon، وبفارق يسير لا يمكن إدراكه إلا بالأجهزة العلميّة الدقيقة.

ومن أبرع الأمثلة في دقّة الوصف، التي تضاهي أكثر ما جاء في الكتابات العلميّة الجيولوجيّة الحديثة، دقّة ما أورده التيفاشي في أكثر من موضع في كتابه عن خاصّيّة التشعير، وهي ما تعرف في علم الجيولوجيا الحديثة بالمصطلح Cleavage؛ أي: التشقّق، وأشار إلى أنها من عيوب الأحجار الكريمة، فقال مثلاً في باب الياقوت: من عيوب الياقوت الشعرة، التي فسّرها بأنها «شبه تشقّق يُرى فيه»، وقال في موضع آخر: «من أردأ صفاته قبح الشكل والتشعير والطرائق»، وقد ثبت فعلاً أنه لا يوجد في الياقوت تشقّق واضح، لكنه تشقّق كاذب Fales Cleav، وهو ما فسّره

معانٍ كثيرة

أدّى اكتشاف العالم الجديد –قارة أمريكا- إلى ملء أسواق أوربا بالزمرّد واللؤلؤ وغيرهما من الأحجار الكريمة، وفي العصر الحديث أخذت مجموعات الجواهر والنفائس والتحف تهاجر لتستقرّ في قارة أمريكا أو ترسل إلى المتاحف، ولا شك أن جوهرة الألماس على وجه الخصوص من بين جواهر الزينة، تحمل معاني كثيرة، وتؤدّي أكثر من وظيفة؛ فالألماس لافت النظر أكثر من أي جوهر آخر، وأحياناً يكون لافتاً وجذاباً أكثر ممن تتجمّل به أو تتزيّن، ويزيدها فتنةً وثقةً في نفسها، وقد اكتسب سمعةً كبيرةً بفضل إستراتيجية بارعة أجادها المستثمرون في صناعة الألماس، وبائعو المجوهرات.



التيفاشي في دقّة علميّة معجزة بأنه «شبه تشقُّق يُرَى فيه».
وتحدث عن خاصِّيّة الانكسار الضوئي Refractive index، وأهميتها في تحديد درجة جمال الأحجار الكريمة، وسمّاها خاصِّيّة الشعاع، فقال في باب الياقوت: «من خواصّ الياقوت الشعاع، فإنه ليس شيء من الأحجار مثله»، فإذا علمنا أن الياقوت يتميّز من غيره بخاصِّيّة الانكسار المزدوج Double Refraction العالي نسبياً، لأمكن تفسير ما أورده عن الظاهرة التي تسمّى في المصطلحات الحديثة بالتلوّن الثنائيّ Dichroism الذي يميّز بلورات الياقوت دكناء اللون من غيرها من المعادن الملوّنة.
وتحدّث العلماء المسلمون؛ مثل: البيروني والتيفاشي عن أنواع أخرى كثيرة من الأحجار الكريمة والجواهر الثمينة، التي استخدمها العرب والمسلمون دائماً في الحليّ والمجوهرات؛ مثل: الزمرّد Emerald، وهو: حجر كريم شفّاف، وشديد الخضرة، ويعدّ من أقسى الأحجار الكريمة بعد الياقوت، ويتميّز بجودة مائيّة عالية، ولمعانه، وبريقه الأخّاذ، وكذلك اللعل أو العقيق الأحمر Garnet، والتورمالين Tourmalisme، والجمشت Amethgst الذي هو من أنواع الكوارتز، وعين الهر Opal أحد أنواع السيلكا المائية، وله انعكاسات متغيّرة، ووصفه التيفاشي بأنه «عجيب الشكل...، وأنه يُرى في باطنه نكتة إلى الزرقة على قدر ناظر الهر»، وهناك ما يسمّى بعين النمر الذي يعدّ نوعاً من الكوارتز،

يعـدّ الياقوت من أهم الأحجـار الكريمة وأكثرها صلابةً، وأجملها بريقاً، وأشـدّها تألقاً، ومنه الأحمر والأزرق والأصفـر، ولا يـزال من أكثر الأحجار الكريمـة إقبالاً عليه وولعاً به

يعتمد رواج المصاغ من المعادن النفيسـة على مسـتوى المعيشـة، ودرجـة تحضـر الشـعوب، وقيمهـا، وتقاليدها، فكلما ازدهر اقتصاد الدولة وكثر أغنياؤها شاع استعمال الموادّ النادرة، والسلع النفيسة



والخلقدوني، والعقيق الأحمر، والزبرجد، والفلسبار، والزرقون، والفيروز Tourquoise، واللازورد، واليشم، إضافةً إلى المجوهرات ذات الأصل العضويّ؛ مثل: اللؤلؤ، والمرجان Coral، والعاج Ivory، والخرز Beads، وغيرها من موادّ الجواهر الكريمة أو شبه الكريمة.

وجه آخر للجواهر

أما في أوربا فكان حكّام البندقية في القرون الوسطى يعملون في صناعة المجوهرات وتجارتها التي كان يصدّرها إليهم تجّار مصر وسورية والهند، وفي عصر النهضة برع كثير من المتخصصين في قطع الياقوت، وتميّزوا بمواهبهم وذوقهم في عصر بدأ فيه اللؤلؤ، والماس، والياقوت، والسفير، والزمرّد، والعقيق يزيّن الأصابع في الخواتم، والذراعينِ في الأساور، والرأس في الأكاليل، والأذنينِ في الأقراط، وكان البندقيُّون أنفسهم يذهبون إلى القسطنطينية لشراء الجواهر منها، ثم يعودون ويبيعونها بباريس، وغيرها من المدن الأوربية.



تشعر المرأة خاصّة بالأمان بما تقتنيه من مصوغات، فهي ترى أن صروف الدهر متقلّبة، وغوائل الزمن غدارة، والرجل من وجهة نظرها مخلوق لا أمان له

وليست كل أحجار الألماس المتداولة في السوق العالمية نعمةً، فكثير منها ملعون ومخضّب بالدماء؛ فلم يعرف الناس، خصوصاً العشّاق منهم، الحقيقة في مسيرة هذه الأحجار من حيث مرقدها بشاطئ نهر، أو بقاعة إلى أن وصلت إلى محلّ بيع المجوهرات[19] وقد وقف وراء إخفاء هذه الحقيقة كثير من الأطراف، جاءت في صدارتها شركات استخراج الألماس وصقله وتوزيعه -وعلى رأس هذه الشركات شركة دي بييرز- والدولة البلجيكية، وإسرائيل، وأجهزة إعلام عالميّة كبرى؛ فكلّ هذه الأطراف كانت تخشى أن يحدث للألماس والمنتفعين من تجارته -سواء أكانوا دولاً، أم شركات، أم جيوشاً- من جرّاء تسرّب الحقائق المرعبة التي تختفي وراء بريق حجر الألماس، ما حدث للفِرَاء! فقد أصيبت تربية الثعالب وحيوانات أخرى كانت تذبح من أجل فرائها بالكساد في أعقاب الحملة الإعلامية التي قامت بالدفاع عن تلك الحيوانات.

فقد تعمّدت بعض المنظمات توزيع صور لقطع فراء ملطّخة باللون الأحمر؛ أي: لون الدم الذي سال من الحيوانات عند ذبحها قبل سلخها،

وقيل -أيضاً- في تسويغ إخفاء الحقائق المتّصلة بقصة الألماس: إن هذه المنظمات نفسها كانت في الحقيقة تخشى على وظائف العاملين الأفارقة الذين يقومون باستخراج الألماس في الوقت الذي تمرّ فيه اقتصاديات الدول الإفريقية بأزمات طاحنة، إضافةً إلى ارتفاع معدلات البطالة إلى مستويات كبرى، وقيل: إنه من الظلم أن تذاع قصص مؤلمة عن الألماس، فيفقد العمّال الأفارقة المساكين وظائفهم، لكن الذي لا شك فيه أن الرقيق والألماس هما ثروة إفريقية، وكليهما لا يصلح للاستهلاك في إفريقية، وكليهما استخرجا بفضل استثمارات أمريكية وأوربية، ومن المؤكّد في كلّ الأحوال أن الرقيق والألماس تسبَّبا في خراب إفريقية، وتدمير بناها الاجتماعية والأخلاقية والسياسية، وتغيير وجه القارة الإفريقية، وإيقاف حركة التقدّم الإنساني فيها قروناً.

ولا يزال النزيف مستمراً، فأين هذا الشعار الذي ترفعه الشركات المحتكرة صقل الألماس وبيعه في العالم: «حجر من الألماس إلى الأبد» من تقرير صحفي حديث يصف منجماً من مناجم الألماس في إفريقية



قائلاً: «رأيت عمالاً في ثياب رثّة، وأطفالاً عيونهم غائرة، وبطونهم منتفخة من الجوع؛ كلّهم ينحني بحثاً عن قطع الألماس في الوحل، وفوق رؤوسهم يقف الجنود، أحياناً جنود الحكومة، وأحياناً أخرى جنود في جيش متمرّد، شاهرين أسلحتهم، وعند المغيب يقوم الجنود بتفتيش كلّ عامل؛ بحثاً عن أحجار يكون قد دسّها في فمه أو في مكان آخر من جسده، وفي الليل يهاجم الجنود القرى المحيطة بالمنجم، فيخطفون عدداً من الأطفال للعمل في اليوم التالي في المنجم، أو للعمل جنوداً بعد قضاء مدّة من الوقت يجبرونهم فيها على تعاطي المخدّرات حتى يدمنوها إدماناً تاماً، ثم يسلّموهم رشاشات للقتل، وفي هذه القرى التي يتداولها الجنود قريةً بعد قرية وليلةً بعد ليلة، يشربون حتى الفجر ويتسلّون باغتصاب السيدات والفتيات، وعند الفجر يحرقون القرى فلا يبقى من رأى أو من سمع»[٢٠].

أين هذا كلّه من الشعار الإعلاميّ الذي رفعه أصحاب دي بييرز؛ لترويج بيع الألماس على امتداد عقود طويلة، وقد حدّدت الشركة شروطاً أربعة يتحدّد سعر الألماس على أساسها، وهي كلمات إنجليزية تبدأ كلّها بحرف C وترجمتها هي: القطع، واللون، والصفاء، والوزن، وليس من بينها كما نلاحظ أجرة عمل هذا الرجل الإفريقيّ المنحني أو تعبه أو عرقه أو دماؤه، أو هذا الطفل المنتفخ البطن، أو النساء اللاتي اغتصبن، أو القرى التي حرّقت، أو الدول التي خرّبت!

الهوامش والمراجع

(١) حققه المستشرق سالم الكرنكوي، وطبع في حيدر آباد الدكن بالهند.
(٢) طبعه المسشرق راو مع ترجمة لاتينية، ثم طبع مع ترجمة إيطالية بفلورنسا عام ١٨١٨م.
(٣) مرجريت مري، مصر ومجدها الغابر، مصر، عام ١٩٤٦م.
(٤) محمد فتحي عوض الله، معادن الزينة، ص١٢٠-١٢١، واقرأ عدد ٤٧٥، دار المعارف، عام ١٩٨٢م.
(٥) محمد الخطيب، الأحجار الكريمة والمجوهرات، الفيصل العدد ١٠٨، الرياض، مارس ١٩٨٦م.
(٦) محمد عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية، ص١٠٨-١٠٩، مصر، عام١٩٨١م.
(٧) محمد قطب، الأحجار الكريمة والمجوهرات، الفيصل العدد ١٠٨، الرياض، مارس عام ١٩٨٦م.
(٨) المرجع السابق.
(٩) انظر: التيفاشي، أزهار الأفكار، ص٤٩. والمقريزي، الخطط التوفيقية، ج١، ص٢٨. وعطية القوصي، تاريخ الكنوز الإسلامية، ص ١١٦.
(١٠) يقول المقدسي: «ومن خصائص إقليم المغرب المرجان، يخرج من جزيرة في البحر اسم مدينتها مرسى الخرز»، أحسن التقاسيم، ص ٢٣٩. وكان المصدر الوحيد للألماس -وفق ما ذكره التيفاشي في أزهار الأفكار، ص٢٠٤- بلاد الهند وجزيرة سرنديب، واستمرّ الأمر على هذا النحو طوال العصور الوسطى.
(١١) انظر: السيد طه السيد، الحِرَف والصناعات في مصر الإسلامية، (ص١٦٩-١٧٣)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٩١م.
(١٢) كان تاجراً عراقياً يتجر في الجواهر، ثم رحل إلى الفسطاط في عهد الأمير الطولونيّ خمارويه (٨٨٣ - ٨٩٥هـ) الذي جعله وكيله الوحيد لتجهيز البلاط بالأحجار والجواهر الكريمة. أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٨٠.
(١٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٧٤. والكبيسي، أسواق بغداد، ص١٧٠.
(١٤) الشيرازي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص٧٧، وانظر السيد طه السيد، الحِرَف والصناعات، مرجع سابق.
(١٥) آدم ميتز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص١٨٢، ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة، مصر، عام ١٩٨١م.
(١٦) ذكر ابن دقماق أن دار الجواهر كانت تقع بجوار خوخة السراج، وهي رحبة واسعة، كانت سوقاً هاماً لصناعة الجواهر وبيعها بالفسطاط. انظر السيد طه السيد، الحِرَف والصناعات، مرجع سابق.
(١٧) سعد محمود الجادر، الوظائف الاقتصادية والاجتماعية للحليّ الإسلامية، مجلة الدارة، الرياض، يونيو عام ١٩٨٦م.
(١٨) البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر، حيدر آباد الدكن، الهند.
(١٩) جميل مطر، الماس.. والحروب الأهلية في إفريقية، الهلال، ص١٧٥-١٧٦.
(٢٠) المرجع السابق.



المجلة العربية للثقافة

تعلن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن المجلة العربية للثقافة ستستأنف ظهورها في سلسلتها الجديدة، منفتحة على الثقافة العربية بمفهومها الواسع، وعلى المفكِّرين والكُتاب والباحثين العرب.

وتدعو المجلة أسرة الفكر والكُتاب إلى المشاركة بالدراسات والمقالات والبحوث التى لم يسبق نشرها، والمتميزة بالدقة والطرافة، وموضوعية الطرح، وعِلمية المناهج، وسلامة التعبير.

وستُخصِّص المجلة العدد المقبل بمحور **(اللغة العربية)**.

وتقدم المجلة لذلك العناصر الآتية، وللباحثين حرية إضافة ما يرونه إثراءً وتعميقاً للموضوع:

«اللغة العربية»

الماضي: (عصر المخطوط)

- التأصيل: المرجعيات والنصوص الأساسية.
- اكتشاف الضوابط القاعدية الجامعة بينها.
- التوثيق والتصنيف اللغويّ وبناء المدوّنة.
- الإثراء بالإبداع في النثر والشعر والترجمة.

الحاضر: (عصر الطباعة)

- المؤسسات العلمية العربية واللغة.
- النهضة والمطبعة والإحياء.
- مراكز الحفاظ.
- التأثير والتوسع المعرفيّ.
- المعوقات.
- اللغة والفنون.
- الحصاد المعرفي.

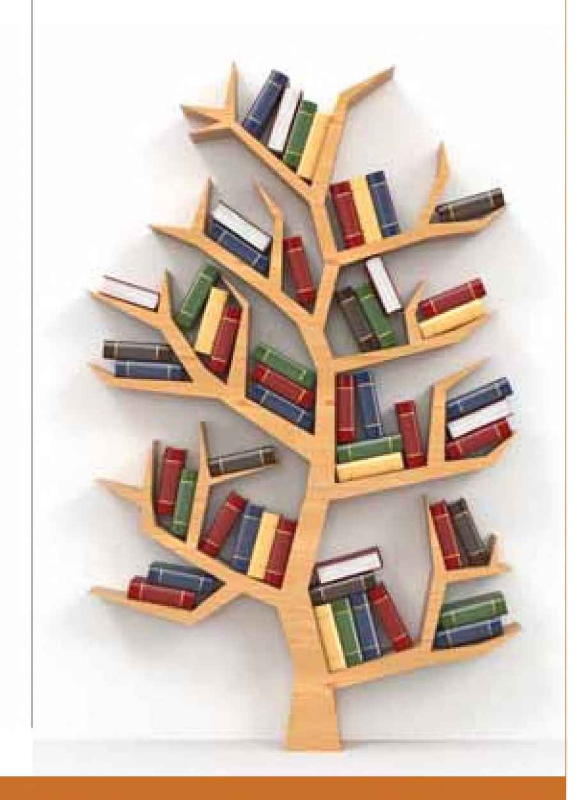
المستقبل: (عصر الألواح الرقميّة)

- اللغة والحوسبة.
- اللغة والتواصل العلميّ.
- اللغة والترجمة الآلية.
- اللغة والإنترنت.

وتهتم المجلة في كل عدد بالمراجعات النقدية الرصينة لكتب عربية وأجنبية حديثة الصدور.

- هذا، وتُعرَض كل المساهمات على التحكيم قراءةً وتقويماً.
- لا تزيد الأعمال المقدمة للنشر على خمس وعشرين صفحة (مقاس A4) مطبوعة بوساطة الحاسوب.
- ترسل الموادّ بالبريد الإلكترونيّ قبل منتصف شهر أكتوبر عام ٢٠١٥م.
- الالتزام بالقواعد الأساسية في كتابة الحواشي، وطريقة إثبات المصادر والمراجع، مع تحرير ملخص جامع بمحتوى البحث.
- ترفق كل مشاركة باسم الكاتب، وعنوانه الإلكتروني، وهاتفه، والفاكس، وسيرة موجزة.
- تحتفظ هيئة التحرير بحقّها في القيام بالتعديل المناسب، إذا اقتضى الأمر ذلك، وتعتذر الهيئة عن إعادة ما لا يُقبل للنشر.
- تسند مكافأة رمزية للأعمال المقبولة للنشر حسب القواعد المنظمة.
- ترسل الأبحاث والمراسلات على عنوان المجلة الإلكتروني في المنظمة بتونس:

culture.mgch@alecso.org.tn





تفاصيل

عبدالله الكويليت

- على ملاءة اليقين رسمت باباً يتيماً ونمت، وحين صحوت رأيت الباب مفتوحاً ولم أجد اليقين!
- كلما قُصِفتُ بالأمل سال مني الحنين..
- على هامش النصِّ هربت الضمةُ..
- أنا أفكر؛ إذاً أنا رافض بصورة ما!
- كل تفكير أصيل يُعدُّ خيانةً؛ لأنه يؤرِّق مضجع السائد، ويهزُّ سرير سباته..
- الفرح: واهب متجول..
- الأمل إبرة يتيمة تمضي عمرها تنسج رداء الممكن واللاممكن..
- الإرادة: أن تصرّ على صعود السلّم وحيداً، على الرغم من قولهم: إنه لا يفضي إلى شيء!
- أنتِ كالأمل لا يسعني التخلي عنكِ..
- الطفولة كاللذة سريعة وقصيرة العمر..
- من المفارقات المحزنة في الحياة أن الصورة تعيش أكثر من صاحبها!
- الحب: هو الطريقة الوحيدة للشرب من كأس الحياة من دون النظر إلى الكآبة التي تطفو فوقه!
- العناوين مؤقتة مثل أَسِرَّة المرضى؛ تموت بموت أصحابها..
- مَن ابتكر اللذة (تبَّلها) بالإدمان..
- مخيفة حُمّى الكلمات، حين تصيب قلباً فارغاً.
- ما الذي أرعب الشوك حتى يملك هذه الرغبة الجارفة في الانتقام!
- عندما ضفرت النافورة خصلات الماء، ضحكت الألوان التي تعبر بينها..
- مزهوّ كنسمة صباحية عابرة تلوح لها تويجات الحَبَق.
- نمضي نحونا، هناك.. في الاصطفاف الأخير لغبار الكائنات..
- العزلة: هياج الصمت.
- الوعي: إبرة تفتّش في لحم اليقين!
- الوداع: كسر للألفة واغتصاب لها!
- الآمال: أجنحة قصيرة العمر.
- الشرار يصعد إلى أعلى؛ إنه روح نار تشظَّت.
- الضمير ليس سوطاً؛ إنه صرخة جَوّانية ترفُض أن تُروَّض!
- البقاء في القاع أسهل من البقاء في القمة؛ فالمساحة في القاع أكبر!



الجمعية السعودية الخيرية للتوحد

تنظم

برنامج كفالة طفل يعاني من التوحد للأسر المحتاجة

يمكنكم تخفيف معاناتهم عن طريق :

- كفالة طفل مصاب بالتوحد لكي يلتحق بمركز الجمعية السعودية الخيرية للتوحد وقدرها (١٨,٠٠٠) ريال سنوياً.
- نصف كفالة (٩٠٠٠) ريال .
- كفالة لأكثر من حالة (تحدد حسب العدد) .



يتم تمويل البرنامج بدعمكم عن طريق التبرعات والهبات والزكاة

- بعد دراسة الحالة الاقتصادية والاجتماعية للأسرة المحتاجة من قبل المختصين.

تقدم الجمعية السعودية الخيرية للتوحد:

- التشخيص والتقييم للقدرات ومستوى الأداء.
- الخدمات التربوية المتخصصة.
- الخدمات التأهيلية المتخصصة.
- الخدمات الاجتماعية.
- التدريب على التواصل.
- تعديل السلوك.
- التدريب على الاستقلالية.
- الرحلات والزيارات الترفيهية والتعليمية.
- المواصلات من المنزل إلى المراكز والعكس (قدر الإمكان).
- التوعية والتدريب للأسر حول الكيفية المثلى للتعامل مع الحالات في المنزل والمدرسة.

هاتف : ٢١٢٠٠٥٠ - ٤٤١٣٠١٠ فاكس : ٢١٢١٠٠٨
ص ب ٦٩٢٩٦ الرياض ١١٥٤٧ P.O Box 69296 Riyadh11547
Tel ٤٤١٣٠١٠ – ٢١٢٠٠٥٠ Fax ٢١٢١٠٠٨


جمعية
الأطفال
المعوقين
Disabled Children's Association


جمعية وطن



